

كِتَابُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ ﴿١﴾ وَقَدْ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى الْمُتَدَبِّرِ
وَالْمُتَفَكِّرِ فِي التَّأْوِيلِ وَالْمَعَانِي مَا لَا يَفْتَحُ عَلَى غَيْرِهِ ، وَفَوْقَ كُلِّ ذِي
عِلْمٍ عَلِيمٌ .

وَفِي الْخَازِنِ وَالْقُرْآنِ نُورٌ أَنْزَلَهُ اللَّهُ لِيَهْدِيَ بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ ؛ وَيَنْقِذَ
بِهِ مِنَ الْجَهَالَةِ ، وَحُكْمٌ بِالْفُوزِ وَالْفَلَاحِ لِمَنْ اتَّبَعَهُ وَبِالْخُسْرَانِ لِمَنْ أَعْرَضَ
عَنْهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ ، أَمْرٌ فِيهِ وَزَجْرٌ ، وَبُشْرٌ وَأَنْذَرٌ ، وَذِكْرُ الْمَوَاعِظِ
لِيَتَذَكَّرَ ، وَضَرْبٌ فِيهِ الْأَمْثَالِ لِيَتَدَبَّرَ ، وَقِصَصٌ فِيهِ مِنْ أَخْبَارِ الْمَاضِينَ
لِيَعْتَبِرَ ، وَدَلِيلٌ فِيهِ عَلَى آيَاتِ التَّوْحِيدِ لِيَتَفَكَّرَ ، ثُمَّ لَمْ يَرْضَ مِنَّا بِسَرْدِ حُرُوفِهِ
دُونَ حِفْظِ حَدُودِهِ ، وَلَا بِإِقَامَةِ كَلِمَاتِهِ دُونَ الْعَمَلِ بِمَحْكَمَاتِهِ ؛ وَلَا بِتَلَاوُتِهِ
دُونَ تَدَبُّرِ آيَاتِهِ فِي قُرْآنَتِهِ وَلَا بِدِرَاسَتِهِ دُونَ تَعَلُّمِ حَقَائِقِهِ وَتَفْهَمِ دَقَائِقِهِ
وَذِكْرِ ابْنِ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ أَيْضًا ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذَكَرُوا بِآيَاتِ
رَبِّهِمْ لَمْ يَخْرُوْا عَلَيْهَا صُمًّا وَعَمِيَانًا ﴿٣﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ رَحِمَهُ اللَّهُ لَمْ يَسْمَعُوا وَلَمْ
يُبْصِرُوا وَلَمْ يَفْقَهُوا شَيْئًا ، وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى كَمْ مِنْ
رَجُلٍ يَقْرَأُهَا وَيَخْرُجُ عَلَيْهَا اصْمَاعِي قَالَ الشَّعْبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَلَا
يَنْفَعِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَكُونَ إِمْعَةً بَلْ يَكُونَ عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ أَمْرِهِ وَبَقِيْنِ
وَاضِحٌ بَيْنَ وَقَالَ الْبَغَوِيُّ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ بَلْ يَسْمَعُونَ مَا يَذْكُرُونَ بِهِ
فَيَفْهَمُونَهُ وَيُرُونَ الْحَقَّ فِيهِ فَيَتَّبِعُونَهُ .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿٤﴾ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾
يَعْنِي وَقْتُهَا الْأَوَّلَ وَأَمَّا عَنْ أَدَائِهَا بِأَرْكَانِهَا وَأَدَابِهَا وَشُرُوطِهَا عَلَى الْوَجْهِ

للمأمور به ، وأما عن الخشوع والتدبر لمعانيها ، فاللفظ يشمل ذلك
ولكل من اتصف بشيء من ذلك قسط من هذه الآية

وفي مجموعة التوحيد النجدية ؛ لا إله إلا الله ، هي كلمة الاخلاص
المنافية للشرك ، وكلمة التقوى التي تقى قائلها من الشرك بالله ولكن
لا تنفع قائلها إلا بشروط سبعة الاول العلم بمعناها نفياً وإثباتاً ، والثاني
اليقين وهو كمال العلم بها المنافي للشرك ، الثالث الاخلاص المنافي
لشرك الخ .

قال العبد الضعيف محمد سلطان المعصومي وفقه الله تعالى لما فيه
رضاه ، وقد تبين مما ذكرناه أن فهم المعاني والتفهم لها واجب ، لانه
لا يصح العمل إلا بعد العلم ، والعلم لا يحصل إلا بالفهم والتفهم ، والقرآن
وان كانت تلاوته عبادة مطلوبة يتعمد بها ، ولكن المقصد الاصلى منه
الفهم والعمل ، فمن يتلوه ولا يفهم معناه ولا يعمل به فهو كمثل الحمائر
يحمل أسفاراً ، أو كمثل العرض بلا ذات ، أو كمثل اللون بلا طعم ولا
رائحة طيبة ؛ أو كمثل بندقية أو مدفع بلا سهم ولا رصاص وها أن
ذاكر مثالين يشرحان للمطلب .

ملك كبير له ممالك واسعة ، ونواب واصراء عديدة ؛ فكتب اليهم
كتاباً وأمر فيه بان يفعلوا كذا وكذا ، ويبنوا المدارس والبنائيات
الفلانية ، وينظموا العساكر والجنود على نظام كذا ، ويبنوا داراً يتام
كذا ، ويربوا الايتام فيها تربية كذا ، ويعملوا مع الدعارين والفسدين .

معاملة كذا ، فيعمروا البلاد ويؤمنوا الرعية والعباد ، وكذا وكذا .
فلما وصل الكتاب اليهم أخذوه بالتعظيم وقاموا إجلالا له
فوضعوه على رؤسهم وقبلوه وقرؤوه ، ثم علقوه فوق رؤسهم ، أو في
أعناقهم وصدورهم ؛ وكلما أصبحوا فعلوا هكذا وهكذا كل يوم ،
ولكنهم لم يعملوا بما فيه الا البعض اليسير . فبعد مدة فتش الملك عن
ذلك وبعث مفتشين ، فاذا لم يفعلوا مما أمروا في فرمان الا النزر
اليسير ، فسألهم أما وصل اليكم فرمان الملكى ، فقالوا نعم وصل ، فقالوا
لم ما أمثلتم الامر ولم تفعلوا ما أمرتم به ، فأجابوا بانهم قرأوه وعظموه
ورفعوه فوق رؤسهم واستبركوا به حتى قبلوه ووضعوه على عيونهم
كما كان يفعل من قبلهم ممن شاكلهم ، فعاد المفتش وقال لم يكن مقصود
الملك من ذلك قرائته فقط وتعظيمه صورة ، بل مقصوده العمل
بما فيه وأنتم تركتم العمل ؛ فاجابوهم بانهم لم يفهموا معناه ، أو ظنوا
انه حكاية مما مضى ؛ فبذلك خالفوا أمر مولاهم ، وصاروا سبباً لهلاك
الرعية وخراب المملكة ، فهل لا يستحق هؤلاء الامراء غضب الملك ،
والا يستحقون العزل والطرء ، وهذا لا يشك فيه عاقل ؛ ولا يتوقف
في حكمه البصير ، انهم يستحقون الغضب والعزل والطرء . فكذلك
تحن المسلمون منذ أزمنة بعيدة تركنا التدبر في القرآن والعمل بمقتضاه ؛
لانه قد استولى على الحكم السفهاء ، وتصدى للفتوى الجهلاء ، وتصدر
للتدريس الحمقاء ، فنبذوا كتاب الله وراء ظهورهم واتبعوا أهواءهم ،

وقد أمرنا القرآن بالاتفاق والاتحاد ونحن متخالفون ومتخاذلون ،
وأمرنا بالاستبصار والاعتبار ونحن نأثمون ولاهون آناء الليل وأطراف
النهار ، وأمرنا بالاستصناع واعداد العدة والآلات ونحن تاركون
ذلك مضيعاً أوقاتنا بالخرافات ، وأمرنا بالصدق والامانة وأما نحن
فنغمسون في رذغة الكذب والخيانة ، وأمر بالعدل والانصاف ونحن
منهمكون في الظلم والاعتساف ؛ وأمرنا بالعفة والصيانة ونحن متلبسون
بالزنا والفاحشة واللواط ، وهكذا غيرنا فغير الله تعالى علينا فاعتبروا
يا أولى الابصار .

المثال الثاني صندوق ما كينة غرامافون وراديو فاتهم حبسوا
الاصوات فيه فيغنى ويقرأ ويؤذن ويسبح ويهلل ويتلوا القرآن بلحون
القراء المصريين ، وكذا طير الببغاء والطوطى اذا يعلمونه القرآن فيتلوه
فهل يحصل لهذا الصندوق ثواب لتلاوته القرآن أو تسبيحه وتهليله ؟
ولا شك أنه لا يحصل له شيء من الثواب ، ولما ذا مع أنه تلا القرآن
وسبح وهلل لانه لا شعور له ولا علم ولا فهم ولا يتأثر منه ، فان كان
هكذا فما الفرق بينه وبين تلاوة كثير منا ؟ فانا لا نفهم معناه ولا
نتدبر ما فيه ولا نتعظ بمواعظه ، فاذاً نحن والجماد سواء ، بل نحن أسوء
حالا منه فانا عاقلون مكلفون وبفهمه والعمل بما فيه مأمورون ، ولهذا
قال النبي ﷺ « رب تال للقرآن والقرآن يلعنه » وكذا ورد « القرآن
حجة لك أو عليك » أى اذا قرأت وفهمت وعملت فلك والا فعليك ،

أى اذا قرأت ولكن ما فهمت أو فهمت ولكن ما عملت^(١) والله سبحانه
المهادى الى سبيل الرشاد ، اللهم ازقنا تلاوته ، وسهل لنا فهم معانيه ،
ووفقنا للعمل بمقتضاه ، فاجعله اللهم حجة لنا واحفظنا أن يكون حجة
علينا آمين يا رب العالمين .

فصل

هل تنفع العبادات الظاهرة بلا تصحيح الاعتقاد والقلب
اعلم ان أول الضروريات الواجبة على المكلف انما هو تصحيح
العقيدة على وفق عقيدة أهل السنة والجماعة من السلف الصالحين ؛ فان
النجاة الآخروية مربوطة به ، وهم هم الفرقة الناجية ، لانهم على طريق
النبي ﷺ وأصحابه رضی الله تعالى عنهم ، والمعتبر من العلوم المستفادة من
الكتاب والسنة انما هو ما أخذ منه هؤلاء الاكابر ، فان كل مبتدع
وضال يدعى أنه أخذ عقيدته الفاسدة منها بزعمه الفاسد ، ثم بعد تصحيح
العقيدة لا بد من تعلم علم الحلال والحرام والفرض والمندوب والمكروه
وغيرها مما تكفل به علم الفقه ؛ والعمل بمقتضى هذا أيضاً ضرورى ،
فان وقع عياداً بالله تعالى خلل على مسألة من المسائل الاعتقادية الضرورية
فقد تحقق الحرمان من النجاة الآخروية ، بخلاف العمليات فانها اذا وقعت

(١) ومما يناسب هذا المقام ما فى الحيلة لاني نعيم عن كعب الاحبار رحمه الله
قال ليقرأ القرآن رجال واهم أحسن صوتاً من عزافات الابل لا ينظر الله
اليهم يوم القيامة وليصبغن أقوام بالسواد لا ينظر الله اليهم يوم القيامة انتهى
ص ٣٧٧ منه عني عنه .

المساهلة فيها يرجى العفو والتجاوز عنها ولو بلا توبة ، وإن أخذ بها
ولكن النجاة متحققة في آخر الامر ، فعمدة الأمر تصحيح العقيدة
وقد نقل عن الخوارجة عبيد الله الاحرار السمرقندي رحمه الله تعالى
أنه قال : لو أعطينا الاحوال والمواجيد كلها ولم تكن حقيقةتنا محلاة
ومترينة بعقائد أهل السنة والجماعة لاعتقدتلك الاحوال شيئا غير الخذلان
ولئن اجتمع فينا القصور والنقصان الظاهرية وحقيقةتنا مستقيمة على
عقائد أهل السنة والجماعة لا نرى بأسا في ذلك فثبت أن الاعتقاد مقدم
على العمل ، كما أن العلم مقدم عليه لقوله تعالى ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله ﴾
كما حققه الشيخ احمد السر هندي في المسكتوب (١٦٠—١٦٤) من مكتوباته.

قال الجامع المعصومي والاصل في هذه المسئلة ما رواه الشيخان في
المصحيحين وأبو داود في سننه واللفظ له بسنده عن علي رضي الله عنه
أنه قال اني سمعت رسول الله ﷺ يقول « يخرج قوم من أمتي يقرؤن
القرآن ليست قرائتكم الى قرائتهم شيئا ولا صلاتكم الى صلاتهم شيئا ،
ولا صيامكم الى صيامهم ، شيئا ، يقرؤن القرآن يحسبون انه لهم وهو
عليهم ، لا تجاوز صلاتهم تراقيهم يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من
الرمية » وفي سنن ابن ماجه بسنده عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه
انه قال قال رسول الله ﷺ « أن قوما يتعبدون يحقر أحدكم صلاته مع
صلاتهم وصومه مع صومهم » الحديث وفيه دليل على أن كثرة الصلاة
والصيام والقربات لا تنفع مع العقيدة الفاسدة ، كذا حرره المحدث الفقيه

شاه عبيد الغنى الدهلوى رحمه الله تعالى .

وذكر الشيخ احمد السرهندى فى المکتوب (٢٩ — و — ٥٣)
من مکتوباته اعلم أن مدار الامر على القاب ، فان كان القلب متعلقا
ومفتونا بغير الله تعالى فذلك القلب خراب وأبتر ، ولا يحصل شىء
من مجرد الاعمال الصورية والعبادات الرسومية ، بل لابد من كل من
سلامة القلب والاعمال الصالحة المتعلقة بالبدن التى أمر الشرع بفعلها
ودعوى سلامة القلب بدون اثبات الاعمال الصالحة باطلة ، كما أن
وجود الروح بلا بدن غير متصور فى هذه الدنيا كذلك وجود البدن
بدون روح باطل وكثير من الملحدین يدعون هذه الدعوى فى هذا
الزمان نجانا الله تعالى عن معتقداتهم السيئة .

وفى المکتوب (٧٣ — و — ٨٥) منه أيضا وصورة الصلاة
والاسلام لا تنفع من النجاة شيئا ، بل لابد لحصول النجاة من تحصيل
اليقين والاعتقاد الصحيح ، وقد تقرر عند الحكماء أن المريض مادام
مريضا لا ينفعه غذاء أصلا ولو كان من أعز الاكل وأحسنه ، فلا بد
أولا من إزالة مرضه ثم الاجتهاد فى تحصيل القوة بالاغذية المناسبة
فكذلك الانسان مادام مبتلى بمرض القلب بالشرك ونحوه لا تنفعه
عبادة وطاعة أصلا . الخ . فاللازم علينا أولا تصحيح العقائد على
مقتضى الكتاب والسنة على نهج أهل السنة والجماعة ، ثم علم الاحكام
للشرعية من الفرائض والسنن والحلال والحرام ، ثم العمل بمقتضاه ،

فما لم تصح العقيدة لا ينفع العلم ولا العمل شيئاً ، وهذا هو الأساس .
قال الجامع المعصومي وفقه الله لما فيه رضاه ، ان كثيراً من الناس
مغرورون بالظاهر ، ومفتونون بالالفاظ والصور ، فلا يتدبرون المعاني
ولا يتفكرون في المقاصد والمطالب ، الا النادر ممن وفقه الله تعالى من
أولى الالباب .

ولا يخفأك يا أخى هل المقصد من الجوز والوز والفسق غير
لبه ، فلا يغتر بالقشور الا الصبيان أو من يشابههم وقد ذكر العلامة
العز بن عبد السلام في اواخر كتابه (قواعد الاحكام في مصالح الانام)
مانصبه أن معظم الناس خاسرون ، وأقلهم رابحون ، فمن أراد أن ينظر
في خسره وربحه فليعرض نفسه على الكتاب والسنة متفهماً ومتدبراً
فان وافقهما فهو الرابح ان صدق ظنه في موافقتهما ، وان كذب ظنه
فياحسرة عليه ، وقد أخبر الله تعالى بخسر الخاسرين وربح الرابحين ،
وأقسم بالعصر إن الانسان لفي خسر الا من اجتمع فيه أربعة أوصاف
الايان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر ، واجتماع
هذه الخصال في الانسان عزيز نادر في هذا الزمان الا من وفقه الله
تعالى ، فكم من جاهل يظن انه عالم ، وكم من غافل يظن انه متيقظ ،
ومن عاص يظن انه مطيع ، ومن بعيد يظن انه قريب ، ومن مخالف
يظن انه موافق ، ومن منتهك يعتقد انه متنسك ، ومن مدبر يعتقد انه مقبل ،
وآمن يعتقد انه خائف ، ومن صراء يعتقد انه مخلص ، ومن ضال يعتقد انه

مهتدى، ومن عم يعتقد انه مبصر، ومن راغب يعتقد انه زاهد ، وكم من عمل يعتمد عليه المرأى وهو وبال عليه، وكم من طاعة يستهلك بها المستمع وهي مردودة عليه، والشرع ميزان يوزن به الرجال ، وبه يتيقن الربح من الخسران ؛ فمن رجح في ميزان الشرع كان من اولياء الله ، وتختلف مراتب الرجحان ، ومن نقص في ميزان الشرع فاؤلئك اهل الخسران، وتتفاوت خفتهم في الميزان ، وأخسها مراتب المشركين والكفار ، ولا تزال المراتب تتناقص حتى تنتهى الى منزلة مرتكب اصغر الصغائر، فاذا رأيت انسا يطير فى الهواء او يمشى على الماء او يخبر بالمغيبات؛ ويخلف الشرع بارتكاب المحرمات بغير سبب محلل ؛ او يترك الواجبات بغير سبب مجوز ، فاعلم انه شيطان نصبه الله لفتنة للجهلة واهل الضلالة ، وليس ذلك ببعيد من الاسباب التى وضعها الله للضلال ، فان الدجال يحى ويميت فتنة لاهل الضلال ، وكذلك من يأكل الحيات ويدخل فى النار ؛ فانه مرتكب للحرام بأكل الحيات ، وفاتن للناس بدخول النيران ليقتدوا به فى ضلالتة ، ويتابعوه على جهالتة . الخ . قلت وكل هذه ناشئة من عدم الفهم حقيقة الشرع والاوامر الالهية ، ارعناد وتكبر وضلالة ، نسأل الله تعالى التوفيق والعصمة ؛ والحاصل ان من لم يفهم المعنى فهما صحيحا يقع فى هاوية الضلال وردغة الخبال ، فلا ينفعه الصور والجمال ، نسأل الله تعالى ان يرزقنا فهما لمعانى كتابه ، ويوفقنا للعمل به مخلصا لله تعالى آمين

(فصل)

الفاتحة أم الكتاب وام القرآن

إنما سميت بالفاتحة لأنها أول القرآن في هذا الترتيب ، وهي نزلت بمكة خلافا لمجاهد رحمه الله تعالى فالاجماع على ان الصلاة كانت بالفاتحة لأول فرضيتها ، ولا شك ان ذلك كان بمكة ، وقال بعضهم انها نزلت مرتين مرة بمكة عند فرضية الصلاة ، واخرى بالمدينة حين حولت القبلة والله تعالى اعلم

وانما سميت بام القرآن لانها تشتمل على جميع ما في القرآن ، لان القرآن ما نزل الا لاجل امور اولها التوحيد ، والثاني الوعد والتبشير لمن عمل به ، والوعيد والانذار على من اعرض عنه . وقد وعد الله المؤمنين بالاستخلاف في الارض والعزة والسلطان ؛ وأوعد المخالفين بالخزي والشقاء في الدنيا ، كما وعد المؤمنين في الآخرة بالجنة والنعيم ، وأوعد الكفار بالمذاب ونار الجحيم ، والثالث العبادة التي تحي التوحيد في القلوب وتثبتته في النفوس ؛ والرابع قصص من وقف عند حدود الله تعالى واخبار الذين تعدوا حدوده كما سنفصله انشاء الله تعالى ومن آيات ذلك وامثلته ان السنة الالهية في هذا الكون ، سواء كان كون ايجاد او كون تشريع ؛ ان يظهر سبحانه الشئ بجلا ، ثم يتبعه التفصيل بعد ذلك تدريجا ، وما مثل الهدايات الالهية الا مثل البذرة والشجرة العظيمة ، فهي بدايتها مادة حياة تمتوى على جميع اصولها ، ثم تنمو

بالتدريج حتى تبسق فروعها بعد ان تعظم دوحها ثم تجود عليك
بشعرها والفاحة مشتملة على مجمل ما في القرآن وكل ما فيه تفصيل
للأصول التي وضعت فيها وهذا لا شك فيه ولا ريب فعلى هذا تكون
الفاحة جديرة بان تسمى ام القرآن وام الكتاب كما نقول ان النواة ام
الذخلة فان النواة مشتملة على شجرة الذخلة كلها حقيقة لا كما قال بعضهم
ان المعنى في ذلك ان الام تكون اولاً ويأتى بعدها الاولاد .

نزلت هذه السورة لتعليم العباد كيف يتبركون باسم الله عز وجل
في سائر احوالهم وكيف يحمدونه ويستعينون به فيبتدئ القاريء قائلًا
اقراً متبركاً باسم الله الرحمن المنعم بجلال النعم كالسموات والارض
والصحة والعقل والرحيم المنعم بدقائقها كسواد العين وتلاصق شعرات
اهدابها المانعات من دخول الغبار المؤذى لها مع ان النور يلمع من
خلالها وهكذا اللهم الله الانبياء واوحى اليهم ان يعلموا العباد كيف
يتبركون باسم الله في اول اعمالهم كالقراءة والاكل ذا كرين ربهم ورحمته
الواسعة التي عمت سائر العوالم فيمتلئ قلب العبد ايقاناً بالرحمة واستبشاراً
بالنعمة وفرحاً برحمة الرحمن الرحيم فاذا ابتدأ القاريء بالتسمية وامتلأ
قلبه بتلك الرحمة لا جرم ينطلق لسانه بالحمد بعد ان افعم قلبه بالاجلال
فيقول الحمد لله ها انا ذا عرفت رحمة الله سارية في سائر العوالم ، ولقد
علمت ان كل من انعم عليه بنعمة يشكر مسديها ، فالولد يشكر والديه
على التربية ، والضعيف الذليل يشكر القادر الشجاع الذي انقذه من الذلة

والتعلم يشكر العالم الذى اسبغ عليه نعمة العلم ، كما ذكره الاستاذ العلامة الشيخ محمد عبده رحمه الله تعالى فى تفسيره .

وقال ايضا هذه السورة تسمى فاتحة الكتاب وام القرآن وام الكتاب والوافية والكافية ، ولقد يعجب القارئ من تسميتها بام القرآن وبام الكتاب وبالوافية وبالكافية ، وكيف تقرأ فى كل صلاة ، فيعلم ذو اللب ان الذى يتلى على اللسان دائماً ، ويتلوه الجاهل والعالم سراً وجرراً يصبح فى انفس التالين من المألوفات التى لا يسعى الى شىء وراءها وتصبح كالسمع والبصر والعقل والجسم الانسانى عند الجهلاء ، فالناس لما رأوا اجسامهم والانهار والسماء والارض لم يظنوا فيها عجائب ولا غرائب لانها مكشوفة امامهم معروضة كل حين كالعالم فى بلده والنبي فى قريته ، فهكذا فاتحة الكتاب يقرؤها المسلمون فى مشارق الارض ومغاربها واكثرهم جاهلون لا يعقلون ، ولذلك داستنا الفرنجة فقتلت ابناءنا واستحييت نساءنا ونحن فى غفلة معرضون وفى الالعب والترهات منهمكون .

واعلم ان العلماء هم الذين يعرفون اسرار الاشياء وحكمها فكذلك المفكرون هنا فى القرآن هم الذين يعقلون الفاتحة وعلومها ، فاعلم ان الفاتحة تشتمل على الاشارات لجميع ما ورد فى القرآن فاتحة الكتاب أى خطأ وبها تفتح القراءة فى الصلاة ويقال لها أيضاً أم الكتاب عند الجمهور وقد ثبت فى الصحيح كما رواه الترمذى وصححه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « الحمد لله رب العالمين »

أم الكتاب وأم القرآن ويقال لها الشفاء لما رواه الدارمي عن أبي سعيد
رضي الله عنه مرفوعاً (فاتحة الكتاب شفاء من كل سم) وروي الشعبي
عن ابن عباس رضي الله عنهما انه سماها اساس القرآن قال وأساسها بسم
الله الرحمن الرحيم وسماها سفيان بن عيينه رحمه الله تعالى (الواقية)
وسماها يحيى بن كثير رحمه الله تعالى (الكافية) لانها تكفي عماعداها ولا
يكفي ماسواها عنها كما جاء في بعض الاحاديث المرسلة (أم القرآن
عوض من غيرها وليس غيرها عوضاً عنها) ويقال لها سورة الصلوة لما
رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ انه
قال (من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج ثلاثا غير تمام)
ف قيل لأبي هريرة رضي الله عنه ان نكون خلف الامام فقال اقرأ بها
في نفسك فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول (قال الله عز وجل قسمت
الصلوة بيني وبين عبدي نصفين ولعبي ما سأل فاذا قال (الحمد لله رب
العالمين) قال الله تعالى حمدني عبدي واذا قال ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ قال الله
تعالى اثنى علي عبدي فاذا قال ﴿ مالك يوم الدين ﴾ قال الله تعالى مجدني
عبدي وقال مرة فوض الى عبدي فاذا قال ﴿ اياك نعبد و اياك نستعين ﴾
قال الله تعالى هذا بيني وبين عبدي ولعبي ما سأل واذا قال (اهدنا
الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا
الضالين) قال الله تعالى هذا لعبدي ولعبي ما سأل) وهكذا رواه
النسائي عن اسحاق ابن راهويه ورواه الترمذي وقال حديث حسن وقال
ابو زرعه صحيح كما فصله الحافظ العباد ابن كثير في تفسيره الشهير .

فسميت الفاتحة صلاة لانها شرط فيها وهي مكية وقيل مدنية
ويقال نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة والاشبه الاول قال الامام
البخارى في أول كتاب التفسير من صحيحه وسميت ام القرآن وأم
الكتاب لانه يبدأ بكتابها في المصاحف ويبدأ بقراءتها في الصلوة
وقيل انما سميت بذلك لرجوع معاني القرآن كله الى ما تضمنته قال ابن
جرير رحمه الله تعالى في تفسيره والعرب تسمى كل جامع امرا او مقدم
لامر اذا كانت له توابع تتبعه هولها امام جامع اما فتقول للجلدة التي
تجمع الدماغ أم الرأس ويسمون لواء الجيش ورايتهم التي يجتمعون
تحتها أما وسميت مكة أم القرى لتقدمها أمام جميعها وجمعها ماسواها .
وهذه السورة المباركة اشتملت على حمد الله وتمجيده والثناء عليه
بذكر أسمائه الحسني المستلزمة لصفاته العليا وعلى ذكر المعاد وهو يوم
الدين وعلى ارشاده عبيده الى سواه والتضرع اليه والتبرؤ من حولهم
وقوتهم والى اخلاص العباد له وتوحيده بالالوهية تبارك وتعالى وتنزيهه
ان يكون له شريك أو نظير أو مماثل ، والى سؤالهم اياه الهداية الى الصراط
المستقيم وهو الدين القويم ، وثبيتهم عليه حتى يقضى لهم بذلك إلى جواز
الصراط الحسية يوم القيامة المفضى بهم إلى جنات النعيم ، في جوار النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين ، واشتملت على الترغيب في الأعمال
الصالحة ، ليكونوا مع أهلها يوم القيامة والتحذير من مسالك الباطل لئلا
يحشروا مع سالكها يوم القيامة وهم المغضوب عليهم والضالون ، قال
المحقق الفخر الرازي في مفاتيح الغيب أن سورة الفاتحة لها اسماء كثيرة

وكثرة الاسماء تدل على شرف المسمى منها فاتحة الكتاب سميت بذلك الاسم لانه يفتح بها في المصاحف والتعليم والقراءة في الصلاة ، ولان الحمد فاتحة كل كلام ، ومنها أم القرآن لاسباب الاول أن أم الشىء أصله ، والمقصود من كل القرآن تقرير أمور أربعة : الآلهيات والمعاد والنبوات واثبات القضاء والقدر لله تعالى ، فقوله الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم يدل على الآلهيات ومالك يوم الدين يدل على المعاد ، وإياك نعبد وإياك نستعين يدل على نفي الخبر والقدر وعلى اثبات أن الكل بقضاء الله وقدره ، واهدنا الصراط المستقيم الخ . يدل أيضاً على اثبات قضاء الله والقدرة وعلى النبوات فلما كان المقصد الاعظم من القرآن هذه المطالب الأربعة وهذه السورة مشتملة عليها لقبت بأم القرآن .

والثاني أن حاصل جميع الكتب الآلهية يرجع الى أمور ثلاثة : أما الثناء على الله باللسان ، وأما الاشتغال بالخدمة والطاعة ؛ وأما طلب المكاشفات والمشاهدات فقوله ﴿ الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين ﴾ كله ثناء على الله ، وقوله ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ اشتغال بالخدمة والعبودية بالجهد والاجتهاد ، واعتراف بالمعجز والذلة والمسكنة والرجوع الى الله ؛ وأما قوله ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ فهو طلب للمكاشفات والمشاهدات وأنواع الهدايات ، والثالث انما سميت بأم القرآن لان المقصود من جميع العلوم أما معرفة عزة الربوبية أو معرفة ذلة العبودية ، فقوله ﴿ الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين ﴾ يدل على أنه هو الآله المستولى على كل أحوال الدنيا

والآخرة ، ثم قوله ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ يدل على ذل العبودية فانه يدل على أن العبد لا يتم له شيء من الأعمال الظاهرة ، ولا من المكاشفات الباطنة إلا بإعانة الله تعالى وهدايته .

(الرابع) أن العلوم البشرية أما علم ذات الله تعالى وصفاته وافعاله وهو علم الاصول ، وأما علم أحكام الله تعالى وتكاليفه وهو علم الفروع ، وأما علم تصفية الباطن وظهور الانوار الالهية ، والمقصود من القرآن بيان هذه الانواع الثلاثة ، وهذه السورة الشريفة مشتملة عليها على أكمل الوجوه ، فقوله ﴿الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين﴾ إشارة إلى علم الاصول ؛ لأن الدال على وجوده وجود مخلوقاته ، فقوله ﴿رب العالمين﴾ يجري مجرى الإشارة إلى أنه لا سبيل إلى معرفة وجوده إلا بكونه رباً للعالمين ، وقوله الحمد لله إشارة إلى كونه مستحقاً للحمد ، ولا يكون مستحقاً للحمد إلا اذا كان قادراً على كل الممكنات عالماً بكل المعلومات .

ثم وصفه بنهاية الرحمة وهو كونه رحماناً رحيماً ، ثم وصفه بكمال القدرة وهو قوله ﴿مالك يوم الدين﴾ حيث لا يهمل أمر المظلومين بل يستوفى حقوقهم من الظالمين وعند هذا تم الكلام في معرفة الذات والصفات وهو علم الاصول ثم شرع بعده في تقرير علم الفروع وهو الاشتغال بالخدمة والعبودية وهو قوله اياك نعبد ثم مزجه أيضاً بعلم الاصول مرة أخرى وهو ان وظائف العبودية لا تكمل إلا بالإعانة الربوبية ثم شرع بعد ذلك في بيان درجات المكاشفات وهي على كثرتها

محصورة في أمور ثلاثة اولها حصول هداية النور في القلب وهو المراد من قوله اهدنا الصراط المستقيم والثاني ان يتجلى له درجات الابرار المطهرين من الذين انعم الله عليهم بالجلال والقدسية والجواذب الالهية حتى تصير تلك الارواح القدسية كالمرآيا المجلوة فينعكس الشعاع من كل واحدة منها الى أخرى وهو قوله صراط الذين أنعمت عليهم وثالثها أن تبقى معصومة عن أوزار الشهوات والشبهات وهو قوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين فلاشتمال هذه السيرة على هذه الاسرار العالية سميت بام القرآن كما ان الدماغ يسمى أم الرأس لاشتماله على جميع الحواس والمنافع ومن أسمائها سورة الحمد والسبع المثاني ، والواقفة والكافية والاساس والشفاء والصلوة والسؤال ، والشكر والدعاء وغيرها

قال الفخر الرازي أيضا وروى عن الحسين رضي الله عنه انه قال أنزل الله تعالى مائة وأربعة كتب من السماء فودع علوم المائة في الاربعة وهي التوراة والانجيل والزبور والقرآن ثم أودع علوم هذه الاربعة في القرآن ثم أودع علوم القرآن في الفاتحة فمن علم تفسير الفاتحة كان كمن علم تفسير جميع كتب الله المنزلة ومن قرأها فكانما قرأ تلك الكتب كلها فاسأل الله تعالى أن يوفقني وجميع المؤمنين لقراءتها وتدبر معانيها والاعتقاد والعمل بها آمين .

فصل

في ما ورد في فضل الفاتحة

وقد ذكر العلامة العباد ابن كثير في تفسيره الشهير روى الامام احمد في مسنده عن ابى سعيد بن المعلى رضي الله عنه قال كنت أصلي فدعاني

رسول الله ﷺ فلم أجبه حتى صليت فاتيته فقال ما منعك أن تأتيني قال قلت يا رسول الله انى كنت أصلى قال لم يقل الله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحییکم ﴾ الآية ثم قال لا علمك أعظم سورة فى القرآن قبل أن تخرج من المسجد قال فاخذ بيدي فلما أراد أن يخرج من المسجد قلت يا رسول الله انك قلت لا علمك أعظم سورة فى القرآن قال نعم ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ هى السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته « وهكذا رواه البخارى وابوداود والنسائى والترمذى وابن ماجه وذكره عبد العظيم المنذرى فى الترغيب والترهيب وروى مسلم فى صحيحه والنسائى فى سننه بسندهما عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال بينا رسول الله ﷺ وعنده جبريل عليه السلام اذ سمع نقيضاً فوقه فرفع جبريل بصره الى السماء فقال هذا باب قدفتح من السماء ما فتح قط قال فنزل منه ملك فاتى النبي ﷺ فقال ابشر بنورين قدأوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لم تقرأ حرفاً منها الا أوتيته واللفظ للنسائى

قال العبد الضعيف المعصومى عفى الله تعالى عنه وقد روى احمد فى مسنده والبيهقى فى الشعب وذكره السيوطى فى الدر المنثور عن عبد الله ابن جابر رضى الله عنه انه قال ان رسول الله ﷺ قال الا أخبرك باخير سورة نزلت فى القرآن قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب وقال فيها شفاء من كل داء وأخرج سعيد بن منصور فى سننه والبيهقى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه انه قال أن رسول الله ﷺ قال فاتحة

الكتاب شفاء من السم وروى الدارمي والبيهقي عن عبد الملك بن عمير رضي الله عنه انه قال قال رسول الله ﷺ فاتحة الكتاب شفاء من كل داء وروى البزار في مسنده وابن كثير في تفسيره عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ اذا وضعت جنبك على الفراش وقرأت فاتحة الكتاب وقل هو الله احد فقد أمنت من كل شيء الا الموت وعن رجاء الغنوي رضي الله عنه انه قال قال رسول الله ﷺ أستشفوا بما حمد الله به نفسه قبل أن يحمد خلقه، وبما مدح الله به نفسه قلنا وما ذاك يا رسول الله قال الحمد لله وقل هو الله احد فمن لم يشفه القرآن فلا شفاه الله وروى ابو الشيخ ابن حبان والسيوطي في الدر المنثور والدرر المنتثرة عن عطاء رحمه الله تعالى مر سلا انه قال الفاتحة لما قرئت له واذا أردت حاجة فاقرا بفاتحة الكتاب حتي تختمها تقضي انشاء الله تعالى

قال الفخر الرازي في تفسيره من قرأ سورة الفاتحة وآمن بها وعرف حقائقها صار آمنا من الدركات السبع في جهنم قال العبد الضعيف المعصومي لانه صار مؤمناً كاملاً ومن هذا شأنه فلا شك انه من الفالحين الفائزين فيارب اجعلنا منهم بفضلك يا أرحم الراحمين .

فصل

في انواع الكفر والشرك الذي كان في عصر النبي ﷺ
« ونزل القرآن لبيانه »

منهم من كان لا يعرف خالق العالم وينكر وجوده تعالى ويعتقد ان الاشياء حادثة بنفسها توجد بها الطبيعة والمادة والذهر وهم الدهريون والطبيعانية والمادية ذره المنجم ذره كافر عذره واضاله الله عن الحق فلهذا

الايام وقد بين الله عز وجل اثبات وجوده ودل عليه بوجود مخلوقاته
وعجائب مصنوعاته كما فصله في آيات كثيرة كما قال تعالى في سورة ابراهيم
﴿ قَالَتْ رَسَلَمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ. يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ
لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى. قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا .
تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾ وفي
سورة البقرة ﴿ إِنْ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ
مَاءٍ فَأَحْيَاءَ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ
وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ وحكى
الله تعالى عن المنكرين كما في سورة المؤمنين أنهم يقولون ﴿ ائِيعِدْكُمْ أَنْكُمْ إِذَا
مِتُمْ وَكُنْتُمْ تَرَابًا وَعِظَامًا أَنْكُمْ مَخْرُجُونَ ۚ هِيَاتِ هِيَاتِ لِمَا تُوْعَدُونَ إِنْ
هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ وفي سورة الشعراء
﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ
الْعَالَمِينَ ؟ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴾ وفي
سورة المؤمن ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَٰمَانُ ابْنِ لِى صَرْحًا لَعَلِّى أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ
أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى ، وَإِنِّى لَظَنُّهُ كَاذِبًا ، وَكَذَلِكَ زَيْنَ
لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصَدَّعْنِ السَّبِيلَ ، وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴾ وفي
سورة الجاثية ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ آلِهَهُ هَوَاهُ ، وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ ، وَخَتَمَ
عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غَشَاوَةً ، فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ
وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يَهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم

بذلك من علم ؛ أن هم لا يظنون ﴿ وهؤلاء الكفار الدهريون ومنكروا
وجود الله الخالق البارى رب العالمين كانوا فى نواحى مصر والفرس
والهند والصين . وفى هذه الايام كثروا فى بلاد الروس وسائر بلاد
أوروبا وأمريكا والصين . واشتهروا باسم القومونيست والشيوعية
والبلاشفة . ابادهم الله تعالى وأهلكهم وطهر الدنيا عنهم .

ومنهم من كانوا يعرفون الله تعالى ويصدقون بوجوده . ويقرون
بأنه خلق الخلق ورباهم ويربهم وان الجنة والنار موجودتان الى غير ذلك
من الآلهيات ، ولكنهم يقولون أنه لا يمكن الوصول اليه إلا بالوسائط
والشفعاء ويقيسونه بملوك الدنيا فيتخذون الوسطاء ويخضعون لهم
ويخشون منهم ويرجون منهم فيتضرعون اليهم ، وينذرون اليهم ويعبدونهم
مدعيًا أنهم شفعاؤهم عند الله فهم يقربونهم إلى الله زلفى ، وهم جمهور
العرب واليهود والنصارى والمجوس فافاد الله أنهم مشركون وكفار ؛ وما
نفعهم اقرارهم بوجوده تعالى وقولهم انه رب السموات والأرض ، بل
طلب منهم أن لا يعبدوا إلا إياه ولا يخضعوا إلا له ولا يخشوا إلا منه ؛
ولا ينذروا إلا اليه ؛ وان لا يدعوهم بدعاء وان لا يتخذوهم شفعاء لأنه
تعالى أقرب الينا من حبل الوريد ؛ وهو معهم أينما كانوا فلا يحتاج إلى
الشفعاء وهو يجيب الدعوات ويقضى الحاجات ويدفع البلياب وليس له
معين ولا وزير وهو غنى عن العالمين .

فارسل الله تعالى محمداً ﷺ اليهم فدعاهم إلى توحيد الله وتوحيد العبادة
وان يتبرؤا من معبوداتهم وشفعائهم ؛ بالجملة وأنهم وان أعترفوا بتوحيد

الربوبية ولكنهم اشركوا في العبادة والالوهية فبذلك صاروا مشركين فأوعدهم الله تعالى وانذر ؛ وعمما كانوا عليه حذر وزجر ، كما افاد في آيات كثيرة سأتلوه عليك ان شاء الله تعالى ، واني قد شاهدت الصينيين البوديين ومجوسيههم وبراهمة الهند والتبت أنهم يقرون بوجود الله تعالى وأنه خالق العالم ويشيرون الى السماء ويقولون ان الله موجود في السماء وهو الخالق العليم الخبير ، ولكنهم يخضعون لرهبانهم وينذرون اليهم ويعبدونهم بدعوى أنهم يتقربون بهم إلى الله تعالى ؛ فبذلك كفروا واشركوا فاستحقوا الوعيد الشديد .

والحاصل أن جميع الكفار والمشركين ما عدا الدهريين يقرون بوجود الله تعالى وأنه الخالق ، ولكن ما نفهم هذا الاقرار ؛ ولم يدخلهم في الاسلام ، بل شرط التبرئ عن كل الشفعاء والوسائط والمعبودات كلها ، وفصل ذلك فيما أنزله على رسوله محمد ﷺ ، وها أنا أنلوك بعض تلك الآيات بحوله تعالى وقوته ، ففي آخر العنكبوت ﴿ ولئن سألتهم من خلق السماوات والارض وسيخر الشمس والقمر ليقولن الله فاني يؤفكون ، ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الارض بعد موتها ليقولن الله ؛ قل الحمد لله ؛ بل أكثرهم لا يعقلون ، فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ؛ فلما نجاهم إلى البر اذا هم يشركون ، ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون ، والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ؛ وان الله لمع المحسنين ﴾ وفي لقمان ﴿ ولئن سألتهم من خلق السماوات والارض ليقولن الله ، قل الحمد لله ؛ بل أكثرهم لا يعلمون ، ذلك بان الله هو الحق ،

وان ما يدعون من دونه الباطل ، وان الله هو العلى الكبير ؛ واذا غشيهم
موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين ؛ فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد ،
وما يحدد بآياتنا إلا كل ختال كفور ، يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا
يوماً لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً ان
وعد الله حق فلا تفرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ﴿ وفي
سورة الزمر ﴾ ولئن سألتهم من خالق السموات والأرض ليقولن الله ،
قل أفرايتم ما تدعون من دون الله إن أرادنى الله بضر هل هن كاشفات
ضره أو أرادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته ؟ قل حسبي الله ، عليه يتوكل
المتوكلون ﴿ وفي آخر سورة الزخرف ﴾ ولئن سألتهم من خلقهم
ليقولن الله فأنى يؤفكون .

فانظروا إلى هذه الآيات وامثالها ، وتفكروا فيها وتدبروا إن
كل الكفار والمشركين يعترفون بوجود الله تعالى وأنه خالق السموات
والأرض وأنه مسخر الشمس والقمر ، وأنه هو الذى ينزل من السماء
المطر فيحيى به الأرض وأنه هو الذى ينجيهم من أمواج البحار وطفوفان
البلاء ، ومع كل هذا ما نفعمهم ذلك الاعتراف والاقرار ، وما نجاهم من عذاب
النار ، وغضب الله الواحد القهار ، بل شرط مع ذلك أن يتبرؤا من كل
ما يعتقدونه إلهاً ومعبوداً ونافعاً وضاراً من دون الله تعالى وأن لا يعبدوا
إلا إياه . وأن يؤمنوا بكل ما جاء به النبي محمد رسول الله ﷺ ويلتزموا
شريعته . فدعاهم النبي ﷺ إلى ذلك . وأفاد ان كل ما فيهم من دعاء من

دون الله وعبادته أوقعهم في خيال الشرك وظلمات الضلال . فاعتبروا
يا أولى الابصار .

تنبيه ان كان اعتراف الكفار والمشركين بوجود الله وقوله
الله لم ينفعهم . فهل ما يسميه أهل الطرق من اسم الذات (الله)
وتكرارهم ذلك ينفعهم . ويكون هو مأمورا به وذكر مشروعا . قد
اختلف الناس في ذلك . فبعض الصوفية عدوه ذكر مشروعا . فامروا
مريديهم بتكرار ذلك (الله الله) وأما العلماء المحققون فقد عدوه بدعة .
كما بين العلامة ابن تيمية في رسالة الكرامة والمعجزات حيث قال .
أن بعض الصوفية يختارون الخلوات فيخرج الى أجناس غير مشروعة
فمن هؤلاء من يأمر المريدان لا يزيد على الفرض لا قراءة ولا نظرا .
في حديث نبوي ولا غير ذلك ، بل قد يأمرونه بالذكر . ويقسمون
الذكر الى ذكر العامة وهو لا إله إلا الله ، وذكر الخاصة الله الله ، وذكر
خاصة الخاصة هو هو ، فتحصل لهم من هذه العبادات البدعية حالات
شيطانية ، وتنزل لهم الشياطين وخطاب شيطاني ، وبعضهم يطير
به شيطانه .

ولا شك ان الذكر بالاسم المفرد مظهرا ومضمرا بدعة في
الشريعة وخطأ في القول واللغة ، فان الاسم المفرد المجرد ليس هو كلاما
لا إلهان ولا إلهان . وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ انه قال .
« أفضل الكلام بعد القرآن أربع وهن مع القرآن ينسبحن الله والحمد
له ولا إله إلا الله والله أكبر » وفي حديث آخر « أفضل الذكر لا إله

الا الله وأفضل ما قلت انا والنبليون من قبلي . لا إله الا الله وحده
لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير » واما ذكر الاسم
المفرد فبدعة لم يشرع ، وليس هو بكلام يعقل ولا فيه إيمان . ولهذا
صار بعض من يأمر به من المتأخرين يبين انه ليس قصدنا ذكر الله
تعالى . ولكن جمع القلب على شيء معين حتى تستعد النفس لما يرد عليها .
فكان يأمر مريده بان يقول هذا الاسم مرات . فاذا اجتمع قلبه القى
عليه حالا شيطانيا فيلبسه الشيطان ويخيل اليه انه قد صار في الملاء
الأعلى . ومقصودهم بذلك الجمع ان تجتمع النفس حتى ينزل فيها
الشيطان . وقد يأمرهم ان يقعد في مكان مظلم ويغطي رأسه
ويقول الله الله وابو حامد يكثر من مدح هذه الطريقة في الاحياء
وغيره . وهذا من بقايا الفلسفة عليه الخ . وكذا حقه العلامة ابن
القيم في كتابه .

قال العبد الضعيف المهاجر وفي حرم الله المجاور محمد سلطان المعصومي
الخجندی عفى الله عنه ان لفظ (الله) وأمثاله قد يقرب به جميع المشركين
والمجوس واليهود والنصارى ماعدى الدهرية المادية الطبيعية كما جررت
أنفسا ما حكاها الله تعالى عنهم من انهم يقررون بان الله موجود وأنه خالق
السموات والأرض ومنزل الأمطار ورازق الاحياء ومع ذلك لا يعتبر
قولههم ذلك ولا يسمى قولهم الله ذكرا مشروعا ولا يحصل لهم به ثواب
ولا انهم صاروا مؤمنا به فلذا كان كذلك فلا يكون قائل الله الله ذكرا
ولا مؤمنا به عيا اسلاميا . بل الذكرا الاسلامي الشريفي الحمدي النقي

من الكفر والضلال والمحصل للثواب ورضا ذى الجلال انما هو لا اله الا الله خالصا من قلبه كما ان من قال محمد محمد ولو الف مرة لا يكون مسلما ولا مصيبا الا اذا قال محمد رسول الله فكذلك لا يكون قائل الله الله ذاكر الله ولا موحدا ولا مخلصا ولا مسالما حتى يقول لا اله الا الله وهذا هو الذكر الذى يخرج صاحبه من الظلمة الى النور ومن الكفر الى الايمان ومن الجهالة الى العرفان فاني قد شاهدت كثيرا من اليهود والنصارى فى اوربا وروسيا وتركستان وعاينت جمعا وفيرا من المجوس والبوذيين والبراهمة فى بلاد الصين والهند انهم يذكرون لفظ الله بلغتهم ويقررون ويقولون انه تعالى موجود وانه خالق العالم ويشيرون الى السماء ولكن يثبتون له شركاء وينسبون اليهم التصرف فى الكون ويزعمون كأنهم نواب الله فلهذا لم ينفعهم قولهم الله الله ولا ادخلهم فى الاسلام فانتبهوا يا ايها الغافلون .

فصل فى بيان التعوذ من الشيطان الرجيم فى ابتداء القراءة
وفى كل الازمان والحالات

امرنا الله تعالى كلما نريد ان نتلوا القرآن ان نستعيز بالله تعالى من شر الشيطان الرجيم . وشر وسوسته حيث قال فى سورة النحل (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم . انه ليس له سلطان على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون . انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون) العوذ والتموذ والاستعاذة والاعاذة . والاستعاذة هى الالتجاء الى الله تعالى والاتصاف بجنابه تعالى من شر كل ذى

شر . فالعياذة تكون لدفع الشر واللياذة تكون لطلب جلب الخير . ومعنى اعوذ بالله من الشيطان الرجيم اى استجير بحجاب الله تعالى من الشيطان الرجيم ان يضرنى فى دينى او دنياي . او يصدنى عن فعل ما أمرت به ، او ليحشنى على فعل ما نهيت عنه فان الشيطان لا يكفه عن الانسان الا الله عز وجل ولهذا أمر تعالى بمصانعة شيطان الانس ومداراته باسداء الجميل اليه ليرده طبعه عما هو فيه من الاذى وامر بالاستعاذة من شيطان الجن لانه لا يقبل رشوة ولا يؤثر فيه جميل لانه شرير بالطبع فلا يكفه عنك الا الذى خلقه فالعائد والمستعيد هو الملتجى والمعتصم الهارب الى ربه مما يخافه عموما وخصوصا . وقد امر الله تعالى عباده فى كتابه بالاستعاذه به فى مواضع من كتابه كما بينه العلامة العباد ابن كثير فى تفسيره الشهير والاستاذ الشيخ محمد عبده ايضا فى تفسيره بينه احسن بيان .

وقال العلامة الفخر الرازى من تفسيره الكبير الموسوم بمفاتيح الغيب وفى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم خمسة أركان . الاستعاذة والمستعيد . المستعاذ به والمستعاذ منه والشئ الذى لاجل تحصيل الاستعاذة فاعوذ مشتق من العوذ . ومعناه «الالتجاء والاستجارة والالتصاق كما يقال اطيب اللحم عوده اى ما التصق منه بالمعظم فعنى اعوذ بالله التجىء الى رحمته تعالى وعصمته والصبق نفسى بفضل الله ورحمته . والغرض من الاستعاذة الاحتراز من شر الوسوسة ومعلوم ان الوسوسة كانها حروف خفية فى قلب الانسان

ولا يطلع عليها احد فكان العبد يقول يا الله انت القادر على دفع هذه الوسوسة عني فادفعها عني بفضلك .
ثم اعلم ان الاستعاذة لا تتم الا بعلم وحال وعمل . اما العلم فهو كقول العبد عالماً بكونه عاجزاً عن جلب المنافع الدنيوية والدينية وعلى دفع المضار الدينية والدنيوية وان الله تعالى قادر على ايجاد جميع المنافع الدينية والدنيوية وعلى دفع جميع المضار الدينية والدنيوية قدرة لا يقدر احد سواه على دفعها عنه فاذا حصل هذا العلم في القلب بولد عن هذا العلم حصول حالة في القلب وهي انكسار وتواضع وبعبارة اخرى تلك الحالة بالتضرع الى الله تعالى والخضوع له فالركن الاعظم في الاستعاذة هو علمه بالله وعلمه بنفسه وأن يعلم انه لا يقدر احد سوى الله تعالى على ان يعينه على مقاصده اذ لو جاز ان يكون غير الله يعينه على مقاصده لم تكن الرغبة قوية في الاستعاذة بالله وذلك لا يتم الا بالتوحيد المطلق واعني بالتوحيد المطابق ان يعلم ان مدبر العالم واحد وان العبد غير مستقل بافعال نفسه فمال يعرف العبد عزة الربوبية وذلة العبودية لا يصح منه ان يقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ومن الناس من يزعم ان الذكر بالاسنان فقط يكفيه فهذا ضعيف جداً لا ثمرة له

والركن الثاني المستعاذ به . وهذا قد ورد في القرآن والاخبار على وجهين . اعوذ بالله . واعوذ بكلمات الله . والمراد بكلمات الله هو قوله ﴿ انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ﴾ والمراد من قوله كن نفاذ قدرته في الممكنات وسريان مشيئته في الكائنات بحيث يمنع ان يعرض.

له عائق ومانع . والركن الثالث المستعيز واعلم أن أعوذ بالله امر منه تعالى لعباده ان يقولوا ذلك وهذا غير مختص بشخص معين فهو امر على سبيل العموم لانه تعالى حكى ذلك عن الانبياء والاولياء وذلك يدل على ان كل مخلوق يجب ان يكون مستعيزاً بالله فالانبياء عليهم الصلوات والتسليمات كلهم كانوا أبدأً في الاستعاذة من شر شياطين الانس والجن . كما سنفصله انشاء الله تعالى .

والركن الرابع المستعاذ منه . وهو الشيطان . والمقصود من الاستعاذة دفع شر الشيطان ووسوسته . بناء على ماورد في الآثار انه يغوص في باطن الانسان ويضع رأسه على حبة قلبه ويلقى اليه الوسوسة وقد قال رسول الله ﷺ ان الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم الحديث .

الركن الخامس المطالب التي لأجلها يستعاذ فاعلم أنا بينما أن حاجات العبد غير متناهية فلا خير من الخيرات إلا وهو محتاج الى تحصيله ولا شر من الشرور إلا وهو محتاج الى دفعه وابطاله فقوله أعوذ بالله يتناول دفع جميع الشرور الروحانية والجسمانية وكلها أمور غير متناهية ونحن ننبه على معاقدها فنقول الشرور اما ان تكون من باب الاعتقادات الحاصلة في القلوب واما ان تكون من باب الاعمال الموجودة في الابدان اما القسم الاول فيدخل فيه جميع العقائد الباطلة فيدخل فيه مذاهب فرق الضلال في العالم وهي اثنان وسبعون فرقة من هذه الامة وسبعائة وأكثر خارج عن هذه الامة فقوله أعوذ بالله

يتناول الاستعاذة من كل واحد منها واما ما يتعلق بالاعمال البدنية فهي على قسمين منها ما يفيد المضار الدينية والدنيوية فاما المضار الدينية فكل ما نهى الله عنه في جميع اقسام التكليف واعوذ بالله يتناول كلها واما ما يتعلق بالمضار الدنيوية فهو جميع الالام والاسقام والحرق والغرق والفقر والزمانة والعمى وانواعها فقوله اعوذ بالله يتناول الاستعاذة من كل واحد منها واهم ما يستعاذ منه الجهل بأنواعه ويدخل فيه مذاهب اهل الكفر واهل البدعة على كثرتها والفسوق بانواعها فيجب على العاقل انه اذا اراد ان يقول اعوذ بالله فأنه يستحضر في ذهنه هذه الاجناس كلها ويلتجى الى القادر على دفعها فيقول عند ذلك اعوذ بالله القادر على كل المقدورات من جميع اقسام الافات والخافات فالعبد حين يقول اعوذ بالله يفر الى الله ويلتجى اليه مقرأ على نفسه بالعجز والافتقار فيشاهد سر قوله تعالى (ففروا الى الله) فالمتعوذ بالله معترف بعجز نفسه وبقدرة الرب وهذا يدل على انه لا وسيلة الى القرب من حضرة الله الا بالعجز والانكسار حكاية تناسب المقام وهي ما حكاها العلامة الحافظ ابراهيم الفرج عبد الرحمن بن الجوزي في كتابه نقد العلم والاعماء او تلبيس ابليس . حكى عن بعض السلف انه قال لتلميذه ما تصنع بالشيطان اذا سول لك الخطايا قال اجاهده قال فان عاد قال اجاهده قال فان عاد قال اجاهده قال هذا يطول رأيت اذا مررت بغنم فتباحك كلها أو منعتك من العبور ما تصنع قال اكابده وازده جهدي قال هذا يطول عليك واسكن استعن بصاحب الغنم يكفه عنك انتهى قلت فينبغي على العاقل أن يتعوذ من الشيطان بالذى خلقه وسلطه على من شاء كما لا يخفى على العاقل الفطن فيا رب احفظنا من شر الشيطان الرجيم

تنبيه

﴿ في تحقيق لفظ الجلالة « الله » ومعناه ﴾

واما الله فعلم على الرب تبارك وتعالى وهو اسم لم يسم به غيره
تبارك وتعالى ولهذا لا يعرف له في كلام العرب اشتقاق وان اختلفوا
وتكلموا فيه بما لا يفيد هنا ف قيل انه مشتق من اهلته الى فلان اى سكنت
اليه فالعقول لا تسكن الا الى ذكره والارواح لا تفرح الا بمعرفته لانه الكامل
على الاطلاق دون غيره قال الله تعالى ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾
وقيل اله الفصيل اذا ولع بأمه والمعنى ان العباد مألوهون ومواعون
بالتضرع اليه في كل الاحوال وقيل من اله الرجل يأله اذا فزع من
امر نزل به فالله اى أجاره فالحجير لجميع الخلائق من كل المضار هو الله
سبحانه لقوله تعالى ﴿وهو يجبر ولا يجار عليه﴾ وأختار الفخر الرازى انه اسم
غير مشتق البتة وقال وهو قول الخليل وسيبويه واكثر الاصوليين والفقهاء.
وذكر ابن كثير في تفسيره وقيل مشتق من أله الرجل اذا تعبد
بوتأله اذا تنسلك وقرأ ابن عباس رضى الله عنهما (ويذكرك وألهتك) اى
عبادتك ويقال ان الله هو الاسم الاعظم لانه يوصف بجميع الصفات كما قال
تعالى ﴿هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم
هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار
المتكبر سبحانه الله عما يشركون هو الله الخالق البارئ المصور له الاسماء
الحسنى يسبح له ما فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم﴾ فاجرى
الله الاسماء الباقية كلها صفات له كما قال تعالى ﴿والله الاسماء الحسنى فادعوه

بها ﴿ وقال تعالى ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى ﴾ وفي الصحيحين عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله ﷺ قال ان لله تعالى تسعة وتسعين اسما مائة الا واحداً من أحصاها دخل الجنة » وجاء تعدادها فى رواية الترمذى وابن ماجه : وبين الروايتين اختلاف زيادة ونقصان وقد ذكر الرازى فى تفسيره عن بعضهم ان لله خمسة آلاف اسم الف فى الكتاب والسنة الصحيحة والف فى التوراة والف فى الانجيل والف فى الزبور والف فى اللوح المحفوظ والله أعلم .

وفى مجموعة التوحيد النجدية نقلا عن كتاب البدائع لابن القيم الجوزية والآله هو الذى تأله القلوب محبة وإجلالا واناة وكراما وتعظيما وذلا وخضوعاً وخوفاً ورجاء وتوكلاً عليه وسؤالاً منه ودعاء له لا يصلح ذلك كله الا لله وحده فمن أشرك مخلوقاً فى شىء من هذه الامور التى هى من خصائص الالهية كان ذلك قدحاً فى إخلاصه فى قول لا اله الا الله وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك. وقال ابو عبد الله القرطبي فى تفسيره (لا اله الا الله) اى لا معبود الا الله وقال ابن تيمية الاله هو المعبود المطاع فان الآله هو المألوه الذى يستحق أن يعبد وكونه يستحق هو بما اتصف به من الصفات التى تستلزم أن يكون هو المحبوب غاية الحب الخضوع له غابة الخضوع والآله هو المحبوب المعبود الذى تأله القلوب بحبها وتخضع له وتذل له وتخافه وترجوه وتنيب اليه فى شذائدها وتدعوه فى مهماتها وتوكل عليه فى مصالحها وتاجأ اليه وتطمئن بذكره وتسكن الى حبه وليس ذلك الا لله وحده ولهذا كانت

لا اله الا الله اصدق الكلام و كان أهلها اهل الله وحزبه والمنكرون لها أعداؤه وأهل غضبه ونقمته فاذا صححت صبح بها كل مسألة وحال وذوق واذا لم يصححها العبد فالفساد لازم له في علومه وأعماله وهذا هو الكلام عند أهل السنة جميعهم في سعادة من هدى الى معرفة حقيقة دين الاسلام واتبعه .

فصل

في تحقيق لفظ الشيطان ومعناه وحقيقته

وأما الشيطان فاسم لكل عارمات من الجن والانس؛ والشيطان في لغة العرب مشتق من شطن اذا بعد فهو بعيد بطبعه عن طباع البشر و بعيد بفسقه عن كل خير وقيل مشتق من شاط لانه مخلوق من نار ومنهم من يقول كلاهما صحيح في المعنى . لكن الاول أصح وقال سيبويه العرب تقول تشيطن فلان اذا فعل فعل الشياطين فالشيطان مشتق من البعد على الصحيح ولهذا يسمى كل من تمرد من جنى وأنمى وحيوان شيطانا قال الله تعالى ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ﴾ وفي مسند الامام احمد عن أبي ذر رضى الله عنه انه قال قال رسول الله ﷺ « تعوذوا بالله من شياطين الانس والجن فقلت أوللانس شياطين قال نعم » وورد أن الكلب الاسود شيطان وان عمر بن الخطاب رضى الله عنه ركب برذونا فجعل يتبختر به فجعل يضر به فلا يزداد الا تبختر افنزل عنه وقال ما حملته وني الاعلى شيطان » استناده صحيح كما ذكره العلامة العباد بن كثير في تفسيره وقال الامام البغوى

في تفسيره الشيطان المتمرد العاتى من الانس والجن ومن كل شيء واصله
البعد سمي الشيطان شيطاناً لامتداده في الشر وبعده من الخير وكذلك
ذكره الاصفهاني في غرائب القرآن ومحمد عبده في تفسيره وكذا في
المدارك والغازن وغيرهما .

وأما الرجيم فهو بمعنى المرجوم . وفعليل بمعنى فاعل . اي يرمي
بالوسوسة والشر وقيل بمعنى مفعول اي مرجوم بالشهب عند استراق
السمع وقيل مرجوم بالعذاب وقيل مرجوم بمعنى مردود ومطروح عن
الرحمة وعن الخيرات وعن منازل الملائكة والاعلى وقال ابن كثير في تفسيره
والرجيم فعليل بمعنى مفعول اي انه مرجوم مطروح عن الخير كله وقيل
رجيم بمعنى راجم لانه يرمي الناس بالوسواس والرباثة والاول اشهر
وأصح

في حكم الاستعاذة

وأما حكم الاستعاذة فاتفق الجمهور على ان الاستعاذة سنة في الصلوة
ويستحب لقارئ القرآن خارج الصلاة أن يتعوذ أيضاً وحكى عن
عطاء رحمه الله وجوبها سواء كانت في الصلاة أو خارجها لظاهر قوله
تعالى ﴿ فاستعذروا ﴾ والامر للوجوب وان النبي ﷺ واظب على التعموذ
فيكون واجباً ووقتها قبل القراءة عند الجمهور سواء كانت في الصلوة
أو خارجها وان قال البعض ان القارئ يتعوذ بعد القراءة لظاهر سياق
الآية . أو يتعوذ أولاً وآخرًا جمعاً بين الدليلين ولكن المشهور الذي
عليه الجمهور ان الاستعاذة انما تكون قبل التلاوة لدفع الوسوس عنها

معنى الآية عندهم ﴿ فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ﴾ اي اذا أردت القراءة كقوله تعالى ﴿ اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا رجلكم وايدكم ﴾ الآية اي اذا أردتم القيام والذليل على ذلك الاحاديث عن رسول الله ﷺ وقد روى الامام احمد في مسنده واصحاب السنن الاربعة بسندهم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه انه قال كان رسول الله ﷺ اذا قام من الليل فاستفتح صلاته وكبر قال (سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك) ثم يقول لا اله الا الله ثلاثا ثم يقول أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه قال الترمذي هو اشهر شيء في هذا الباب ، وكذا عن جبير بن مطعم وعمر بن الخطاب وابن مسعود وأبي أمامة الباهلي وغيرهم رضي الله عنهم ، فجمهور العلماء على أن الاستعاذة مستحبة ليست بمحتمة يأثم تاركها . وحكى الرازي عن عطاء بن أبي رباح رحمه الله تعالى وجوبها في الصلاة وخارجها كله أراد القراءة ، وقال ابن سيرين رحمه الله تعالى إذا تموز مرة واحدة في عمره فقد كفي في إسقاط الواجب ، واحتج الرازي لعطاء بظاهر الآية (فاستعذ) وهو أمر وظاهره الوجوب وبمواظبة النبي ﷺ عليها ولانها تدراً شر الشيطان ؛ وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب ، ولان الاستعاذة أحوط ، وهو أحد مسالك الوجوب ، وقال بعضهم كانت واجبة على النبي ﷺ دون أمته ، وإذا قال المستعيز أعوذ بالله من الشيطان الرجيم كفي ذلك عند الشافعي وأبي حنيفة رحمهما الله تعالى ؛ وزاد بعضهم أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، وقال آخرون

بل يقول أَعُوذُ بِاللّٰهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ان الله هو السميع العليم ،
قاله الثوري والاوزاعي رحمهما الله تعالى وحكى عن بعضهم انه يقول
استعين بالله من الشيطان الرجيم ، لمطابقة أمر الآية ، والاحاديث
الصحيحة أولى بالاتباع من هذا كما تقدم والله أعلم
واعلم أن الله تعالى كما أمر بالاستعاذة من الشيطان في أول قراءة
القرآن كذلك أمر بالاستعاذة منه في جميع الحالات ، لان الشيطان
هو العدو المبين الذي أضل ابانا آدم وأمنا حواء عليهما السلام ،
وأخرجهما من الجنة مدعياً انه ناصح لهما ، فهو عدو لبنييه الى يوم القيامة ؛
فينبغي على كل واحد منا ذكرّاً او انثى أن يستعين بالله من شره ووسوسته
ونفثه ونفخه ، وقد استعاذ منه من هو خير منا ومن كل البرية ، الا
وهو سيد المرسلين سيدنا محمد وكنّا سائر الانبياء والمرسلين عليهم
الصلوات والتسليمات ، كما قال الله تعالى في كتابه الكريم وأمر به حيث
قال في سورة الاعراف ﴿ وَإِذَا يَنْزَغُنَاكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللّٰهِ
إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ
تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ واخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون ﴿
وَفِي سُورَةِ الْحَجِّ قَالَ الشَّيْطَانُ حِينَ مَالَعْنِي وَطَرَدَنِي ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي
لَا زَيْنَ لَكَ فِي الْأَرْضِ ، لَا غَوْيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ الاعبادك منهم المخلصين ﴿
قال هذا صراط على مستقيم * ان عبادي ليس لك عليهم سلطان
الا من اتبعك من الغاوين * وفي سورة المؤمنون * وقل رب أعوذ
بك من هزات الشياطين . وأعوذ بك رب أن يحضرون * وفي سورة

المؤمن ﴿ ان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم. ان في صدورهم
 الاكبر ما هم بيالغيه . فاستعذ بالله انه هو السميع العليم ﴾ وفي سورة
 حم السجدة ﴿ واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو
 السميع العليم . وقل أعوذ برب الفلق . من شر ما خلق . ومن شر
 غاسق اذا وقب . ومن شر النفاثات في العقد . ومن شر حاسد اذا
 حسد . وقل أعوذ برب الناس . ملك الناس . آله الناس . من شر
 الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس ﴾
 وان أم صريم عليهما السلام قالت ﴿ واني أعيذها ﴾ أي صريم ﴿ بك
 وذريتها من الشيطان الرجيم ﴾ فوجدت الخلعة والقبول وهو قوله تعالى
 ﴿ فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً ﴾ وقد قال نوح عليه السلام
 كما حكى الله تعالى عنه ﴿ انى أعوذ بك ان أسألك ما ليس لى به علم ﴾
 وقال يوسف عليه السلام حين راودته المرأة ﴿ معاذ الله انه ربى أحسن
 منى ﴾ وقال حين قيل له خذ أحدنا مكانه ﴿ معاذ الله أن نأخذ إلا من
 وجدنا متاعنا عنده ﴾ وان موسى عليه السلام لما أمر قومه بذبح البقرة
 قال قومه ﴿ أتتخذنا هزواً ، قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين ﴾
 ولما خوفه قومه بالقتل ﴿ قال إني عدتُ بربى وربكم أن ترجعوا ﴾ واني عدت
 بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب وان الله تعالى أمر
 محمداً ﷺ بالاستعاذة مرة بعد أخرى فقال ﴿ وقل رب أعوذ بك من
 هزات الشياطين وأعوذ بك برب أن يحضرون ، وقل أعوذ برب الفلق
 وقل أعوذ برب الناس ﴾

فصل

في بيان عداوة الشيطان لبني آدم

اعلم أنه لا شك في عداوة الشيطان لآدم وبنيه ، فيوسوسهم من كل باب . كما أخبر الله تعالى عن ذلك في غير موضع من كتابه ، وليس للشيطان مطلب غير هلاك ابن آدم لشدة عداوته لآدم وبنيه كما قال تعالى ﴿ يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ، وإن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ﴾ وقد أقسم للوالد آدم عليه السلام أنه لمن الناصحين وكذب فكيف معاملته لنا وقد قال ﴿ فبعضتك لاغوينهم أجمعين ، إلا عبادك منهم المخلصين ﴾ وقال تعالى ﴿ فازلحمنا الشيطان عنها فخرجها مما كانا فيه ، وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين ﴾ وقال في سورة الاعراف قال الله : ﴿ ما منعك ﴾ يا ابليس ﴿ إلا تسجد إذ أمرتك . قال أنا خير منه ؛ خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾ فقال ابليس بعد أن طرد ﴿ قال انظرنى إلى يوم يبعثون ، قال إنك من المنظرين ، قال فما اغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم ، ثم لا آتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمنهم وعن شمائلهم ، ولا تجدوا أكثرهم شاكرين ؛ وناداهما ربهما أي آدم وحواء ، ألم أنهما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين ، يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوأتها ؛ إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم ، إنا جعلنا الشياطين

أولياء للذين لا يؤمنون ﴿ فانظروا الى هذه الآيات وتفكروا فيما يفعله الشيطان من الفتنة والاغواء والوسوسة ، وآرائنه نفسه ناصحاً . والتزامه أنه يغوى الناس كلهم بكل طريق ووسيلة ، فيجب حتماً على كل عاقل ان يتعوذ بالله منه ، وان يلتجئ الى الله ليحفظه من شره .

ثم اعلم يا أخى العزيز كما أن الشيطان يكون من الجن والابليس كذلك يكون أيضاً من الآدمي والانس ، فكما ينبغي التعوذ من شيطان الجن كذلك يلزم التعوذ من شياطين الانس ، وربما يكون اغواء شياطين الانس أشد وأضر للمجانسة والمصاحبة الظاهرية كما أفاد الله تعالى ذلك فى غير موضع من كتابه حيث قال فى سورة البقرة ﴿ واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم ﴾ اى اذا اجتمع للنافقون مع أكابرهم ورؤسائهم ودجاجلتهم قالوا انا معكم فى السر . قلت ككثير ممن هو فى زى العلماء والمشائخ الذين يخدمون للنصارى المستعمرين سراً ويتجسسون لهم على المسلمين فبذلك شتتوا شمل المسلمين كما هو المشاهد فنعوذ بالله منهم ومن شرورهم . وفى سورة الانعام ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا . وان تطع أكثر من فى الارض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون ﴾ وقل أعوذ برب الناس . ملك الناس . اله الناس . من شر الوسواس الخناس . الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس ﴾

وفى مسند الامام احمد عن أبي ذر رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « يا أبا ذر تعوذ بالله من شياطين الانس والجن » . فقلت أو

للانس شياطين قال نعم . وفي مسلم عن حذيفة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ يكون بعدى أئمة لا يهتدون بهدأى ولا يستنوب بسنتى . وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين فى جثمان انس . الحديث . فثبت بهذه الآيات والاحاديث ان للانس يكون شيطاناً . وسوستهم وإفسادهم أشد واكبر من شياطين الجن . ولهم أحزاب ومعاونون يضلون الناس عن الصراط المستقيم الى صراط الجحيم . قال تعالى فى سورة المجادلة (استحوذ) استولى (عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله . اولئك حزب الشيطان ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون *) فحزب الشيطان هم الأئمة المضلون . والرؤساء الداجلة المتكبرون من كل ملة وفرقة . كعبد الله بن سبأ ومقنع السمرقندى وآخرهم فى هذه الأعصار ميرزا احمد القادىانى الهندى وقاسم أمين بيك المصرى . وموسى جارا الله الروسى واضرابهم فاتهم افسدوا عقيدة المسلمين بدعواهم الاصلاح . وهم كذابون ودجالون وقد أجروا أنفسهم للمستعمرين والمبشرين والبلاشفة واللا دينيين .

وقد أخبر النبى ﷺ عن هؤلاء وحذر أمته منهم . كما ثبت فى أحاديث صحيحة . منها ما رواه مسلم فى أول صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه يقول قال رسول الله ﷺ « يكون فى آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الاحاديث بما لم تسمعوا انتم ولا آباؤكم فاياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم . وروى البخارى فى الفن ومسلم فى الامارة من صحيحهما عن حذيفة رضى الله عنه قال كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير

وانا كنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني . قال قلت يا رسول الله انا
كنا في جاهلية وشر ف جاءنا الله بهذا الخير . فهل بعد هذا الخير من شر
قال نعم . قلت وهل بعد ذلك الشر من خير . قال نعم وفيه دخن (أى
كدورة) قلت وما دخنه . قال قوم يستنون بغير سنتي ويهدون بغير
هدى تعرف منهم وتنكر . قلت فهل بعد ذلك الخير من شر . قال نعم
دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها . قلت يا رسول الله
صنهم لنا . قال هم من جلدتنا ويتكلمون بالسنتنا . قلت فما تأمرني ان
أدركني ذلك قال تلزم جماعة المسلمين وإمامهم . قلت فان لم يكن لهم
جماعة ولا امام . قال فاعزل تلك الفرق كلها ولو تعض بأصل شجرة حتى
يدركك الموت وأنت على ذلك . وعن ثوبان رضى الله عنه قال قال رسول
الله ﷺ « إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين . وإذا وضع السيف في أمتي
لم يرفع عنهم إلى يوم القيامة ، رواه أبو داود والترمذي واللفظ له في الفتن ،
وفي رواية « إنما أخاف على أمتي أئمة مضلين » .

وما أضل المسلمين إلا أئمة المضلون . وما أهلك الناس إلا الدجالون
الكذابون ، وأما العوام المساكين فهم لهؤلاء تابعون ، فإذا جاء يوم القيامة
وظهرت حقيقة الامر يقول أهل الضلال كما أخبر الله تعالى في سورة
الاحزاب ﴿ وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا ، ربنا
آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً ﴾ فلتدرك ذلك قبل وقوعه
أمرنا الله بالاستعاذة من شر الشياطين فيجب علينا أن نتفكر ذلك كله
فنستعين بالله من كلهم . وسأفصل أنواع الشياطين وأصنافهم وعلاماتهم

فصل

في خواص التعموذ ونتائجه

فاعلم أن الاستعاذة تطهر القلب عن كل شيء يشغله عن الله تعالى، ومن لطائف الاستعاذة أنه اقرار من العبد بالعجز والضعف، واعتراف من العبد بقدرة الباري عز وجل، وأنه هو الغني القادر على دفع جميع المضرات والآفات. واعتراف من العبد أيضاً بأن الشيطان عدو مبين ففي الاستعاذة الالتجاء إلى الله تعالى القادر على دفع وسوسة الشيطان الفاجر الغوي، وأنه لا يقدر على دفعه عن العبد إلا الله تعالى، وإن من لطائف الاستعاذة أنها طهارة للضمير مما كانت يتعاطاه من اللغو والرفث وتطيب له لتلاوة كلام الله تعالى، وهي استعاذة بالله واعتراف له بالقدرة وللعبد بالضعف والعجز عن مقاومة هذا العدو المبين الباطني الذي لا يقدر على منعه ودفعه إلا الله الذي خلقه. وهو لا يقبل مصانعة. ولا يدارى بالاحسان بخلاف العدو من نوع الانسان. كما دلت على ذلك آيات من القرآن قال تعالى ﴿ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلاً﴾. ومن قتله العدو الظاهري البشري كان شهيداً. ومن قتله العدو الباطني كان طريداً. ومن غلبه العدو الظاهري كان مأجوراً، ومن قهره العدو الباطني كان مفتوناً أو موزوراً. ولما كان الشيطان يرى الانسان من حيث لا يراه استعاذ منه بالذي يراه ولا يراه الشيطان. كما ذكره العماد ابن كثير في تفسيره الشهير.

وينبغي للمستعبد أن يستعبد بالله من جميع المنهيات والمحظورات سواء كانت اعتقادية أو عملية ، والاقدام على الطاعات لا يتيسر إلا بعد الفرار من الشيطان . وذلك هو الاستعاذة بالله . وسر الاستعاذة هو الالتجاء إلى قادر يدفع الآفات عنك . ومن أجل الامور التي يلقي الشيطان . وسوسته فيها قراءة القرآن . لان من قرأ القرآن ونوى بها عبادة الرحمن وتفكر في وعده ووعيده وآياته وبيناته . ازدادت رغبته في الطاعات ورهيته . عن المحرمات فلهذا السبب صارت قراءة القرآن من أعظم الطاعات . فلا جرم كان سعى الشيطان في الصد عنه أبلغ . وكان احتياج العبد إلى من يصونه عن شر الشيطان أشد . فلهذه الحكمة اقتضت قراءة القرآن الاستعاذة . والعبد حين يفر إلى ربه قائلاً أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . يستقر في خدمة مولاه . بيسم الله الرحمن الرحيم . والعبد يطهر باطنه وظاهره من تلويثات النفس والشيطان باعوذ بالله من الشيطان الرجيم فإذا حصل الطهور يستعد لخدمة مولاه وذكره بيسم الله الرحمن الرحيم

ثم اعلم ان ارباب الاشارات قالوا ان لك عدوان احدهما ظاهر والاخر باطن وانت مامور بمحاربتها . قال الله تعالى في العدو الظاهر ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ وقال في العدو الباطن ﴿ ان الشيطان لاسم عدو فاتخذوه عدوا ﴾ ولا شك ان محاربة العدو الباطن اهم من محاربة العدو الظاهر . لان العدو الظاهر ان وجد فرصة ففي متاع الدنيا وحياتها . والعدو الباطن ان وجد فرصة ففي الدين واليقين . وأيضا كما ذكرت لك ان العدو الظاهر

ان غلبنا كنا مأجورين والعدو الباطن ان غلبنا كنا مفتونين. ومؤزورين. وأيضا فمن قتله العدو الظاهر كان شهيدا ومن قتله العدو الباطن كان طريدا فكان الاحتراز عن شر العدو الباطن أولى. وذلك لا يكون الا بان يقول الرجل بقلبه ولسانه اعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

« فصل » ان الشيطان إنما يغلب على من يطيعه ويواليه. لانه تعالى يقول كما في سورة آل عمران ﴿ إنما ذلکم الشیطان یخوف أولیاءه . فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنین ﴾ وفي سورة الحجر ﴿ ان عبادی لیس لك علیهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوین ﴾ وفي النحل ﴿ إنه لیس له سلطان علی الذین آمنوا وعلی ربهم یتوكلون انما سلطانه علی الذین یتولونه والذین هم به مشرکون ﴾ وفي الزخرف ﴿ ومن یعش ﴾ يعرض ﴿ عن ذکر الرحمن نقيض له شیطانا فله قرین . وأنهم لیصدونهم عن السبیل ویحسبون أنهم مهتدون ﴾ أفادت هذه الآيات ان الشيطان إنما يستولى ويغلب على من أطاعه واتبعه. ولم يتفكر في آيات الله وأوامره بل اتبع نفسه وهواه ولشهواته. فبذلك صار أسيرا في شبكة شيطانه. فضل عن الصراط المستقيم ووقع فيما يؤديه الى مهاوى الجحيم.

« فصل » ان الشيطان لما كان عدوا مبينا لجميع بني آدم كان الانبياء عليهم الصلاة والسلام كلهم يعمدون بالله من شره كما بيناه سابقا. وهما أنا الآن أذكر ما ثبت عن سيد المرسلين سيدنا محمد ﷺ وصحابته الكرام رضی الله عنهم. وروى ابن كثير في تفسيره عن أبي داود وابن ماجه ومسنده أحمد بسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال كان رسول الله ﷺ

إذا قام من الليل فاستفتح صلاته وكبر ثم يقول أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه . وقد فسر الهمز بالموتة وهى الخنق والنفخ بالكبر والنفث بالشعر . وكذا رواه الترمذى والنسائى . وعن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبي ﷺ انه قال . اللهم انى أعوذ بك من الشيطان الرجيم وهمزه ونفخه ونفثه . وقد روى ان جبريل عليه السلام اول ما نزل بالقرآن على رسول الله ﷺ امره بالاستعاذة كما ذكره الامام ابو جعفر ابن جرير فى تفسيره بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال اول ما نزل على محمد ﷺ قال يا محمد استعذ . قال استعيز بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم . ثم قال قل بسم الله الرحمن الرحيم . ثم قال ﴿ اقرأ بسم ربك الذى خلق ﴾ وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال استب رجلان عند النبي ﷺ واغرقا فيه . فقال ﷺ انى لاعلم كلمة لو قالها لذهب عنها ذلك وهى قوله ﴿ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴾ . رواه

وعن معقل بن يسار رضى الله عنه عن النبي ﷺ انه قال من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين الف ملك يصلون عليه حتى يمسى فان مات فى ذلك اليوم مات شهيداً . ومن قالها حين يمسى كان بتلك المنزلة رواه .

وعن أنس رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال « من استعاذ فى اليوم عشر مرات وكل الله تعالى به ملكا يذود عنه الشيطان » رواه وعن خولة بنت حكيم رضى الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال

« من نزل منزلاً فقال : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ، لم يضره شيء حتى يرتحل من ذلك المنزل » رواه مسلم في صحيحه وأبو داود وأحمد . وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال « إذا فزع أحدكم في النوم فليقل « أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وإن يحضرون فإنها لا تضره » رواه أبو داود والترمذي . وكان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما يعامها من بلغ من أولاده ، ومن لم يبلغ كتبها في صك ثم علقها في عنقه . رواه الترمذي . وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي ﷺ أنه كان يعوذ الحسن والحسين ويقول « أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة » ويقول كان أبي إبراهيم عليه السلام يعوذ بهما اسماعيل وإسحاق عليهما السلام . رواه

وعن سويد أنه قال سمعت أبا بكر الصديق رضى الله عنه يقول على المنبر أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . وقال سمعت رسول الله ﷺ يتعوذ بالله من الشيطان الرجيم « فلا أحب أن أترك ذلك ما بقيت » رواه فثبت بهذه الأحاديث أنه ينبغي على الإنسان العاقل أن يستعين بالله دائماً من شر الشيطان الرجيم وشر كل ذي شر ، وشر كل من اتصف بصفة من الصفات الشيطانية وإن قد كنت فـ كرت في مادة (٩٦٢) من كتابي حبل الشرح المتين وعروة الدين المبين . أحاديث في خواصه فمن جملتها ما رواه مسلم وأبو داود وأحمد عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال جاء

رجل الى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله مانمت البارحة من عقرب لدغتنى : فقال أما لو قلت حين أمسيت . أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضر لك شيء ، انشاء الله تعالى . فثبت أن التعوذ بالله وبكلماته التامات هو الدواء الشافي . والحرز الحصين الوافي الكافي . فتعوذ بالله من شر الشيطان ومن شرور أنفسنا .

« فصل » اعلم حفظني الله تعالى واياك عن شر الشيطان والنفس وشر

كل ذي شر

ان التعوذ والاستعاذة انما يكون بالله وبصفاته وبكلماته التامات لا غيرها . وأما بغيره تعالى وبغير صفاته وكلماته فشرك وضلالة وكفر وجهالة . وقد قرر العلماء المحققون كما في مجموعة التوحيد وغيرها . إن من الشرك الاستعاذة بغير الله : لان التعوذ والاستعاذة الالتجاء والاعتصام بعبادة . وقد أمر الله تعالى بعبادته في كتابه بالاستعاذة به كما بيناه فيما سبق . فهو عبادة فلا يجوز أن تصرف لغير الله كغيرها من أنواع العبادات . وفي تفسير ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان رجال من الانس يبيت أحدهم بالوادي في الجاهلية فيقول أعوذ بعزير هذا الوادي . فزادهم ذلك إثمًا كما أخبر الله تعالى (كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادهم رهقاً) وقد أجمع العلماء على أنه لا تجوز الاستعاذة بغير الله وقال إمامنا القاري الحنفى رحمه الله تعالى لا تجوز الاستعاذة بالجن . فقد ذم الله الكافرين على ذلك وذكر الآية . وقد شرع الله تعالى لاهل الاسلام ان

يستعينوا به تعالى . لا كما يفعله أهل الجاهلية من الاستعاذة بالجن . وشرع الله تعالى للمسلمين ان يستعينوا بأسمائه وصفاته وكلماته . وحق على المستعين بالله ان يصدق الله في التجائه اليه ويتوكل في ذلك عليه ويحضر ذلك في قلبه . فمن فعل ذلك وصل الى منتهى طلبه ومغفرة ذنبه . قال العلامة بن تيمية وقد نص الأئمة كأحمد وغيره على انه لا تجوز الاستعاذة بمخلوق . ولهذا نهى النبي ﷺ عن التعازيم والتعاويز التي لا يعرف معناها خشية ان يكون فيها شرك

قال الجامع الغريب المهاجر محمد سلطان المعصومي عفى الله عنه فكما انه لا يستعان الا بالله . ولا يتوكل ولا يعتمد الا على الله ولا يعبد الا اياه . ولا ينذر الا الله فكذلك لا يستعاذ الا بالله . لانه لا يقدر أحد أياً كان على دفع الشيطان ووسوسته الا الله الذي خلقه فسلطه على عباده ابتلاء وامتحاناً لهم . فالتعوذ بغيره تعالى جهل يؤدي صاحبه الى الضلال والخيال فتعوذ بالله ملتجئاً اليه ومتوكلاً عليه عن صميم قلوبنا عن شر الشيطان الرجيم . سواء كان شيطان الجن وابليس أو شياطين الانس من أهل الدجل والاضلال والتلبيس

وها أنا أذكرك بعد بيان شياطين الجن والابليس الرجيم المرجوم . شياطين الانس من بنى نوعك . من مواطينيك وجلسائك كما قد بين الله تعالى أوصافهم في كتابه وحذر عنهم وعن فعالهم . وكذا بين رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن هواه . بل ينطق وينخب عن رب الارض والسماء لتعرفهم فتحترز عنهم وتفر عنهم فرارك من الاسد والثعبان . وتحفظ نفسك عن

الوقوع فيما وقعوا : وعن الاتصاف بما اتصفوا حفظني الله تعالى وإياك
عن كل ما يضرنا ويشيننا في ديننا ودنيانا : آمين

ومن صفات الشيطان الكبر والتكبر والاستكبار . والكبر عدم
قبول الحق والعناد فيه . أما عجباً بنسبه أو جماله أو خيلاء بماله ومنصبه
وخدمه وحشمه . فإذا عرض عليه الحق فإن كان على خلاف هواه تكبر
عليه وأعرض عنه . كما صدر ذلك عن إبليس حين أمر بالسجدة
والخضوع لآدم أبي البشر عليه السلام . فاستحق بذلك اللعن والطرده
عن الرحمة الإلهية . كما بين الله تعالى ذلك في آيات كثيرة . منها في سورة
البقرة ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى
وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ وفي سورة الاعراف ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا
تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾
فدلّت هذه الآية أن كل من استكبر ولم يقبل الحق وعاند فهو إبليس
لأن الشيطان قال لا أسجد له لأنني خير منه وأكبر سنّاً وأشرف خلقاً
وأعلى نسباً خلقتني من نار وخلقته آدم من طين وتراب . ولما كان الأمر
كذلك . كان كل من تكبر على الحق هالك . ورد في الحديث الصحيح
لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر . وقد طالعتنا
في التواريخ وشاهدنا منذ عقلنا أن أكثر الكفار وبعض من يدعى
أنه مسلم بل بعض من يزعم أنه سيد أو شريف أو غني أو أمثالهم يتكبرون
على الحق وأهله ، ويأنفون عليهم ولا يقبلون إلا ما وافق هواهم ، فلا
شك أنهم من حزب الشيطان . إلا أن حزب الشيطان هم الخاسرون .

خافسداوا بكبرهم شئون المسامين فضلوا وأضلوا وخابوا وخسروا . كما هو غير خفى على أولى الابصار .

ومن صفات الشيطان الافك والبهتان والكذب والاثم الكثير واستماع أقوال الناس بقصد النيمة والافساد . كما قال تعالى فى سورة الشعراء ﴿ هل أنبئكم على من تنزل الشياطين ، تنزل على كل افك ائيم ، يلقون السمع وأكثرم كاذبون ﴾ فيدخل فيه الكاهن والعراف والمنجم والساحر والتمام والكذاب ونحوهم . فهؤلاء كلهم من حزب الشيطان ، ومن حزبه الرؤساء الظالمون والكبراء الجبارون والعلماء الدجالون والسادات الفسقة وامثالهم . كما قال تعالى ﴿ واذا خلوا إلى شياطينهم قالوا انا معكم ، وقالوا ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ، ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً ﴾ .

ومن حزب الشيطان شارب الخمر والمقامر والمشتغل بالميسر وسدنة الانصاب والضرائح والاصنام والكهنة وأصحاب الازلام ، ومعظموا قبور الاولياء أو الاحجار أو الاشجار أو امثالها . قال الله تعالى فى سورة المائدة ﴿ يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله ﴾ الآية . ثم ان للشيطان خطوات يوحى بها فى قلب الانسان الوسواس . فالواجب على العاقل الحازم أن يحتاط فى ذلك . ولا يتبع تلك الخطوات فانها مهلكة كما قال الله تعالى فى سورة البقرة ﴿ يا أيها الناس كلوا مما فى الارض حلالا طيبا

ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين . انما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون . واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أول لو كان آباءهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون ﴿ وفي سورة النور ﴾ يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر . ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكي منكم من احد أبداً . ولكن الله يزكي من يشاء . والله سميع عليم ﴿ وهكذا وردت الآيات مؤكدة بعضها بعضاً . وقد فسر الاستاذ العلامة الشيخ محمد عبده في البقرة من تفسيره أحسن تفسير . وها أنا اذكر هنا خلاصته . قال رحمه الله تعالى . أعلم ان الواجب على الانسان أن يلتفت الى خواطره ويضع لها ميزاناً . فاذا مالت نفسه الى الخير فعارضه الخاطر المانع فليعلم انه من وحي الشيطان . واذا هم بدفاع عن حق أو امر بمعروف او نهى عن منكر . فخطر له ما يثبط عزمه أو يمسك لسانه فليعلم انه من وساوس الشيطان وأظهر وحي الشيطان الاندفاع الى التحريم والتحايل لاجل المنافع التي تلبس على المتجرىء عليها بالمصلحة وسياسة الناس . كانه تعالى قال لا تتبعوا وحي الشر وخواطره تلم بكم وتطوف في نفوسكم لان الشيطان انما يأمر بالسوء والفحشاء . أما السوء فهو كل ما يسوءك وقوعه أو عاقبته فمن الشرور ما يقدم عليه المرء مندفعاً بتزيين الشيطان للعمل حتى اذا فعل الشر فاجأه السوء وعاجله الضرر ومن الاعمال ما لا يظهر السوء في بدايته ولكنه يتصل بنهايته . كمن يصده عن طلب العلم ان بعض المتعلمين

أضاع وقته وبذل كثيراً من ماله ثم لم يستفد من التعلم شيئاً فهذا قياس شيطاني يصرف بعض الناس عن طلب العلم بانفسهم : وبعض الآباء عن تعليم أولادهم فتكون عاقبتهم سوء ء فلا بد من البصيرة والتأمل في تمييز بعض الخواطر الشيطانية . فان منها مالا يظهر بادىء الرأى . وأما الفحشاء فكل ما يقبح في أعين الناس من المعاصى والآثام ولا يختص بنحو الزنا واللواط كما قال بعضهم ومن أسوء السوء مبداء وعاقبة ترك الاسباب الطبيعية التي قضت حكمة البارئ بربط المسببات لها . اعتماداً على اشخاص تعتقد فيهم السلطة الغيبية والتصرف في الاكوان بدون اتخاذ الاسباب . ومثله اتخاذ رؤساء في الدين يؤخذ لهم بقولهم ويعتمد على فعلهم . من غير أن يكون بياناً أو تبليغاً لما جاء عن الله وعن رسول الله . فان في هذين النوعين من السوء اهمالاً لنعمة العقل وكفرًا بالمنعم بها . واعراضاً عن سنن الله تعالى وجهلاً باطرادها . وصاحب هذا صار كمن يطلب من السراب الماء وينعق بما لا يسمع الدعاء والنداء . وهذا شأن متخذي الانداد . * ومن يضل الله فانه من هاد * وأما الرؤساء الذين يحملون العامة على هذا التقليد في الامرين فقد بين الله تعالى اتباعهم لوحى الشيطان بقوله * وان تقولوا على الله ما لا تعلمون وهذا أقبح ما يأمر به الشيطان * فانه الاصل في إفساد العقائد وتحريف الشرائع واستبدال الذى هو ادنى بالذى خير اليس من القول على الله بغير علم زعم هؤلاء الرؤساء ان الله تعالى وسطاء بينه وبين خلقه ، لا يفعل الله سبحانه شيئاً بدون وساطتهم ، فقولوا بذلك قلوب عباده عنه وعن سنده

في خلقه ، ووجهوها إلى قبور لا تعد ولا تحصى ، وإلى عبيد ضعفاء لا يملكون لا أنفسهم نفعا ولا ضرا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا أليس من القول على الله بغير علم ما اختلقوه من الحيل لهدم ركن الزكاة ، وهو من أعظم أركان الاسلام ، وأليس من القول على الله بغير علم ما زادوه في أحكام العبادة والحلال والحرام عما ورد في الكتاب والسنة المبينة له ، فكل من يزيد في الدين عقيدة أو حكما من غير استناد إلى كتاب الله أو كلام المعصوم فهو من الذين يقولون على الله بغير علم . كالزائرات للقبور وما يأتينه هناك من البدع والمنكرات باسم الدين ، وكتشيع الجنائز بقراءة البردة ونحوها بالنعمة المعروفة ، وبحمل المباخر الفضية والاعلام أمامها ، وبالاتباع لقراءة الدلائل ونحوها من الاوراد بالصياح الخاص ، وكل هذا جاء من استحسان ما عند الطوائف الأخرى ، وليس في الاسلام صيحة غير صيحة الأذان ، ولا شك أن كثيرا من البدع في العقائد والاحكام قد دخلت على المسلمين بتساهل رؤساء الدين ، وتوهم انها تقوى اصل العقيدة . وتخضع العامة لسلطان الدين أو لسلطانهم المستند إلى الدين .

ولقد دخلت كنيسة (بيت لحم) فسمعت هناك اصواتا خيل إلى أنها أصوات طائفة من أهل الطريق يقرؤون حزب البر مثلا ، ثم علمت أنهم قسيسون . فهذه البدع سرت إلينا منهم كما سرت إليهم من الوثنيين استحسانا منهم ما استحسناه من أولئك توهمنا أنه يفيد الدين أبهة ونخامة ويزيد الناس به استمسا كما فكان أن ترك الناس مهمات الدين اكتفاء

بهذه البدع ، فإن أكثر الصائمين في الأضرحة وقباب الأولياء وفي الطرق والأسواق بالأوراد والأحزاب لا يقيمون الصلاة . ومن عساه يصلي منهم فانه لا يحرص على الجماعة بعض حرصه على الاجتماع للصياح بقراءة الحزب في ليلة الولى فلان . واستوحشوا من شعائر الدين والسنن ، حتى ظهر فيهم تأويل قوله عز وجل ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ﴾ فلو كان للمقلدين الجامدين قلوب يفقهون بها لكانت هذه الحكاية كافية بأسلوبها لتنفيرهم عن التقليد ، فانهم في كل ملة وجيل يرغبون عن اتباع ما أنزل الله استئناساً بما الفوه مما الفوا آبائهم عليه وحسبك بهذا شناعة ، إذ العاقل لا يؤثر على ما أنزل الله تقليد أحد من الناس مهما كبر عقله وحسن سيره اذ ما من عاقل الا وهو عرضة للخطأ في فكره ، وما من مهتد الا ويحتمل أن يضل في سيره ، فلا ثقة في الدين إلا بما أنزل الله . ولا معصوم إلا من عصمه الله . فكيف يرغب العاقل عما أنزل الله إلى اتباع الآباء مع دعواه الايمان بالتنزيل فابعد الناس عن معرفة الحق المقلدون الذين لا يبحثون ولا يستدلون ، لانهم قطعوا على أنفسهم طريق العلم ، وسجلوا على عقولهم الحرمان من الفهم . فهم لا يوصفون بأصابة لان المصيب هو من يعرف أن هذا هو الحق ، والمقلدانما يعرف أن فلاناً يقول ان هذا هو الحق . انتهى . قلت وسأفصل باقى خطوات الشيطان فى القول فى الصراط المستقيم انشاء الله تعالى .

ومن صفات الشيطان الانسراف والتبذير : ومنع حق ذوى الحقوق

كثر كالتفتات الى ذوى القربى والمساكين وابن السبيل . كمال غالب
الاغنياء والسادات والامراء في هذه الاوقات : قال الله تعالى في سورة الاسراء
(وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا : إن المبذرين
كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا)

ومن صفات الشيطان مخالفة أمر الله والتشبه بالكفار والفساق
والظلمة والغفلة وترك المبالاة بالسنن النبوية والآداب الشرعية والاخلاق
الانسانية . ولهذا مثل النبي ﷺ من يأكل ويشرب بشماله شيطانا ومن
يمر بين يدي المصلي بلا ضرورة شيطانا كأكثر الجهلة في الحرمين :
فانهم يمرون بين يدي المصلي مرور الشيطان في قلوب بني آدم . ويأكلون
ويشربون بالشمال كأنهم من أهل الشمال : وكذا ترى أكثرهم يمسك كتابه
بشماله ونعله بيمينه . وزيادة عليه إذا نهته يماند ويتكبر . وقد روى الامام
البخارى ومسلم وأصحاب السنن وأحمد في مسنده ومحمد في موطائه عن
أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال أن رسول الله ﷺ قال إذا كان أحدكم
يصلي فلا يدع أحدا يمر بين يديه فان أبى فليقاتله فانما هو شيطان . وقد
اخرج مسلم وابوداود ومالك ومحمد في موطائهم وأحمد في مسنده عن عبد الله بن
عمر رضى الله عنهما انه قال ان رسول الله ﷺ قال - إذا أكل أحدكم فليأكل
بيمينه وإذا شرب فليشرب بيمينه فان الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله .
وقد ذكر العلامة ابن القيم في الجواب الكافي أشياء مما يخص الشيطان
من أوصافه . فها أنا أذكرها لتتميم الفائدة . قال رحمه الله تعالى الصفات
الشيطانية التي هي أصل الشرك . العظمة والكبر والجبروت والقهر والعلو

والظلم واستعباد العباد ونحو ذلك . والتشبهه بالشیطان الحقد والحسد والبغی والغش والغل والخداع والمکر والامر بمعاصی الله وتحسينها . والنهي عن طاعة الله وتجنبها . والابتداع في دينه والدعوة الى البدع والضلال وقد أوصى الشيطان بنيه . وقال استعينوا يا بني بجند عظيمين لن تغلبوا معهم جند الغفلة فاغفلوا قلوب بني آدم عن الله تعالى والدار الآخرة بكل طريق فليس لكم شيء أبلغ في تحصيل غرضكم من ذلك فان القلب اذا غفل عن ذكر الله تعالى تمكث منه . الثاني جند الشهوة فزينوها في قلوبهم وحسنوها في أعينهم واستعينوا على الغفلة بالشهوات وعلى الشهوات بالغفلة . وأقربوا بين الغافلين .

واعلم أن أبلغ أسلحة الشيطان الشهوة والغضب فادعوه الى الشهوة من باب البغضب . والى الغضب من طريق الشهوة . وإنما أخرجت ابويهم من الجنة بالشهوة وإنما القيت العداوة بينهم وبين اولادهم بالغضب . فبه قطعت ارحامهم وسفكت دماءهم . وان الغضب جرة في قلب ابن آدم . والشهوة نار تثرر في قلبه . وإنما تطفأ النار بالماء والصلاة والذكر والتكبير . فإياكم ان تمكثوا ابن آدم عند غضبه وشهوته من قربان الوضوء والصلاة فان ذلك يطفئ عنه نار الغضب والشهوة .

وأوصى ابليس بنيه . وقال انما المتكلم بالباطل أخ من أخوانكم . ومن اكبر جندكم وأعدوانكم . وان الساكت عن الحق أخ لكم أخرس كما ان الاول أخ لكم ناطق . وربما كان الاخ الثاني أنفع أخوانكم لكم . أما سمعتم قول الناصح . المتكلم بالباطل شيطان ناطق . والساكت عن الحق شيطان

أخرس . فالرباط الرباط على هذا الثغر ان يتكلم بحق او يمسك عن باطل .
وزينوا له التكلم بالباطل بكل طريق . وخوفوه من التكلم بالحق بكل طريق
قال العبد الضعيف محمد سلطان المستعيز بربه العليم القادر من شر
الشیطان الرجيم الغادر فقد تبين بيا نأشافيا كافيا أن الشیطان قد تصدى
الاضلال والافساد والوسوسة من كل طريق وباب . وكذا شياطين الانس
من قسوس النصارى ورهبان الدير ومبشریهم وخاذام اليهود وبطارقهم
واحبارهم . ولأما الهنود البوادیين وكهنتهم : والآئمة المفضلین والعلماء
الدجالین والمشائخ الجهلة البطالین الخرافیین . والرؤساء الظلمة المنهمكين
فی الشهرة . والكبراء والسادات والشرفاء الذین يتكبرون ويتجبرون
فییتدعون ویفسدون . كما أشار الامام الجلیل عبد الله بن مبارك الى كل
ذلك حیث قال

وهل أفسد الدين الا الملوك وأحبار سوء ورهبانها
وقد أوضح العلامة محب الدين الدمشقي فی كتابه خلاصة الاثر فی
أعیان القرن الحادی عشر احوالهم وقال ان علماء زماننا يدعون ویقولون
بأنسنتهم انهم مقتدى الانام وورثة الانبیاء الكرام وأما أعمالهم ولسان
حالهم تترنم بهذا البیت . وهو صادق علیهم .

وكننت فتي من جند إبليس فارتقى بی الحال حتى صار إبليس من جندي
ويشهد لهذا ما ذكره العلامة الصالح الشيخ احمد السرهندي فی غیر
موضع من مکتوباته ان كل شر وفساد وضلال واضلال انما حدث من شؤم
العلماء السوء . وما شئت شمل المسلمین الا العلماء السوء فهؤلاء هم الذین

خربوا المسلمين وديارهم . وصاروا سبباً لاستيلاء الكفار الاشرار . حتى
أته رأى واحد من الاعزة ابليس اللعين فارغاعن الوسوسة والاغواء .
فسأله عن سر قعوده فارغا . فقال إبليس اللعين ان علماء هذا الزمان قد
تكفلوا لى بالاضلال حتى جعلوني فارغا . الخ وكان هذا المؤلف فى رأس
الالف . فهاظنك بزماننا هذا سنة ١٣٥٥

ومما يشهد لهذا الباب ما ذكره ابن الجوزى فى كتابه تلبس ابليس
قال بعض السلف رأيت الشيطان فقال لى كنت ألقى الناس فاعلمهم
فصرت ألقاهم فاتعلم منهم الخ . قلت ولهذا كان النبى ﷺ يحذر أمته
عن امثالهم حيث قال « انما أخاف على امتى الأئمة المضلين وسيكون
علماء دجالون كذابون يحدثونكم بما لم تسمعوا انتم ولا آباؤكم واياهم
لا يضلونكم » الحديث .

ولايضاح المقام اذكر لكم قصة من قصص ابليس لتعرفوا كيف
صنعه ووسوسته وديسسته واضلاله . فاستعينوا بالله من شرهم ووسوستهم
فانه اعدى عدوكم . كما حكى الامام الحافظ العياد بن كثير فى تفسيره فى
قوله تعالى فى سورة المجادلة ﴿ كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما
كفر قال انى برىء منك انى أخاف الله رب العالمين . فكان عاقبتهما انهما
فى النار خالدتين فيها وذلك جزاء الظالمين ﴾ وهالك بالاختصار : قال على
وابن عباس رضى الله عنهم كان راهب فى الفترة يقال له برصيصا . كان
يتميد الله فى صومعة له سبعين سنة لم يعص الله فيها طرفة عين ، وان
ابليس اعياه امره فجمع ذات يوم مرده الشياطين فقال ألا أجد أحداً منكم

يكفيني أمر برصيصا . فقال الا بيض وهو صاحب الانبياء أنا أكفيك أمره . فانطلق فتزين بزينة الرهبان وأتى صومعة برصيصا واقبل على العبادة في اصل صومعته فلما انفتل برصيصا اطلع من صومعته فرأى الا بيض قائما يصلي في هيئة حسنة من هيئة الرهبان فلما رأى ذلك من حاله أعجبه واحبه واكرمه وقال له ما حاجتك وقال حاجتي اني احببت أن اكون معك فاتأدب بك ، واقتبس من علمك وعملك ونجتمتع على العبادة فتدعولي وأدعوك ، وأقبل هو يصلي الى جنبه الى اربعين يوما فلما رأى برصيصا شدة اجتهاده قال ما حاجتك قال حاجتي أن تأذن لي فارتفع اليك فاذن له فارتفع اليه في صومعته ، فاقام معه حولا يتعبد لا يفطر الا في كل اربعين يوما ، ولا ينفصل عن صلاته الا في كل اربعين يوما مرة ، وربما مد الى الثمانين . فلما رأى برصيصا اجتهاده تقاصرت اليه نفسه واعجبه شأن الا بيض فلما حال الحول قال الا بيض لبرصيصا اني منطلق فان لي صاحبا غيرك اعبد منك وظننت أنك اشد اجتهادا مما أرى وكان يباغنا عنك غير الذي رأيت ، فدخل من ذلك على برصيصا امر شديد وكره مفارقتة للذي رأى من شدة اجتهاده فلما ودعه قال له الا بيض ان عندي دعوات اعلمكها تدعو بهن فهو خير مما أنت فيه يشفي الله بها السقيم ويعافي بها المبتلى والمجنون . فعلم ثم انطلق حتى اتى ابليس فقال والله قد اهلكك الرجل ثم انطلق الا بيض فتعرض لرجل نخنقة ثم جاءه في صورة رجل متطيب فقال لاهله ان بصاحبكم جنونا أفأعالجه قالوا نعم ، فقال اني لا أقوى جنته ولكن سأرشدكم الى من يدعو

به اجاب فانطلقوا اليه فسألوه ذلك فدعا بتلك الكليات فذهب عنه
الشيطان فكان الابيض يفعل مثل ذلك بالناس ويرشد الى برصيصا
فيدعو فيعافون فانطلق الابيض فتعرض لجارية من بنات ملوك بني
اسرائيل فخنقها وعذبها ثم جاء اليهم في صورة متطبيب فقال لهم أتريدون
أن أعالجها قالوا نعم قال الذي عرض لها مارد لا يطاق ولكن سأرشدكم
الى رجل تثقون به تدعونها عنده اذا جاءها شيطانها دعا لها حتى تعلموا
أنها قد عوفيت فتردونها صحيحة قالوا ومن هو قال برصيصا قالوا وكيف
لنا أن يجيئنا الى هذا وهو أعظم شأننا من ذلك فانطلقوا بها اليه وقالوا
هذه اختنا أمانة فاحتسب بها ثم انصرفوا فلما انقفل برصيصا من
صلاته عاين الجارية وما بها من الحسن والجمال فوقعت في قلبه ودخل
عليه أمر عظيم ثم أقبل في صلاته فجاءها الشيطان فخنقها فدعا برصيصا
بتلك الدعوات فذهب عنها الشيطان ثم أقبل على صلاته فجاءها الشيطان
فخنقها فدعا برصيصا بتلك الدعوات ثم أقبل على صلاته فجاءها الشيطان
فخنقها وكانت تكشف عن نفسها فقال الشيطان أما تشوف هذه واقعها
فستتوب بعد ذلك والله تعالى غفار الذنوب والخطايا فلم يزل به حتى تحركت
شهوته وقام ذكره واشتد فواقعها فلم يزل يواقعها حتى حملت وظهر
حملها فقال له الشيطان ويحك يا برصيصا قد افتضحت فاقتلها وادفنها فان
سألك فقل ذهب بها شيطانها فقتلها ودفنها في جانب جبل ليلا فاخذ
الشيطان بطرف ازارها حتى ابقاه خارجا من التراب ثم رجع برصيصا
الى صومعته فاقبل على صلاته فالحم الشيطان الى أوليائها فذهبوا عند

برصيصا وسألوه عنها فاجاب بان شيطانها قد ذهب بها فدل الشيطان الى موضع دفنه فانطلقوا اليه فرأوا أختهم كما الهموا فجمعوا مواليتهم وعلماءهم فهدموا صومعته وكتفوه فأقر على نفسه فاصر الملك بقتله وصلبه فلما صلب أتاه الابيض فقال يا برصيصا أتعرفني أنا صاحبك الذى علمتك الدعوات فاستجيب لك ، فقال كيف اصنع الآن ، قال تطيعنى فى خصلة واحدة حتى انجيك مما أنت فيه ، فأخذ باعينهم فاخرجك من مكانك ، قال وما هى قال تسجد لى ، قال ما أستطيع أفعل قال بطرفك افعل فسجد له فقال يا برصيصا هذا الذى كنت أردت منك ، صارت عاقبة امرك الى أن كفرت بربك انى برىء منك انى اخاف الله رب العالمين انتهى وكذا ذكره الامام البغوى فى تفسيره

قال الجامع المعصومى عفا الله عنه فانظروا يا أيها العقلاء الى هذه الحكاية بعين الاعتبار وتفكروا فيها كيف وساوس الشيطان ودسائسه وكيف أظهر نفسه زاهداً وعابداً وصوفياً وناسحاً وكيف اصر خرق العادة وما يزعمه الناس كرامات ، واذا تدبرت فى أحوال غالب العلماء ومشائخ الطرق ومن يدعى الزهد والعبادة تجد من حزب ذلك اللعين فانهم هم الذين أخرجوا الناس عن الصراط المستقيم واضلواهم وادخلوهم الى طريق الجحيم ، فتراهم العياذ بالله صاروا شركاء لله ويدعون التصرف فى الكون فصارت العوام بل من هم فى صورة الخواص يصدقونهم ويعتقدون فيهم وينذرون اليهم ويبذلون فى سبيلهم نفوسهم ونفيسهم الى أن صاروا يعتقدون بعد موتهم انهم احياء يعامون الغيب ويتصرفون فى الامور

وان الامور بيدهم فيطلبون منهم قضاء حوائجهم وحصول مرادهم
وقد يتمثل الشيطان بصورة الشيخ ويتكلم ويدعو ويقضى الحاجة .
كما يحكمون ان الاعمى اوالمقعدا اذا ذهبوا به الى بلخ من بلاد افغانستان .
وطاف على ضريح مزعومهم على بن ابي طالب رضى الله عنه احد
واربعين مرة يذهب عميه وينجلى بصره وزال فلعجه . وهكذا يفعل
الشيطان فيوقعهم في خيال الضلال . وقد ترى الجهال بل الذين يزعمون
العلم والزهد يبنون على قبورهم العمارات العالياً والقبب الفاخرات .
ويرغبون الناس الى الزيارة والطواف حولها كالسكبة فيقبلون
القبر والعتبة بل يسجدون اليها . كما تفعله الهنداكة الوثنيون والبوذيون
والسيكة في بلاد الهند والصين لاصنامهم . فترى الجهال في بلاد
الهند يحجون في كل عام الى قبر الشيخ معين الدين الجشتى في اجير
من كل فج عميق . ويقصدون حج كربلا وبغداد لزيارة الامام حسين رضى
الله عنه وقبر الشيخ عبد القادر الجيلانى . ويزعمون انه الغوث الاعظم
فيستغيثون به ويطلبون منه قضاء حوائجهم . وفي بخارى الى قبر بهاء الدين
النقشبند . وفي تركستان الى قبر الخواجه احمد اليسوى . ويسمون موسمه
الخلوة . وفي كاشغر الى قبر آفاق خواجه . وفي مصر الى قبر البدوى .
وهكذا في عامة البلاد ابتلى المسلمون بامثال هذه الجهالات والضلالات
وحصل الابلis منهم مراده . وهو الكفر والشرك .

وكذلك تداخل فيما بين المسلمين كثير من شياطين المبشرين
من اليهود والنصارى والمجوس والوثنيين والدهريين واظهروا انفسهم

علماء وزهادا . واطهر والتصوف . وادعوا الاسرار والكشوف .
واشاعوا ان الحقيقة غير الشريعة فبنوا زوايا وخانقاهات : فاجتمع
حولهم الجهال وشايعهم بعض حملة العمام فتصوفوا وادخلوا في الماسمين
دسائسهم الى ان اخرجوهم من الايمان الصحيح . وادخلوهم في الكفر
والشرك الصريح : وهؤلاء لا يعلمون بل يدعون الدين والحقيقة .
والفوا كتباً ورسائل في مدح ذلك فعم بذلك الفساد حتى وقع المسلمون
فيما وقعوا لأن من الخسار والبيوار والافتراق والانشقاق ومن رؤس
هؤلاء الشياطين في هذه الازمان الاخيرة الدجال ميرزا احمد القادياني .
وموسى بيكى جار الله الروسى التاتارى . وامثالهما من رؤساء الطرق
وغيرهم . فالحذر كل الحذر منهم ومن دسائسهم وكتبهم ورسائلهم .
فيجب على كل مكلف التعمد بالله منهم . والتيقظ لدسائسهم . وانما
يعرف ذلك بميزان الكتاب والسنة الصحيحة . وما يثبت به العقل السليم
والحاصل ان دسائس الشياطين كثيرة . وطرق وساوسهم عديدة
فيجب على العاقل البصير ان يتعمد بالله دائماً من شر هؤلاء الشياطين .
فانه لا عاصم ولا حافظ منهم الا الله الذى خلقهم واذا اردت ان تعرف
الامور الشيطانية عن الامور الرحمانية فزنها بميزان الكتاب والسنة
فما وافقها فهو الحق الرحمانى . وما خالفها فهو الباطل الشيطانى ولا يغرنك
طيران صاحبه على الهراء . او مشيه على الماء دون ان تبطل قدماه . فان
الشيطان يحملهم ويطيرهم كما صرح به عامة علماء السلف ومحققى الخلف
ثم اعلم ان كل شيء قبيح او فعل قبيح ينسب الى الشيطان . لانه لما استكبر

وكفر بامر به الذي خلقه فقد ارتكب اقبح المعصية . فاستحق اللعن والطرده
فاتصف باقبح الصفات فكل قبيح لاشك انه شيطاني وكل جميل وحسن
فلاشك انه رحمانى . وها أنا اذكرك قصة لطيفة عجيبة . وهى ما ذكره
الشيخ برهان الدين ابراهيم السكتي المعروف بالوطواط فى كتابه (غرر
الخصائص الواضحة) أن عثمان بن بحر المعروف بالجاحظ . كان دميم
الصورة وقبيح الوجه نائى العينين . يحكى عنه أنه قال ما أخجاني أحد
قط الا امرأة أخذت يدي وحملتني الى نجار . وقالت له مثل هذا . ثم
تركتني وانصرفت ، فبقيت متعجباً من أخذها الى مثالا . فسألت الصانع
فقال ان هذه المرأة سألتني أن أصنع لها مثال شيطان تفزع به ولدها ،
فقلت لها اني لم أر شيطانا قط حتى اعلم على مثاله ، وطلبت منها مثالا
فقالت أنا آتيلك به . فجاءتني بك . انتهى . والاحاديث النبوية تدل على
ذلك أيضاً ، أن كل كرية المنظر وقبيح الصورة يسمى شيطان . كما ورد
أن الكلب الاسود شيطان . والدابة المتبخرة شيطان ، وكل مفسد
شيطان ، وكل فتان وبطال ودجال شيطان ، فان كان الامر هكذا فينبغي
أن يلاحظ المستعبد هذه الامور كلها . فيتعوذ بالله من شرها ، ويشترط
للقبول والتأثير وظهور النتائج ملاحظة جميع الامور المذكورة معتقداً
بقدره الله تعالى ومخلصاً له تعالى وجازماً بأنه لا يقدر أحد على دفع الشيطان
والحفظ من شره إلا الله الذي خلقه وسلطه على عباده ابتلاءً وامتحاناً
لا معصوم إلا من عصمه الله ، ولا محفوظ الا من حفظه الله ، ولا مهتدى

إلا من هداه الله ؛ فنستعين بك يا ربنا من شرور الشياطين ، فعذنا
يا ربنا انك على كل شيء قدير .

فان قلت لم يقدمون التعوذ على التسمية قلت انما يقدمون
التعوذ على التسمية لكون التخلية مقدمة على التحلية كما أنك تصفى
قلبك عن الآلهة الآفافية والانفسية . ونخليه عن كل العبودات
بقولك لا إله فيمد ذلك تخليه باثبات الآله الواحد الحق والمعبود
المستحق للعبادة بقولك الا الله . فثبت أن التخلية مقدمة على التحلية ،
كما أنك اذا أردت أن تداوى المريض وتعالجه تسقيه أولاً مسهلاً
لاخراج الفضلات وتنظف الجروح من القروح . وتقطع الآكلة أولاً
ثم تداويه باستعمال الدواء ؛ فينفع الدواء والتداوى ؛ ثم يتغذى بالغذاء
فيتقوى . وأما اذا استعملت الغذاء قبل ازالة المرض فربما يضرك الغذاء
ولو كان الغذاء غذية وانفسها ؛ وربما يكون سبباً لزيادة المرض فيهلكك
فثبت أن التخلية مقدمة على التحلية وكما أنك اذا أردت ان تبني في محل
بناء تصلح المحل أولاً وتنظفه . ثم تؤسس وتبني ؛ او اذا أردت ان تزين
بيتاً وتفرشه بالافرشة تكنسه أولاً وتنظفه ثم تزين ، وتفرش فتسكن
وتستريح ؛ فثبت بهذا أيضاً أن التخلية مقدمة على التحلية ؛ وكما اذا
أردت ان تطبخ طعاماً في قدر تغسله أولاً وتنظفه ثم تجعل فيه اسباب
الطبخ . أو اذا أردت أن تنقل الطعام الى الصحن والقصعة والطبق
والكأس تغسل أولاً وتنظف تلك الاواني ثم تحطفيها الطعام . وكما أنك
إذا أردت أن تزين نفسك وتلبس الالبسة الحسنة الجميلة تنزع أولاً

الالبسة الخلقة الدنسة والوسخة وتغتسل وتنظف بدنك . ثم تلبس الثياب الجميلة فتزين بها . فثبت ان التخلية مقدمة على التحلية .

فلما كان الامر كذلك وهو قاعدة كلية مطردة اقتضتها حكمة الباري تعالى ؛ وجرت عليها سنن الكون ؛ يلزم على قارئ القرآن خصوصاً ؛ وعلى جميع المسلمين في جميع الحالات عمومًا ، أن يطهروا ألسنتهم ويصفو بواطنهم عن الاقوال والافعال الخبيثة الشيطانية قائلاً أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ؛ فيقطعوا عنق الشياطين بسيف التعوذ إلى الله فيكونون غزاة يستحقون الاجر والغنيمة ؛ وهو الفضل والرحمة الالهية ؛ فيدخلوا في رحمة الله بفتح بابها بمفتاح بسم الله الرحمن الرحيم ، فينالون رضا الله تعالى ويستحقون جنات النعيم فيما ربنا نتعوذ بجنابك ونلتجىء إلى رحمتك فاحفظنا من شر شياطين الجن والانس والنفس والهوى ولا تكلنا إلى نفسنا طرفة عين . ووفقنا ياربنا لما تحبه وترضاه ، فانك حسبنا واليك أنبنا واليك المصير ويارب ارحم عبدك الفقير اليك والمهاجر من دار الشرك إلى حرملك وعوضه عن كل ما صودر عنه بأحسن ماعوضته عبادك الصالحين ، وآته في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقه عذاب النار . آمين .

فصل

في أحكام بسم الله الرحمن الرحيم وفضائله

اعلم ان أول ما انزل الله تعالى على رسوله سيدنا محمد ﷺ ان أمره بالقراءة مبتدئاً ومستعينا باسم ربه الذي خلق حيث قال ﴿ اقرأ باسم ربك

الذى خلق ﴿ وهذه الآية تقتضى بظاهرها وجوب الابتداء باسم الله فى القراءة وسائر الاعمال الشريفة . وقد ذكر السلف الصالحون فى هذه المسألة ما ظهر لهم وبدأ وانا اذكر خلاصة ما ذكره بحول الله وقوته وفى سورة المزمل ﴿ واذا ذكر اسم ربك ونبتل اليه تبتيلاً ، رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلاً ﴾ وفى سورة الدهر ﴿ واذا ذكر اسم ربك بكرة وأصيلاً ﴾ وفى سورة النمل ﴿ انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ وفى سورة هود حكاية عن نوح عليه السلام ﴿ بسم الله مجربها ومرساها ﴾ فهذه الآيات تفيد الاهتمام بذكر اسم الله فى أول كل أمر من صلاة ودعاء وأكل ومشى وقراءة وكتابة ، وتشرحها أحاديث الرسول ﷺ وتفسرها تفسيراً . روى الترمذى والدارقطنى والحاكم وابن خزيمة والخطيب فى المشكاة عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال كان رسول الله ﷺ يفتتح صلاته بيسم الله الرحمن الرحيم . وروى الدارقطنى فى سننه وذكره السيوطى فى الدر المنثور عن على بن إبي طالب رضى الله عنه أنه قال قال رسول الله ﷺ « كيف تقرأ اذا قمت إلى الصلاة ؟ قلت : الحمد لله رب العالمين ، قال قل بسم الله الرحمن الرحيم » وذكر السيوطى فى الدر المنثور والجامع الصغير وقال ذكره عبد القادر الزهاوى فى كتاب الاربعين باسناد حسن عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال قال رسول الله ﷺ « كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه بيسم الله الرحمن الرحيم اقطع » وفى رواية أجزم . وافتح الصحابة رضى الله عنهم كتاب الله بيسم الله

الرحمن الرحيم . والنبي ﷺ كان يفتح كل أعماله وأقواله ببسم الله الرحمن الرحيم . وأنه قد ثبت في صحيح البخاري أنه ﷺ كان يفتح به كتبه ورسائله الى الملوك والقيصرة . فبدأ كتابه الذي أرسله الى هرقل قيصر الروم (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله الى هرقل عظيم الروم أسلم تسلم) الحديث والاحاديث في هذا الباب كثيرة . وفيما ذكرناه كفاية .

قال إمام المحققين في هذا القرن الشيخ محمد عبده رحمه الله في تفسيره :
اعلموا ان القرآن أمامنا وقدوتنا . فافتتاحه ببسم الله الرحمن الرحيم ارشاد لنا بان يفتح أعمالنا بها فما معنى هذا ليس معناه ان نفتح أعمالنا باسم من أسماء الله تعالى بان نذكره على سبيل التبرك والاستعانة به . بل بان نقول هذه العبارة (بسم الله الرحمن الرحيم) فانها مطلوبة لذاتها . ومثل هذا التعبير مألوف عند جميع الامم ومنهم العرب . وهو ان الواحد منهم اذا أراد أن يفعل أمراً لاجل أمير او عظيم بحيث يكون متجرداً من نسبته اليه ومنسائخاً عنه يقول عمله باسم فلان . ويذكر اسم ذلك الامير او السلطان . لأن اسم الشيء دليل وعنوان عليه . فاذا كنت تعمل عملاً لا يكون له وجود ولا عنه اثر . لولا السلطان الذي به أمر . أقول ان عملي هذا باسم السلطان . اي انه معنون باسمه ولولاه لما عملته . فمعنى ابتدىء عملي (بسم الله الرحمن الرحيم) انني أعمل بأمره وله لالي . ولا أعمل باسمي مستقلاً به على اني فلان فكاني أقول ان هذا العمل لله لا لحظ نفسي .

وفيه وجه آخر . وهو ان القدرة التي أنشأت بها العمل هي من الله تعالى . فلو لا ان منحني منها لم أعمل شيئاً فلم يصدر عني هذا العمل الا باسم الله ولم يكن باسمي . اذ لولا ما أتاني من القوة عليمه لم أستطع أن آتيه ، وقد تم هذا المعنى بلفظ (بسم الله الرحمن الرحيم) كما هو ظاهر وحاصل المعنى اني أعمل عملي متبرأ من أن يكون باسمي بل هو باسمه تعالى . لانني أستمد القوة والعناية منه ، وأرجو احسانه عليه فلولا له لم أقدر عليه ولم أعمله ، بل وما كنت عاملاً له على تقدير القدرة عليه لولا أمره ورجاء فضله فلفظ الاسم معناه مراد ، ومعنى لفظ الجلالة مراداً أيضاً ، وكذلك كل من لفظ الرحمن والرحيم ، وهذا الاستعمال معروف ومألوف في كل اللغات ، وأما به اليكم اليوم ماترون في المحاكم النظامية حيث يبتدئون الاحكام قولاً وكتابة باسم السلطان فلان

ومعنى البسملة في الفاتحة ان جميع ما يقرر في القرآن من الاحكام والآيات وغيرها هو لله ومنه ليس لاحد غير الله فيه شيء ، ثم اختلفوا في البسملة هل هي آية مستقلة من أول الفاتحة كما هو عند الجمهور من قراء الكوفة وقول جماعة من الصحابة والتابعين وخلق من الخلف ، أو بعض آية ، أو لا تعد من أولها بالكافية كما هو قول أهل المدينة من القراء والفقهاء ، وقال الحافظ ابو بكر احمد بن موسى بن مردويه في تفسيره يستنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ، الحمد لله رب العالمين ، سبع آيات ، (بسم الله الرحمن الرحيم) احدها . وهي

السبع المثاني والقرآن العظيم . وهي ام الكتاب وفاتحة الكتاب . وقد رواه الدارقطني ايضا . وقال كل رواه ثقات . وكذا رواه البهيقي عن علي وابن عباس وابي هريرة رضى الله عنهم .

وذكر العلامة ابن كثير في تفسيره . ان بسم الله الرحمن الرحيم افتتح بها الصحابة كتاب الله . واتفق العلماء على انها بعض آية من سورة النمل ثم اختلفوا هل هي آية مستقلة في اول كل سورة . او انها بعض آية من كل سورة او أنها كذلك في الفاتحة . دون غيرها أو انها انما كتبت للفصل لانها آية على اقوال للعلماء سلفا وخلفا .

فصل

في تفسير بسم الله الرحمن الرحيم مفصلا

فالله كما يبدنا في ما سبق في التعوذ انه إسم علم لله تعالى . وانه ليس بمشتق البتة . وهو قول الخليل وسيبويه وقول اكثر الاصوليين والفقهاء وقالت جماعة انه مشتق . والاله مشتق من الهت الى فلان اى سكنت اليه فالحقول لا تسكن الا الى ذكره والارواح لا تعرج الا بمعرفته . وبيانه ان الكمال محبوب لذاته . وما سوى الحق فهو ناقص لذاته . والناقص لا يكمل الا بتكميل الكامل بذاته . والكامل بذاته هو الحق تعالى وحده . او انه مشتق من الوله وهو ذهاب العقل . يعنى ان كل الخلق والهون في معرفة ذاته تعالى او انه مشتق من لاه اذا ارتفع . والحق سبحانه وتعالى هو المرتفع عن مشابهة الممكنات لان الواجب لذاته ليس الا هو . والكامل لذاته ليس الا هو . والموجد لكل ما سواه ليس الا هو

واعلم ان الاسم الاعظم هو الله . وله خاصية لم توجد في سائر اسماء الله تعالى . لان كلمة الشهادة التي بسببها ينتقل الكافر من الكفر الى الاسلام لم تحصل الا بهذه الكلمة . فلو ان الكافر قال أشهد ان لا اله الا الرحمن او الا الرحيم او الا الملك او الا المالك او الا القدوس ونحوها لم يخرج من الكفر ولم يدخل في الاسلام . واما اذا قال اشهد ان لا اله الا الله فانه يخرج من الكفر ويدخل في الاسلام . وهذه خاصية عظيمة شريفة اختص بها لفظ الله . وكان النفس في الدنيا نافع وضروري فلو انقطع عن الانسان لحظة لمات في الحال . وكذلك معرفة الله تعالى والايان به أمر لا بد منه في الدنيا والاخرة . فلوزالت عن القلب لحظة لمات للقلب لا محالة فيبقى الله ابدا لا يبد . وكذا حقه العلامة الفخر الرازي في تفسيره الكبير الشهير بمفاتيح الغيب .

واما الرحمن والرحيم فشتتان من الرحمة . وهي معنى يلم بالقلب فيبعث صاحبه ويحمله على الاحسان الى غيره . وهو محال على الله تعالى بالمعنى المعروف عند البشر . لأنه في البشر ألم في النفس شفاؤه الاحسان . والله سبحانه منزّه عن الآلام والانفعالات . فالمعنى المقصود بالنسبة اليه تعالى من الرحمة اثرها وهو الاحسان . والجمهور على ان معنى الرحمن المنعم بجلائل النعم . ومعنى الرحيم المنعم بدقائقها . وقال بعضهم ان الرحمن هو المنعم بنعم عامة تشمل الكافرين مع غيرهم . والرحيم المنعم بالنعم الخاصة بالمؤمنين . والذي أقول ان صيغة فعلان تدل على وصف فعلي فيه معنى المبالغة كفعال . وهو في استعمال اللغة للصفات العارضة

كمطشان وغرثان وغضبان . وأما صيغة فاعيل فانها تدل في الاستعمال على المعاني الثابتة كالاخلاق والسجايا في الناس كعظيم وحكيم وحليم وجليل وجميل . والقرآن لا يخرج من الاسلوب العربي البليغ في الحكاية عن صفات الله عز وجل التي تعلق عن مماثلة صفات المخلوقين . فلفظ الرحمن يدل على من تصدر عنه آثار الرحمة بالفعل . وهي افاضة الرحمة والنعم والاحسان . ولفظ الرحيم يدل على منشاء هذه الرحمة والاحسان . وعلى انها من الصفات الثابتة الواجبة . وبهذا المعنى لا يستغنى باحد الوصفين عن الآخر . ولا يكون الثاني مؤكداً للاول . فاذا سمع العربي وصف الله جل سلطانه وثنائه بالرحمن وفهم منه انه المفيض بالنعم فعلا لا يعتقد منه ان الرحمة من الصفات الواجبة له دائماً . لان الفعل قد ينقطع اذا لم يكن عن صفة لازمة ثابتة وان كان كثيراً . فعند ما يسمع لفظ الرحيم يكمل باعتقاده على الوجه الذي يليق بالله تعالى ويرضيه سبحانه . ويعلم ان لله صفة ثابتة هي صفة الرحمة التي عنها يكون أثرها . وان كانت تلك الصفة على غير مثال صفات المخلوقين . ويكون ذكرها بعد الرحمن كذكر الدليل بعد المدلول ، ليقوم برهاناً عليه انتهى محمد عبده في تفسيره

وذكر العلامة العباد بن كثير في تفسيره الرحمن الرحيم اسمان مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة ، ورحمن اشد مبالغة من رحيم وفي كلام ابن جرير ما يفهم منه حكاية الاتفاق على هذا ، والدليل على انه مشتق ما أخرجه الترمذي وصححه بسنده عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه انه سمع رسول الله ﷺ يقول ﴿ قال الله تعالى انا الرحمن خلقت الرحم ،

وشقت لها اسما سن اسمى ، فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته قال وهذا نص فى الاشتقاق ، فلامعنى للمخالفة والشقاق ، قال ابو على الفارسى الرحمن اسم عام فى جميع أنواع الرحمة يختص به الله تعالى ، الرحيم انما هو من جهة المؤمنين قال الله تعالى ﴿ وكان بالمؤمنين رحيما ﴾ وقال ابن عباس رضى الله عنهما هما اسمان رقيقان احدهما أرق من الآخر ، اى أكثر رحمة ولهذا قال تعالى ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ فذكر الاستواء باسم الرحمن ليعم جميع خلقه برحمته ، وقال ﴿ وكان بالمؤمنين رحيما ﴾ فخصهم باسمه الرحيم ، قالوا فدل على ان الرحمن أشد مبالغة فى الرحمة لعمومها فى الدارين لجميع خلقه والرحيم خاصة بالمؤمنين ، لكن جاء فى الدعاء المأثور (رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما) واسمه تعالى الرحمن خاص به لم يسم به غيره

وقال العلامة ناصر الدين البيضاوى فى تفسيره ، الرحمن الرحيم اسمان بنيا المبالغة ، ومعناهما المنعم الحقيقى البالغ فى الرحمة غايتها . وهذا خاص له تعالى لا يصدق على غيره لان من عداه فهو مستفيض بلطفه وانعامه . وانما خص التسمية بهذه الاسماء ليعلم العارف ان المستحق لان يستعان به فى مجامع الامور هو المعبود الحقيقى الذى هو مولى النعم كلها عاجلها وآجلها جليلها وحقيقها فيتوجه بشرائره الى جناب القدس تبارك وتعالى ويتمسك بحبل التوفيق . ويشغل سره بذكره والاستمداد به عن غيره .

(فصل في فضائل بسم الله الرحمن الرحيم وخواصه)

وقد نقل الحافظ العباد ابن كثير في تفسيره . وقال وقد روى
 الامام ابو محمد عبدالرحمن بن ابى حاتم في تفسيره بسنده عن ابن عباس
 رضى الله عنهما ان عثمان بن عفان رضى الله عنه سأل رسول الله ﷺ
 عن بسم الله الرحمن الرحيم فقال هو اسم من اسماء الله تعالى . وما بينه
 وبين اسم الله الاكبر الا كما بين سواد العينين وبياضهما من القرب
 وهكذا رواه ابو بكر ابن مردويه . وقال جابر بن عبد الله رضى الله عنه
 وحلف الله تعالى بعزته وجلاله ان لا يسمى اسمه على شيء الا بارك فيه
 وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه . من اراد ان ينجيه الله تعالى من
 الزبانية التسعة عشر فليقرأ بسم الله الرحمن الرحيم . فيجعل الله له من
 كل حرف منها جنة من كل واحد . وقال الامام احمد في مسنده بسنده
 عن عاصم قال سمعت ابا تميمة يحدث عن رديف النبي ﷺ قال عثر
 بالنبي ﷺ فقلت تعس الشيطان . فقال النبي ﷺ لا تقل تعس
 الشيطان . فانك اذا قلت تعس الشيطان تعاظم . وقال بقوتي صرعه
 واذا قلت بسم الله الرحمن الرحيم تصاغر حتى يصير مثل الذباب . وكذا
 رواه النسائي في عمل اليوم والليلة . وابن مردويه في تفسيره فهذا من
 تأثير بركة بسم الله الرحمن الرحيم . ولهذا تستحب في اول كل عمل لما جاء
 كما ذكرنا (كل امر لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو اجزم)
 كالاكل والجماع لما في مسلم ان رسول الله ﷺ قال لربيبة عمر بن ابى
 سلمة رضى الله عنها قل بسم الله وكل يمينك وكل مما يليك . وعن

ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله ﷺ قال (لو ان احدكم اذا اراد ان يأتي اهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان مارزقتنا فانه ان يقدر بينهما ولد لم يضره الشيطان ابداً) فالمشروع ذكر اسم الله في اول الشروع في القيام او القعود او الاكل او الشرب او القراءة او الوضوء او الصلاة او دخول الدار او البيت او غيرها تبركا او تيمنا واستعانة على الاتمام والتقبل والبركة والله اعلم ولهذا روى ابن جرير وابن ابى حاتم بسندهما عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ان اول ما نزل به جبريل على محمد ﷺ قل يا محمد (استعين بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم قال قل بسم الله الرحمن الرحيم ثم قال له جبريل بسم الله يا محمد اقراء بذكر الله ربك . وقم . اقعد بذكر الله تعالى .

وذكر العلامة الفخر الرازي في تفسيره الكبير . ان نوحا عليه السلام لما ركب السفينة قال بسم الله مجريها ومرساها ، فوجد النجاة بنصف هذه الكلمة ، فمن واظب على هذه الكلمة طول عمره كيف يبقى محروما عن النجاة ، وايضا ان سليمان عليه السلام نال مملكة الدنيا والآخرة بقوله (انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم) فالمرجو ان العبد اذا قاله فاز بم ملك الدنيا والآخرة .

واعلم أن بسم الله الرحمن الرحيم فيها الاسماء الثلاثة والحكمة في ذكرها ان المخاطبين ثلاثة اصناف كما قال تعالى ﴿ فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات ﴾ فقال انا الله للسابقين . الرحمن للمقتصدين الرحيم للظالمين ، وايضا الله هو معطي العطاء والرحمن هو المتجاوز عن

زلات الاولياء ، والرحيم هو المتجاوز عن الجفاء ، ومن كمال رحمته كأنه تعالى يقول : اعلم منك ما لو علمه ابواك لفارقاك . ولو علمته المرأة لجفتك ولو علمته الامة لاقدمت على الفرار منك ولو علمه الجار لسعى في تخريب الدار . وأنا أعلم كل ذلك واستره بكرمى لتعلم انى إله كريم وروى ان قيصر كتب الى عمر رضى الله عنه ان بنى صداعا لا يسكن فابعث لى دواء ، فبعث اليه عمر رضى الله عنه قلنسوة ، فكان اذا وضعها على رأسه يسكن صداعه ، واذا رفعها من رأسه عاوده الصداع فمعجب منه ففتش القلنسوة فاذا فيها كاغذ مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم قال الجامع المعصومى ليس لهذه الرواية سند ولهذا أشار اليه المؤلف بصيغة التمرىض والله اعلم بالصواب .

وروى أيضا كذلك أن بعض الكفار طلب من خالد بن الوليد رضى الله عنه آية ، فقال انك تدعى الاسلام فارنا آية لنسلم ، فقال ايتونى بالسم القاتل ، فاتى بطاس من السم فاخذه بيده وقال بسم الله الرحمن الرحيم وأكله كله وقام سالما بأذن الله تعالى فقال المجوس هذا دين حق . وكذلك روى ان عيسى بن مريم عليهما السلام مر على قبر فرأى ملائكة العذاب يعذبون ميتا فلما انصرف من حاجته مر على القبر المذكور فرأى ملائكة الرحمة معهم اطباق من نور فتعجب من ذلك فصلى ودعا الله تعالى فاوحى الله تعالى اليه يا عيسى كان هذا العبد عاصيا ومذمات كان محبوسا فى العذاب وكان قد ترك امرأة حبلى فولدت ولدا وربته حتى كبر فسلمته الى الكتاب فلقنه المعلم بسم الله الرحمن الرحيم

فاستحييت من عبيدي ان اعذبه بناري في بطن الارض وولده يذكروني
اسمى على وجه الارض . قلت والله سبحانه وتعالى اعلم بصحة هذه الرواية
وهو جل جلاله أرحم الراحمين .

والحاصل ان العلماء أجمعوا على أنه يستحب ان لا يشرع في عمل
من الاعمال (أى المأمور به والمباح) الا ويقول بسم الله فاذا نام قال
بسم الله ؛ واذا قام قال بسم الله واذا قصد العبادة قال بسم الله واذا
دخل الدار قال بسم الله ، أو خرج منها قال بسم الله ، واذا أكل أو شرب
أو أخذ أو أعطى قال بسم الله ، والحاصل أنه يقول في كل حالته بسم الله
وعند الولادة وعند ادخاله القبر يقول بسم الله فبسم الله الرحمن الرحيم دواء
الامراض القلبية ، وشفاء الاسقام الجسمية ، ومفتاح الخيرات والبركات ،
وعلامة السلامة والنجاة فداوموا عليه في كل الحالات ، حتى تنالوا أعلى
الدرجات .

فان كان الامر هكذا كما فصلنا فينبغي لقارئ القرآن سواء بدأ
من أول السورة أو من وسطها أن يتعوذ أولاً ثم يدسمل لتكون قرائته
مباركة وتلاته مؤثرة ، والعجب من كثير من القراء من ابتداء الزمان
يكتفون بالتعوذ ويتركون البسملة ، واذا قلت لهم أتركون البسملة ؟
يقولون أن الشاطبي أجاز ترك البسملة ، وقال بكفاية التعوذ ، حيث
قال الشاطبي

ولا بد منها في ابتدائك سورة سواها وفي الأجزاء خير من تلا

وما عرف هذا المسكين ان قرائته هذه في المحافل والمآتم تركها جائزاً
أيضاً ، وانما يقرأ من يقرأ ، وانما يقرئ من يقرئ لتحصيل الثواب
والأجر ، فان كان هكذا أليس يزيد ثواب القراءة بالبسملة ، وأليس
يكون نوراً على نور ، أفلا تتدبرون القرآن والاصول ، أو على قلوبكم الاقفال
وعلى بصيرتكم الأفلول فاعتبروا يا أولى الابصار .

قال الله تبارك وتعالى ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ هذه الجملة الشريفة
آية واحدة تامة ، أفتتح بها كتاب الله تعالى ، وهي مفتاح كل خير وباب
كل سعادة ، وهذه ناطقة بان كل حمد وثناء يصدر عن نعمة ما فهو له تعالى ،
ولا يصح ذلك إلا اذا كان الله سبحانه مصدر كل نعمة في الكون تستوجب
الحمد ؛ ومنها نعمة الخلق والايجاد والتربية والتنمية ، فلهذا صرح بأنه
رب العالمين ، ولفظ الرب ليس معناه المالك فقط أو السيد فقط ، بل
فيه معنى التربية والثناء ؛ وهو صريح بان كل نعمة يراها الانسان في نفسه
وفي الآفاق منه عز وجل ، فليس في الكون متصرف بالايجاد والاشقاء
والاسعاد سواه ، والحمد هو الثناء باللسان وقيدوه بالجميل ، لان كلمة ثناء
تستعمل في المدح والذم جميعاً ، يقال اثنى عليه شراً ، كما يقال اثنى عليه
خيراً ، ويقولون أن (ال) التي في الحمد هي للجنس في أى فرد من افراده ،
ومعنى كون الحمد لله تعالى بأى نوع من أنواعه هو ان أى شىء يصح
الحمد عليه فهو مصدره واليه مرجعه ، فالحمد لله على كل حال ، وهذه الجملة
خبرية ولاسكنها استعملت لانشاء الحمد . فاما معنى الخبرية فهو اثبات ان
الثناء الجميل في أى انواعه تحقق فهو ثابت له تعالى وراجع اليه . لأنه

متصف بكل ما يحمد عليه الحامدون فصفااته اجمل الصفات ، واحسانه
عم جميع الكائنات ، ولان جميع ما يصح ان يتوجه اليه الحمد مما سواه فهو
منه جل ثناؤه ، إذ هو مصدر الكون كله ، فيكون له ذلك الحمد أولا
وبالذات ، والخلاصة ان أي حمد يتوجه إلى محمود ما فهو لله تعالى سواء
لاحظه الحامد أو لم يلاحظه ، وأما معنى الانشائية فهو ان الحامد جعلها
عبارة عما وجهه من الثناء إلى الله تعالى في الحال .

﴿رب العالمين﴾ يشعر هذا الوصف ببيان وجه الثناء المطلق ، ومعنى
الرب السيد المرئى الذى يسوس مسوده ويربّيه ويُدبره . والعالمين جمع عالم .
جمعه جمع المذكر العاقل تغليباً . وأراد به جميع الكائنات الممكنة . أى انه
رب كل ما يدخل فى مفهوم العالم . الحمد لله . كأن القارىء يقول ها انا إذا عرفتُ
رحمة الله سارية فى سائر العوالم ولقد علمت ان كل من أنعم عليه بنعمة
يشكر مسديها . فالولد يشكر أبويه على التربية . والضعيف الذليل
يشكر القادر الشجاع الذى انقذه من الذلة . والمتعلم يشكر العالم الذى
اسبغ عليه نعمة العلم . كما أفاده العلامة الشيخ محمد عبده فى تفسيره .

وذكر أيضاً ان الامم كالأفراد . فاننا نرى كل أمة تمجد وتمدح وتحمد
رجالها الذين افادوها . ورقوا صناعاتها وتجارتها واثروتها فى التأريخ والمجاميع
وهكذا شجماؤها الجحاجيح وابطالها المقاديم . وكذا انبياءؤها وحكماؤها
الذين اضأوها بنعمة العلم والدين . فهذه نعمة واصله من المحسنين والشجعان
والعلماء إلى الامم فاستحقوا بذلك الشكر . ولا جرم ان الشكر يكون
بالقلب ثم الجوارح واهمها اللسان فينطق بالحمد . وهو الثناء الجميل لاجل

النعمة الواصلة بالاختيار من المنعمين . يجيش في نفس القارىء تلك الرحمت العامة فيشكر مسديها بقلبه وجوارحه وهي قسمان . رحمت واصله على أيدي الناس كالوالدين والشجمان والعلماء والانبياء والمحسنين ورحمة واصله من غيرهم كاشراق الشمس ونعمة السحاب وجريان الماء وعجائب النبات وجمال الطبيعة وبهاء النجوم ونور العين ورؤية البصر وسماع الاذن وبطش اليد وقوة الرجل وغيرها . وهذه النعم والرحمت بقسميها ليس لهما مصدر الا الله . ولا جرم ان الحمد والثناء انما يكون للمحسن الحقيقي . فالحمد اذن انما يكون له سبحانه . فاذا مدحنا الوالدين وحمدنا الشجمان وشكرنا العلماء والانبياء فالحمد والشكر والمدح لله تعالى لانه تعالى مولى هذه النعمة والرحمة . واذا تمتعنا بنعمة السحاب والمطر وماء الانهار ومعادن الجبال ونور الشمس فالحمد والشكر لمسديها . وهو الله . فكأن القارىء يقول ها انا اذا عرفت ان الرحمة الواصلة للعباد صرجمعها الله تعالى وحده فيكون كل حمد صادر من الالسة راجعا لله عز وجل . لانه هو المختص بالرحمة التي كان سببا في الثناء .

كانت العرب تمدح ملوكها ومحسنيها في الجاهلية . فامرهم الله تعالى ان يولوا وجوههم قبل الله . وان يصدوا عن المذائح الملكية ولذوى الشرف اطلاقا لنفوسهم من الاسر ولعقولهم من الغفلة . وتعويذا لهم على الحرية العقلية وان ينسوا الفضل والاحسان القليل الصادر من المخلوق الضعيف . وان يطلبوا الخير والمعروف عند الله الذي هو الربى لجميع العالمين من الملوك والمثريين وغيرهم . فاذا فعلوا ذلك اصبحوا سادة العالم

بنظرهم في العوالم وبمحتهم في نظامها وعجائبيها . فينالون الخير من الربى العظيم والخالق الحكيم بجدهم واجتهادهم لا بالاستجداء من الملوك ولا بالتوسل من المحسنين . ولقد حقق الله تعالى بعض ما ذكرنا . الا ترى انهم فتحوا الامم شرقاً وغرباً باتحادهم . ونالوا من الخيرات فوق ما يبتغون وفي هذه السورة وكذا في كثير من الايات والسور أمر الله المسلمين ان يخلصوا الله بالحمد وبالعبادة . فرجع الامر الى توجيه العبادة والحمد والذكر لله ومحريم عبادة المخلوق والخضوع له . وشرعنا هذا دين حسن الحسن وقبح القبيح كله .

ويناسب لهذا المقام ما حكى ان زهرة قال هو لرستم قائد جيش الفرس اذ ذاك (انالتم نأتكم لطلب الدنيا وانما طلبتونا وهمتنا الآخرة . فقال له رستم ما دين الاسلام . قال ان تشهد أن لا إله الا الله وان محمداً رسول الله قال وأى شيء أيضاً قال (اخراج العباد من عبادة العباد الى عبادة الله . والناس بنوا آدم وحواء إخوة لاب وأم . الخ والعبادة والحمد مختصان بالله عز وجل وانه هو الذى يطلب منه الاعانة والهداية الى الصراط المستقيم ولا ترى ان الاسلام كان له فى المصدر الاول معنى غير الذى يفهم المسلمون الآن . لان مبنى الاسلام العدل والمساوات وان لا يستعبد بعضهم بعضاً . وانهم خلفاء الله فى ارضه ليعطوا عباده الحرية فالاسلام اذ ذاك مبنى على الفهم والعلم والعقل فأما الآن فانه مجرد ظواهر واعمال لاتصل الى اعماق القلوب . فلذلك انحطت الامم الاسلامية اليوم اما يحىء الآن أن ان ترجع الى عزها القديم

ومجدها العظيم . ولكن هيهات متى يكون ذلك . فانا لانرى المسلمين
الا متقهقرين ومنغمسين فى الضلالات

« رب العالمين » اى مربى العوالم كلها . ومرقىها من حال النقص الى
حال الكمال وغايات التمام . فهو الذى يتعهد النبات بالتغذية والانماء . وهكذا
الحيوان والانسان . وكذا العوالم العلوية . وهذه هى التربية التى كان مبدؤها
الرحمة . والله تعالى ذكر تربيته للعالمين ورحمته لخلقين . وقدمه على العبادة
وهداية الصراط المستقيم وكأ انه تعالى يشوقكم الى د راسة رحماته . ويأمركم
بمعرفة كلماته . فاذا تأمل المسلمون ما ذكرناه كان حمدهم حقيقيا اذا عملوا
بمقتضاه . ولما كان كل حمد لا بد له من سبب يستوجبه ذكر السبب وهو
التربية والرحمة . فقال انه رب العالمين وكيف يقرءون فى صلواتهم كل آن ان
الله تعالى مربى العالمين واكثرهم يجهلون تربيته . فانه ربى النطفة حتى جعلها
انسانا بصيرا ناطقا . وكيف انبت الذرة والقمح . وكيف ربى الاشجار وانبتها
وانمراها . وهكذا صغيرات الامور وكبيراتها . فيجب علينا ان نتفكر
فى ذلك . لأن نأكل كما تأكل الانعام . ونسجد كما يسجد الحيوان ونعوب كما
تموت الديدان .

واعلم ان الحمد يكون على مقدار علم الحامد . فالحامد كلما كان اعرف
بصفات الحمود كان اصدق حمدا . وكلما كان قليل العلم بها كان اقرب الى
الكذب فى حمده . لذلك نجد الناس اذا أرادوا تأييد صيت او تكريم حى جمعوا
من الكتب ما كان له من محمده . واذا أرادوا ذما تقبوا عن الاعمال السيئة
فك هذا هنا لن يعرف المسلمين محامد الله حتى يقرءوا نظام الطبيعة لانها

أفعاله وآثاره وعجائب صنعه . وهى كتاب التاريخ الذى يحفظ فى سجل الدهر
فاذا أراد المسلمون ان يحمّدوا الله من حمده فليقرأ عقلاؤهم نظام الطبيعة
وليعقلوها . فحينئذ يحمّدون الله حق حمده . كما تحمد الامم رجالها . فاذا
قالوا الحمد لله كان ذلك على الحقيقة والواقع لا مجرد اللفظ فيها أنا أقول
ملاحظاً كل ذلك (الحمد لله رب العالمين)

والعالمين جمع عالم وهو ما سوى الله تعالى . والعالم قسمان عالم علوى
وعالم سفلى . والعلوى هو الاثنية والسماء والكواكب والشمس والقمر
والسيارات وغيرها . والعالم السفلى ما فى البحر من مخلوقات حى وما على
الارض من معدن ونبات وحيوان وانسان . والجبال والعيون والانهار
ومن عجائب البحر الدر والارجان . ومن الآثار العلوية تغير الهواء من
النور والظلمة والحر والبرد وتصريف الرياح والسحاب بين السماء والارض
والامطار والرعود والبروق والثلوج والهالات . الا فليعلم المسلمون فى
مشارك الارض ومغاربها انهم لا يحمّدون الله حق حمده ولا يشكرونه
حق شكره الا اذا درسوا هذه العلوم كلها . وعرفوا ما تفرع عنها وانتفعوا
بها . ونفعوا الناس بفوائدها واذن يحق لهم أن يقولوا (الحمد لله رب
العالمين) وأما اذا ما بقوا على جهلهم ولم يعرفوا هذه العوالم ولا نظامها
فليعلموا ان حمدهم لفظى وشكرهم ظاهرى فقط .

أضرب لكم هنا مثلاً . يحكى ان مؤلفاً عظيماً قدم على رجل من
رجال الجرائد كتاباً . فكان هو وزوجته لا يتركان مجلساً الا مدحا هذا

المؤلف . ولاناديا الا أثنيا عليه . وهما في كل واد يمدحانه ؛ ويحمدان
صنيع ذلك المؤلف ؛ وانه أحسن الى أمته وان لها شرفاً عالياً ونفراً
تالداً ، فلما أت حل المؤلف بساحتها وهما لم يرياه قبل ذلك فرحابه
وأستبشرا واكرماه غاية الأكرام ولما قاما الى بعض شأنهما نظر هو فوجد
كتابه لم يفيض خاتمه ، ولا يزال ورقه متصلاً غير منفصل دلالة على انهما
لم يقرأ منه حرفاً ولم يعرف منه كلمة ، فلما ودعها وانصرف أرسل اليهما
مقصداً ليفهمهما انه أدرك ان الحمد والمدح كانا على جهالة عمياء وان
الثناء رياء ، فانقلب سروره غماً وفرحه حزناً ، افلا يكون نصيب المسلمين
من ربهم نصيب ذلك الرجل وزوجته من المؤلف ، افلا يقول الله
للمسلمين أنتم تقرأون كتابي وتحمدونني واسكن لا تعرفون من صفاتي
وأفعالي الا قليلاً فلا عطيتكم من نعمي على مقدار ما عرفتم ، وأخذ يقص
أرضنا معاشر المسلمين ويعطيها للامم الاخرى التي درست العوالم ، أن
الله تعالى لم يرسل مقصداً الى المسلمين كما أرسل المؤلف ولكنه أرسل
رجالاً وأما قصوا من أرضنا ، ولا يزالون يقصون وحرموناً منها جزاء
وفاقاً ان الارض يرثها عبادي الصالحون * فارض الجنة يرثها
الصالحون لها بالعمل ، وارض الدنيا يرثها الصالحون لها بالعمل والعمل
يتقدمه العلم ؛ فكل امة أعرف بهذا العالم فهي أحق به وأولى بالفضل
وأعرف بالحمد

واعلم ان لكل حمد سبباً كما اشرنا اليه . فالجائع يقول الحمد لله الذي
غذاني واطعمني واشبعني والظمان يقول الحمد لله الذي أرواني . والفقر

يقول الذى اغثنانى . والجاهل يقول الذى علمنى وفى القرآن على لسان
ابراهيم عليه السلام ﴿ الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسماعيل واسحاق ﴾
وعلى لسان يوسف عليه السلام ﴿ وقد احسن بى اذا خرجت من السجن ﴾
وهذه الجملة حمد على نعمة الخروج من السجن . ولم تشمل اسرة يوسف
عليه السلام ، وقال الشاعر الجاهلى لما أسلم :

الحمد لله إذ لم يأتنى اجلى حتى اكتسيت من الاسلام سر بالاً
فاما الحمد فى هذه السورة فسببه أن الله مربى جميع العالم ، فالمسلم
يقول فى صلاته الحمد لله لأنه هو الذى ربى جميع العالم من العلويات
والسفليات ، ولكن لما عز الحامدون الحقيقيون الشاكرون العاقلون
قال الله تعالى ﴿ وقليل من عبادى الشكور ﴾ ويا للأسف أن كثيراً من
حافظ القرآن لا يعنيه الا أن يعيش به كالحمار يحمل اسفاراً ، وكالجاموس
لم يعنه الا البرسيم ، أوليس العامة الذين يفرحون بنعمات القارىء فى
مائاتهم واعراسهم اشبه بالصبي الذى راقه مناظر الازهار والطرب والمسلم
العاقل الحكيم هو الذى يخاطب ربه بالفاتحة ويشئ عليه ويتجه اليه
بقلبه ، وهذا هو الذى يصير القرآن نوراً له يوم القيامة ، كما افاده العلامة
الجوهري الطنطاوى فى تفسيره .

وقال العلامة العماد ابن كثير فى تفسيره الشهير ، قال الامام أبو
جعفر ابن جرير فى تفسيره جامع البيان معنى ﴿ الحمد لله ﴾ الشكر لله
خالصاً دون سائر ما يعبد من دون الله ، ودون كل ما برأ من خلقه ، بما
انعم على عباده من النعم التى لا يحصيها العدد ، ولا يحيط بعددها غيره

أحد . في تصحيح الآلات لطاعته وتمكين جوارح اجسام المكلفين
لاداء فرائضه ، مع ما بسط لهم في دنياهم من الرزق وغذاهم به من نعم
العيش ، من غير استحقاق منهم ذلك عليه ، ومع ما نبههم عليه ودعاهم اليه ،
من الاسباب إلى دوام الخلود في دار المقام في النعيم المقيم ، فلربنا الحمد
على ذلك كله أولاً وآخراً ، والحمد ثناء اثنى الله تعالى به على نفسه . وفي
ضمنه أمر عباده أن يثنوا عليه فكأنه قال قولوا الحمد لله .

وحكى القرطبي عن طائفة انهم قالوا قول العبد . الحمد لله رب
العالمين ، افضل من قوله لا اله الا الله لاشتمال الحمد لله رب العالمين على
التوحيد مع الحمد . وقال آخرون لا اله الا الله افضل لانها التفصيل
بين الايمان والكفر . وعليها يقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله .
كما ثبت في الحديث المتفق عليه وفي الحديث الآخر (افضل ما قلت
والنبيون من قبلي ، لا اله الا الله وحده لا شريك له) وعن جابر رضي
الله عنه مرفوعا (افضل الذكر لا اله الا الله وافضل الدعاء الحمد لله)
حسنه الترمذي .

والالف واللام في الحمد لاستغراق جميع اجناس الحمد وصنوفه
له تعالى كما جاء في الحديث (اللهم لك الحمد كله ولك الملك كله وبيدك
الخير كله واليك يرجع الامر كله ، والرب هو المالك المتصرف ، ويطلق
في اللغة على السيد وعلى المتصرف للاصلاح : وكل ذلك صحيح في حق الله
تعالى : ولا يستعمل الرب لغير الله الا بالاضافة . فيقال رب الدار ورب
كذا ، واما الرب فلا يقال الا لله عز وجل : وقد قيل انه الاسم الاعظم

والعالمين جمع عالم ، وهو كل موجود سوى الله عز وجل . وقال الزجاج
العالم كل ما خلق الله تعالى في الدنيا والآخرة . وقال القرطبي وهذا هو
الصحيح أنه شامل لكل العالمين كقوله تعالى ﴿ قال فرعون وما ربُّ
العالمين . قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين ﴾
والعالم مشتق من العلامة ، لأنه علم دال على وجود خالقه وصانعه
ووحدايته . كما قال ابن المعتز :

فيا عجباً كيف يعصى الآله ام كيف يحجده الجاحد
وفي كل شئ له آية تدل على أنه الواحد

وقال العلامة ناصر الدين البيضاوى في تفسيره : الرب في الاصل
مصدر بمعنى التربية ، وهى تبليغ الشئ إلى كماله شيئاً فشيئاً . ثم وصف به
للمبالغة ، ثم سمي به المالك لأنه يحفظ ما يملكه ويريه ولا يطلق على غيره
تعالى الا مقيداً ومضافاً . والعالم اسم لما يعلم به غلب فيما يعلم به الصانع تعالى
وهو كل ما سواه من الجواهر والاعراض . وفيه دليل على أن الممكنات
كما هى مفتقرة إلى المحدث حال حدوثها فهى مفتقرة إلى المبقى حال بقائها .
وقال العلامة الراغب الاصفهاني في غرائب القرآن : الرب في الاصل
التربية ، وهو انشاء الشئ حالاً خالاً إلى حد التمام ، ولا يقال الرب مطلقاً
إلى الله تعالى المتكفل لمصلحة الموجودات ، وعلى هذا قوله تعالى ﴿ ولا
يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً ﴾ أى آلهة وتزعمون أنهم البارى
ومسبب الاسباب والمتولى لمصالح العباد ، وبالإضافة يقال له ولغيره نحو
﴿ رب العالمين ، وربكم ورب آبائكم الأولين ﴾ ويقال رب الدار ورب

الفرس . ومنه قوله تعالى ﴿ اذ كرني عند ربك ؛ فأنساه الشيطان ذكر ربه ، وارجع إلى ربك ، ومعاذ الله انه ربي أحسن مثواي ﴾ إلخ .
قال العارف الشيخ احمد السرهندي في المكتوب (٧١) من مكتوباته مانصه : اعلم أن شكر المنعم واجب على المنعم عليه عقلا وشرعا . ومن المعلوم ان وجوب الشكر على قدر وصول النعمة . فكما كان وصول النعمة أكثر كان وجوب الشكر أزيد وأوفر . والشكر لله الكريم المنعم تعالى وتقديس انما يكون بتصحيح العقائد أولا على مقتضى عقيدة أهل السنة والجماعة . ثم اتيان الاعمال والاحكام الشرعية على وفق ما وردت في السنة وبينته الأئمة المجتهدون . وهذان ركنان أصليان والاسلام مربوط بهما . إلخ .

وفي مجموعة الرسائل النجدية : اعلم ان أهم ما فرض على العباد معرفة أن الله تعالى رب كل شيء ومليكه ومدبره بارادته . فاذا عرفت هذا فانظر ما حق من هذه صفاته عليك بالعبودية بالحب والجلال والتعظيم والخوف والرجاء والتأله المتضمن للذل والخضوع لأمره ونهيهِ . وذلك قبل فرض الصلاة والزكاة . ولذلك يعرف بتقرير ربوبيته ليرتقوا بها إلى معرفة الهيته التي هي مجموع عبادته على مراده نفياً وإثباتاً علماً وعملاً وجملة وتفصيلا .

وفي رسالة تفصيل الاجمال للعلامة ابن تيمية رحمه الله تعالى . والكفار في العالم اما معطلة واما مشركة . والشرك في العالم أكثر من التعطيل . والقرآن يذكر فيه الرد على المعطلة تارة كالفرعون . وعلى المشركين .

أكثر . ومرض الشرك في الناس أكثر من مرض التعطيل . قال العبد الضعيف المعصومي حفظه الله تعالى في الدارين عن كل مين وشين . وهذا هو المشاهد فأنك إذا تتفكر فيما عليه الناس تجد أكثرهم مشركين أما باعتقاده أن الملائكة أو الجن أو الأرواح أو أصحاب الضرائح أو بعض الأشجار أو الأحجار ينفعه ويضره . أو أن بعض الأرواح والأموات يعلمون الغيب أو يتصرفون في الأمور أو أمثال ذلك . مما يدل على الشرك في الربوبية والشرك في العبادة أو الشرك في الأسماء والصفات . ولهذا قال تعالى ﴿ وما يؤمن أكثرهم ، بالله إلا وهم مشركون ﴾

وفي المکتوب (١٦٧) العارف السر هندي . أن الهنود يعتقدون أن الإله حل في رام وكرشن وأمثالهما من آلهة الهنود . وهم وإن كانوا قائلين بوجود رب العالمين ولكنهم أثبتوا له سبحانه الحلول فيهم واتحاده بهم . فدعوا الخلق إلى عبادتهم من هذه الجهة . والحال أنهم من أحقر مخلوقات الله تعالى . ومتولدات من المخلوقين . والإله المستحق للعبادة إنما هو جناب الحق رب العالمين الذي لا إله سواه .

وقال الإمام نجر الدين الرازي في تفسيره . الحمد لله أثبات لوجود الله تعالى . ورب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين دليل على كونه تعالى مستحقاً للحمد . وهما هنا دقيقة وهي أن علمنا بوجود الشيء أما أن يكون ضرورياً أو نظرياً . لا جازماً يقال أن العلم بوجود الإله ضروري لأننا نعرف بالضرورة أننا لا نعرف وجود الإله بالضرورة فبقي أن يكون العلم به نظرياً . والعلم النظري لا يمكن تحصيله إلا بالدليل . ولا دليل

على وجود الاله الا ان هذا العالم المحسوس بما فيه من السماوات والارضين والجبال والبحار والمعادن والنبات والحيوان محتاج الى مدبر يدبره وموجد يوجده وصرب يرييه ومبقي يبقيه . فكان قوله رب العالمين . اشارة الى الدليل الدال على وجود الاله القادر الحكيم وان العالمين اشارة الى كل ما سوى الله تعالى . فكل ما سواه فهو مفتقر اليه ومحتاج في وجوده الى ايجاده وفي بقائه الى ابقائه (قال المعصومي سواء كان ملكا مقربا او نبيا مرسلًا فما يزعمه المشركون من ان الارواح تدمم او تتصرف فيهم باطل . فردا عليهم وقمعا لاعتقادهم الفاسد قال الله تعالى ان الربى للعالم واهله هو الله وحده) و انما قال رب العالمين ولم يقل خالق العالمين . لان الملمين كلهم معترفون بان الخالق هو الله وحده . وانما اختلفوا في بقائه انه هل يحتاج الى تربية خالقه فرغم الوثنيون والبوديون والمشركون انه يكفيه تربية الارواح الزاكيات فرد الله تعالى عليهم بانه لا يستغنى مخلوق ما عن تربية الله تعالى فهو ربى العالمين باجمعهم ارواحهم واجسادهم وانسهم وجنهم وملائكتهم . فلهذا قال ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾

الحمد لله معناه ان الحمد والثناء حق لله وملكه . فانه تعالى هو المستحق للحمد بسبب كثرة اياه وانواع الآئه على العباد . والحمد لله عبارة عن صفة القلب . وهى اعتقاد كون ذلك المحمود متفضلا منعا مستحقا للتعظيم والاجلال لذاته . واعلم ان حقيقة الحمد وماهيته عبارة عن كل فعل يشعر بتعظيم المنعم بسبب كونه منعا . وذلك الفعل اما ان يكون فعل القلب او فعل اللسان او فعل الجوارح . اما فعل القلب

فهو ان يعتقد فيه كونه موصوفا بصفات الكمال والاجلال . واما فعل
اللسان فهو ان يذكر الفاظا دالة على كونه تعالى موصوفا بصفات الكمال
واما فعل الجوارح فهو ان يأتى بافعال دالة على كون ذلك المنعم موصوفا
بصفات الكمال والاجلال . فهذا هو المراد من الحمد والله تعالى يربى
مخلوقاته عموما والانسان خصوصا بوجوه كثيرة غير متناهية . فانظر
الى قطرة النطفة اذا وقعت من صلب الاب الى رحم الام . فكيف
صارت علقة اولاً ثم مضغة ثانياً ثم تولدت منها اعضاء مختلفة مثل العظام
والغضاريف والرباطات والاورتار والاوردة والشرابين ثم اتصل ببعض
بالبعض ثم حصل فى كل واحد منها نوع خاص من انواع القوى فخصات
القوة الباصرة فى العين والسامعة فى الاذن والناطقة فى اللسان نسبجان
من اسمع بعظم وبصر بشحم وانطق باحم وكتب التشریح تفصل ذلك
وكل ذلك يدل على تربية الله للعبد

والمثال الثانى ان الحبة الواحدة اذا وقعت فى الارض فاذا وصلت
نداوة الارض اليها انتفخت . ولا تنشق من شئ من الجوانب الا من
أعلىها واسفلها مع ان الا انتفاخ حاصل من جميع الجوانب اما الشق
الاعلى فيخرج منه الجزء الصاعد من الشجرة . واما الشق الاسفل فيخرج
منه الجزء الغائص فى الارض وهو عروق الشجرة . واما الجزء الصاعد
فبعد صعوده يحصل له ساق . ثم ينفصل من ذلك الساق اغصان كثيرة
ثم يظهر على تلك الاغصان ازهار وانوار اولاً ثم الممار ثانياً . ثم يحصل
لتلك الثمار أجزاء مختلفة بالكثافة واللطافة . وهى القشور ثم اللبوب

ثم الادهان والحلاوة والروائح . وأما الجزء الغائص من الشجرة فان تلك العروق تنتهي الى أطرافها وتجذب الى نفسها المياه خاصة في الارض الصلبة الخشنة . والحكمة في كل هذه التدبيرات تحصيل ما يحتاج العبد اليه من الغذاء والادام والفواكه والاشربة والادوية . وانه تعالى وضع الافلاك والكواكب بحيث صارت أسباباً لحصول مصالح العبادخلق الليل ليكون سبباً للراحة والسكون . وخلق النهار ليكون سبباً للمعاش والحركة . واذا تأملت في عجائب احوال المعادن والنبات والحيوان وآثار حكمة الرحمن في خلق الانسان قضي صريح عقلك بان اسباب تربية الله كثيرة ودلائل رحمته لأئحة ظاهرة . وعند ذلك يظهر لك قطرة من بحار اسرار قوله ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾

ان سورة الفاتحة جامعة لكل ما يحتاج الانسان اليه من معرفة المبدء والاماد والوسط . فالحمد لله رب العالمين . اشارة الى اثبات الصانع المختار . والطريق المعتمد في اثبات الصانع في القرآن هو الاستدلال بخلق الانسان على ذلك الاترى ان ابراهيم عليه السلام قال ﴿ ربى الذى يحيى ويميت ﴾ وقال فى موضع آخر ﴿ الذى خلقنى فهو يهدين ﴾ وقال موسى عليه السلام ﴿ ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى ﴾ وقال فى موضع آخر ﴿ ربكم ورب آبائكم الاولين ﴾ وقال تعالى فى اول سورة البقرة ﴿ يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ وقال تعالى فى أول ما أنزل على سيدنا محمد ﷺ ﴿ اقرأ بسم ربك الذى خلق الانسان من علق ﴾ فهذه الآيات تدل على انه

تعالى استدلل بخلق الانسان على وجود الصانع تعالى . وإذا تأملت في القرآن وجدت هذا النوع من الاستدلال فيه كثيراً جداً .

وها أنا أذكر هنا بعض تلك الآيات التي حمد الله تعالى بها نفسه .
واقاد انه الخالق المنعم الكريم المستحق لجميع الحمد وانه هو الذي يدبر أمور عباده . كما افتتح الله تعالى سورة الانعام بقوله ﴿ الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ﴾ ﴿ وهو الله في السموات وفي الارض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون ﴾ ﴿ قل لمن مافي السموات والارض . قل لله كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه . الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون ﴾ ﴿ قل أغير الله اتخذ ولياً فاطر السموات والارض وهو يطعم ولا يطعم . قل اني أصرت ان أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين ﴾ ﴿ ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ﴾ ﴿ ادعوا ربكم تضرعاً وخفية انه لا يحب المعتدين ﴾ ﴿ وفي سورة يونس ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الامر ، ما من شفيع الا من بعد اذنه ، ذلكم الله ربكم فاعبدوه افلا تذكرون ، اليه مرجعكم جميعاً ، وعد الله حقاً ، انه يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزي الذين آمنوا و عملوا الصالحات بالقسط ، والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون ﴾ ﴿ قل من يرزقكم

من السماء والارض آمن يملك السمع والا بصار ، ومن يخرج الحى من
الميت ويخرج الميت من الحى ، ومن يدبر الامر ، فسيقولون الله ، ققل
افلا تتقون * فذلكم الله ربكم الحق ، فماذا بعد الحق الا الضلال فانى
تصرفون * وما يتبع أكثرهم إلا ظنا ان الظن لا يغنى من الحق شيئا
ان الله عليم بما يفعلون ﴿ وفى سورة المؤمنون ﴾ قل لمن الارض ومن
فيها ان كنتم تعلمون * سيقولون لله ، قل افلا تذكرون * قل من رب
السموات السبع ورب العرش العظيم * سيقولون لله ، قل افلا تتقون .
قل من بيده ملكوت كل شىء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون *
سيقولون لله ، قل فانى تسحرون ﴿ وفى سورة الفرقان ﴾ تبارك الذى
نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً ، الذى له ملك السموات
والارض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك فى الملك ، وخلق كل شىء
فقدّره تقديرا . واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون . ولا
يملكون لانفسهم ضرراً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً ﴿
وفى سورة النمل ﴾ قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى الله خير
أما يشركون . امن خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء
فانبثنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم ان تنبتوا شجرها أإله مع الله
بل هم قوم يعدلون * أمن جعل الارض قراراً وجعل خلالها نهراً وجعل
لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزاً إله مع الله ، بل أكثرهم لا يعلمون *
أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجمعكم خلفاء الارض ،
إله مع الله قليلاً ما تذكرون . أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر ومن

يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته ، أله مع الله . تعالى الله عما يشركون .
أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والارض ، أله مع الله
قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين . قل لا يعلم من في السموات
والارض الغيب الا الله . وما يشعرون أيا ن يبعثون ﴿ وفي سورة القصص
﴿ وهو الله لا إله الا هو له الحمد في الاولى والاخرة ، وله الحكم واليه
ترجعون ﴾ وفي آخر سورة العنكبوت ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات
والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون . ولئن سألتهم
من نزل من السماء ماء فأحيا به الارض بعد موتها ليقولن الله ، قل الحمد
لله بل أكثرهم لا يعقلون . فاذا ركبوا في الفلك دعواوا الله مخلصين له
الدين ؛ فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون . ليكفروا بما آتيناهم وليمتنعوا
فسوف يعلمون . والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع الحسنيين .
وفي سورة لقمان ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله
قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون . ذلك بان الله هو الحق وان ما يدعون
من دونه الباطل ؛ وان الله هو العلى الكبير . واذا غشيهم موج كالظلل
دعواوا الله مخلصين له الدين ، فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد وما يجحد
بآياتنا إلا كل ختار كفور * يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوماً لا
يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جازع عن والده شيئاً . ان وعد الله حق
فلا تفرنكم الحياة الدنيا . ولا يغرنكم بالله الغرور ﴾ وفي سورة الزمر
﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ، قل أفرأيتم
ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره ، أو

أرادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته ، قل حسبي الله ، عليه يتوكل المتوكلون . أم اتخذوا من دون الله شفعاء ، قل أولو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون . قل لله الشفاعة جميعاً ، له ملك السموات والارض ، ثم اليه ترجعون . واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ، واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون . الله خالق كل شىء ، وهو على كل شىء وكيل . له مقاليد السموات والارض ، والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون . قل أفغير الله تأصرونى أعبد ايها الجاهلون ولقد أوحى اليك وإلى الذين من قبلك ، لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين . بل الله فاعبد وكن من الشاكرين . وما قدره الله حق قدره والارض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ﴿ وفي آخر سورة الزخرف ﴿ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فاني يؤفكون ﴾ وفي سورة الحشر هو الله الذى لا إله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم . هو الله الذى لا إله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ، سبحانه الله عما يشركون . هو الله الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسنى يسبح له ما فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم (وسبح اسم ربك الاعلى الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى والذى اخرج المرعى)

وبالجملة لو تتفكر فى هذه الايات وامثالها علمت يقيناً ان كل شىء حنته تعالى بدأ واليه يعود . وليس لاحد سواه شىء فى الحقيقة . وهو الرب

الكريم والرؤف الرحيم . فهو المستحق للعبادة والحمد والتعظيم والتبجيل جل جلاله وعم نواله . فينبغي على العبد المؤمن ان يسلك في هذا المسلك الذى هو مسلك سيد الخنفاء سيدنا ابراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام . كما حكى الله تعالى عنه في سورة الشعراء (وأتل عليهم نبأ ابراهيم اذ قال لاييه وقومه ما تعبدون . قالوا نعبد اصناما فنظلم لها عاكفين . قال هل يسمعونكم اذ تدعون او ينفعونكم او يضرون قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون . قال افرايتم ما كنتم تعبدون انتم وأباؤكم الا قدمون . فانهم عدو لى الا رب العالمين . الذى خلقنى فهو يهدين والذى هو يطعمنى ويسقئنى واذا مرضت فهو يشفين والذى يميتنى ثم يحيين . والذى اطعم ان يغفر لى خطيئتى يوم الدين)

قال العلامة العباد ابن كثير فى تفسيره لهذه الآية هذا اخبار من من الله تعالى عن عبده ورسوله وخليته ابراهيم عليه السلام امام الخنفاء . فامر الله تعالى رسوله محمدا ﷺ ان يتلوه على امته ليقتدوا به . فى الاخلاص والتوكل وعبادة الله وحده لا شريك له . والتبرى من الشرك وأهله . فان الله تعالى . آتى ابراهيم عليه السلام رشده من صغره الى كبره وانكر على قومه عبادة الاصنام مع الله عز وجل وافاد انى لا اعبد الا الذى خلق الخلق وقدر الاقدار وهدى الخلائق اليه . وهو الخالق الرازق بما سخر ويسر من الاسباب السماوية والارضية . الخ .

فقوله تعالى (الحمد لله رب العالمين) صريح فى ان الترية لجميع العالمين مختصة بالله تعالى فلا رب فى الحقيقة سواه . واعلم ان الترية

قسمان . تربية حقيقية وتربية ظاهرية فالحقيقية مختصة بالله تعالى لا يشاركه فيها احد . كترية السموات والارضين واجرائها حسب مصلحة العباد . وكترية النطفة والجنين في بطن الام . وكأثناء الاجسام والحفظ عن الاقسام والافات ونحوها . وكاعطاء التوفيق والهداية وامثالها . واما التربية الظاهرية فكترية الام ولدها بالارضاع والتنظيف والتطعيم ونحوها . وكترية الاب والمعلم بالتعليم تعليم العلوم الدينية والاخلاق الفاضلة والصنائع والحفظ عن مخالطة القرناء السوء وكترية الزراع والبستاني زرعه وبستانه بالسقى واخراج الحشائش الضارة . والتلقيح وغير ذلك وكترية الدواب والمواشى بالاعلاف والاستقاء وامثال ذلك فهذه التربيات هي التي تختص بنوع البشر . واما التربية التي يدعيها بعض الصوفية من ان الارواح تربي المخلصين لها ويسمونها تربية روحانية فيعكفون على قبور المشايخ وينذرون اليها ويطلبون من اصحابها التربية فهذه هي التي جاء الشرع المحمدي لمحوها . واعدامها . لانهم من دين المجوس وعادات من الوثنية . فعليك يا ايها المسلم ان تعرف هذه القاعدة وتحافظ عليها . وان تعتقد ان الرب لجميع العالمين في الحقيقة هو الله تعالى وحده . وسواء فيه النبي والملك والاولياء وجميع انواع الانس واصناف الجن فان كلهم مربون لا ارباب . وفقراء ومحتاجون . الى تربية الرب الرحمن الرحيم . والتربية الظاهرة هي ايضا من الله في الحقيقة . لانه تعالى هداة والهمه . فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم . فهو حسبنا وعليه توكلنا .

واما قوله تعالى (الرحمن الرحيم) فآية ثانية من الفاتحة الشريفة
وتقدم معناها في البسملة . وبقى الكلام في اعادتهما هنا . والنكتة فيها
ظاهرة وهي ان تربيته تعالى للعالمين ليست لحاجة به اليهم كجلب منفعة
او دفع مضرة . وانما هي لعموم رحمته وشمول احسانه . وثم نكتة اخرى
وهي ان البعض يفهم من معنى الرب الجبروت والقهر . فاراد الله تعالى
ان يذكرهم برحمته واحسانه ليجمعوا بين اعتقاد الجلال والجمال . فذكر
الرحمن وهو المفيض للنعم بسعة ونجدد لا منتهى لهما . والرحيم الثابت
له وصف الرحمة لا يزايله ابداً فكأن الله تعالى اراد ان يتحجب الى عباده
فعرفهم ان ربوبيته ربوبية رحمة واحسان ليعلموا ان هذه الصفة هي
التي ربما يرجع اليها معنى الصفات وليتعلقوا به ويقبلوا على اكتساب
مَرْضَاتِهِ منشرة صدورهم مطمئنة قلوبهم . ولا ينافي في عموم الرحمة
وسبقها ما شرعه الله من العقوبات في الدنيا وما اعد من العذاب في
الآخرة للذين يتعدون الحدود وينتهكون الحرمات فانه وان سمي قهراً
بالنسبة لصورته ومظهره فهو في حقيقته وعاقبته وغايته من الرحمة لان
فيه تربية للناس وزجراً لهم عن الوقوع فيما يخرج عن حدود الشريعة
الالهية . وفي الانحراف عنها شقاؤهم وبلاؤهم وفي الوقوف عندها
سعادتهم ونعيمهم . والوالد الرؤف يربي ولده بالترغيب فيما ينفعه
والاحسان اليه اذا قام به وربما لجأ الى الترهيب والعقوبة اذا اقتضى
ذلك الحال . والله المثل الاعلى لا اله الا هو واليه يرجعون كما افاده
الاستاذ العلامة الشيخ محمد عبده في تفسيره .

قال العلامة الحافظ ابن كثير في تفسيره قال القرطبي انما وصف نفسه بالرحمن الرحيم بعد قوله رب العالمين ليكون من باب قرن الترغيب بعد الترهيب كما قال تعالى (نبي عبادي انا الغفور الرحيم . وان عذابي هو العذاب الاليم) وقوله تعالى (ان ربك لسريع العقاب وانه لغفور الرحيم) فالرب فيه ترهيب والرحمن الرحيم فيه ترغيب .

وقال العلامة الفخر الرازي في تفسيره مفاتيح الغيب (الرحمن الرحيم) واعلم ان الحوادث على قسمين منه ما يظن انه رحمة مع انه لا يكون كذلك . بل يكون في الحقيقة عذاباً ونقمة ومنه ما يظن في الظاهر انه عذاب ونقمة مع انه يكون في الحقيقة فضلاً واحساناً ورحمة فالاول كالوالد اذا اهل ولده حتى يفعل ما يشاء ولا يؤدبه ولا يحمله على التعلم فهذا في الظاهر رحمة وفي الباطن نقمة والثاني فكالوالد ايضاً اذا حبس ولده في المكتب وحمله على التعلم وهذا في الظاهر نقمة وفي الحقيقة نعمة ورحمة . وكذلك الانسان اذا وقع في يده الاكلة فاذا قطعت تلك اليد فهذا في الظاهر عذاب وفي الباطن راحة ورحمة فالابله يغتر بالظاهر والماعقل ينظر في السرائر فاذا عرفت هذا فكل ما في العالم من محنة وبلية فلا يخلو عن حكمة ورحمة ، والمقصود من التكاليف تطهير الارواح عن الملائق الجسمانية ، كما قال تعالى (وان احسنتم احسنتم لانفسكم) والمقصود من خلق النار صرف الاشعار إلى اعمال الابرار ، وجذبها من دار الفرار إلى دار القرار ، فاذا رأيت

ما يكره طبيعتك وينفر عنه عقلك فاعلم ان تحته اسراراً خفية وحكماً بالغة.
وان حكمته تعالى ورحمته اقتضت ذلك . وعند ذلك يظهر لك أثر من
بحار اسرار قوله ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ .

فعلى العبد المؤمن أن يلاحظ هذه الصفة ، ويعتقد أن ربه هو
الرحمن الرحيم الذى أرحم له من والديه ، فيعتمد عليه وينيب إليه ويتوكل
عليه ويخلص أعماله له عز وجل ، فاذا اتصف العبد بهذه الصفة فلا شك
أنه يكون من أهل السعادة فى الدنيا والآخرة ، فتكون فاتحة الكتاب
شفاء له من داء الكفر والشرك والنفاق والضلال فحمدك ياربنا ورب
العالمين الرحمن الرحيم .

وأما قوله تعالى ﴿ مالك يوم الدين ﴾ فآية نالته من أم الكتاب،
قرأ عاصم والكسائى ويعقوب (مالك) والباقون (ملك) وعليها أهل
الحجاز ، والفرق بينهما أن المالك ذو الملك . بكسر الميم ، والملك ذو الملك
(بضمها) والقرآن يشهد للأولى بمثل قوله ﴿ يوم لا تملك نفس لنفس
شيئاً ﴾ وللثانية بقوله ﴿ لمن الملك اليوم ﴾ قال بعضهم ان قراءة ملك
أبلغ لأن هذا اللفظ يفهم منه معنى السلطان والقوة والتدبير، وقال آخرون.
أن القراءة الأولى أبلغ لأن الملك هو الذى يدبر أعمال رعيته العامة .
ولا تصرف له بشئ من شئونهم الخاصة ، والدين يطلق فى اللغة على
المكافأة . وقد ورد . كما تدين تدان . وعلى الجزاء وهو قريب من معنى
المكافأة . وعلى الطاعة وعلى الاخضاع وعلى السياسة ؛ يقال دين فلان
فلاناً ، أى تولى سياسته . وهو قريب من معنى الاخضاع وعلى الشريعة

وما يؤخذ العباد به من التكاليف ، والمناسب هنا من هذه المعاني الجزاء والخضوع . وإنما قال يوم الدين . ولم يقل الدين لتعريفنا بأن الدين يوما ممتازاً عن سائر الأيام ، وهو اليوم الذى يلقى فيه كل عامل عمله ويوفى جزاءه . وإذا قال قائل ، أليست كل الأيام أيام جزاء ، وكل ما يلاقيه الناس فى هذه الحياة من البؤس هو جزاء على تفريطهم فى أداء الحقوق ، والقيام بالواجبات التى عليهم ، والجواب بلى ان أيامنا التى نحن فيها قد يقع فيها الجزاء على أعمالنا ولكن ربما لا يظهر لأربابه ؛ إلا على بعضها دون جميعها . والجزاء على التفريط فى العمل الواجب انما يظهر فى الدنيا ظهوراً تاماً بالنسبة لمجموع الأمة لا لكل فرد من الافراد . فما من أمة انحرفت عن صراط الله المستقيم ، ولم تراع سننه فى خليقته إلا وأحل بها العدل الآلهى ما تستحق من الجزاء كالفقير والذلة وفقد العزة والسلطة . وأما الافراد فأتنا نرى كثيراً من المسرفين الظالمين يقضون أعمارهم منغمسين فى الشهوات واللذات . نعم أن ضمايرهم توبخهم أحياناً وانهم لا يسلطون من المنغصات ، وقد يصيبهم النقص فى أموالهم وعافية أبدانهم وقوة عقولهم . ولكن هذا كله لم يقابل بعض أعمالهم القبيحة ، لاسيما الملوك والامراء الذين تشقى بأعمالهم السيئة امم وشعوب . وكذلك نرى من المحسنين فى أنفسهم وللناس من يبتلى بهضم الحقوق . ولا ينال من الجزاء على عمله شيئاً مما يستحقه . وان كان قد ينال من الجزاء رضى نفسه وسلامة أخلاقه وصحة ملكاته . ولكن ذلك ليس كل ما يستحق . وفى ذلك اليوم يوفى كل فرد من افراد العالمين جزاءه كاملاً لا يظلم شيئاً منه . كما قال تعالى

﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾
وقد علمنا الله تعالى أنه رحمن رحيم ليجذب قلوبنا اليه . ولكن هل
يشعر كل عباده بهذه المنّة . فينجذبوا اليه الانجذاب المطلوب . كلا فينا
من يسلك كل سبيل لا يبالي بمستقيم ومعوج . ولهذا أعقب الله سبحانه
ذكر الرحمة بذكر الدين فعرفنا انه يدين العباد ويجازيهم على اعمالهم . فكان
من رحمته بعباده ان رباهم بنوعى التريه كليهما . الترغيب والترهيب . كما
تشهد بذلك آيات القرآن الكثيرة ﴿ نبيء عبادى انى أنا الغفور الرحيم
وان عذابى هو العذاب الاليم ﴾

ومعلوم ان التربية يعوزها أمران الرحمة والشدة . فاذا لم تكن الرحمة
او عدم الجزاء والمكافأة بالاحسان والاساءة كانت التربية ناقصة . ولقد
جعل الله الام أقرب الى الرحمة . والاب أقرب الى الشدة والمجازاة فاذا
فقد أحدهما ساءت التربية فاشار تعالى الى الاول بقوله ﴿ الرحمن الرحيم
والى الثانى بقوله ﴿ مالك يوم الدين ﴾ أعنى مالك الامر يوم الجزاء والجزاء
تابع للاعمال .

وترى حكومات الارض قاطبه نصبت القضاة وأقامت الجنود
وجعلت لها دور للحبس وأخرى لا كرام الضيف والوافدين من الاقطار
ووضعت القوانين والحدود وذلك سائر على نظام فى مشارق الارض ومغاربها
ولكن القانون البشرى يلحقه الخطأ خلل فيه أو لضلال القضاة والحكام
اوجهلهم جعل الله الجزاء الاوفى يوم القيامة لتجزى كل نفس بما كسبت
وهم لا يظلمون .

فأله عز وجل مالك جميع الامور محيط بالخلق في الدنيا والآخرة .
يثيب الطائعين والعاملين ويقهر العاصين والكاسابين . ويذل الباغين أما
في الدنيا وأما في الآخرة وأما فيهما معا . وبهذا تمت التربية ونظام العالم .
فجميع المحامد راجعة اليه لانه المحسن الحقيقي . وفوق الحمد أنه
يختص بالعبادة التي هي غاية الخضوع ومنه طريق معبد أي مذلل : فكان
القارى يقول يا من اتصف بهذه الصفات التي يمتاز بها عما عداه ~~ياك~~ نعبد
أي نخصك بالعبادة والخضوع فضلا عن الحمد . هكذا قرر العلامة الشيخ
محمد عبده والجوهري الطنطاوى جازاهما الله تعالى عن الاسلام خيرا :

وقال العلامة الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى وتخصيص الملك بيوم .
الدين لا ينفيه عما عداه . لانه قد تقدم الاخبار بانه رب العالمين وذلك
عام في الدنيا والآخرة . وإنما أضيف الى يوم الدين لانه لا يدعى احد هناك
شيئا ولا يتكلم احد الا باذنه كما قال تعالى (يوم يقوم الروح والملائكة
صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا) وقال ابن عباس رضى الله
عنها لا يملك احد معه في ذلك اليوم حكما كملكهم في الدنيا ويوم الدين ويوم
الحساب لا خلائق وهو يوم القيامة يدينهم باعمالهم ان خير انخير وان شر افشر
الامن عني عنه وهذا ظاهر . والملك في الحقيقة هو الله عز وجل . والدين
الحساب والجزاء كما قال تعالى (يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق . وائنا
لمدينون) أي مجزيون محاسبون وفي الحديث (الكيس من دان نفسه
وعمل لما بعد الموت) أي حاسب نفسه لنفسه كما قال عمر رضى الله عنه
(حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا) وزنوا انفسكم قبل ان توازنوا) .

وتأهبوا للمعرض الا كبر على من لا تخفى عليه اعمالكم) (يومئذ تعرضون
لا تخفى منكم خافية) وقال العلامة البيضاوى . واجراء هذه الاوصاف
على الله تعالى من كونه موجداً للعالمين رباً لهم منعباً عليهم بالنعم كلها
ظاهرها و باطنها عاجلها وآجلها . مالكا لامورهم يوم الثواب والعقاب
للدلالة على انه الحقيق بالحمد لا احد احق به منه . بل لا يستحقه على الحقيقة
احد سواه فان ترتب الحكم على الوصف يشمر بعليته له . ولل اشعار
من طريق المفهوم على ان من لم يتصف بتلك الصفات لا يستأهل لان
يحمد فضلا عن ان يعبد فيكون دليلا على ما بعده فالوصف الاول لبيان
ما هو الموجب للحمد وهو الابداد والتربية . والثانى والثالث للدلالة على
انه متفضل بذلك مختار فيه ليس يصدر منه لا يجاب بالذات او وجوب
عليه قضية لسوابق الاعمال يستحق به الحمد . والرابع لتحقيق
الاختصاص فانه مما لا يقبل الشراكة بوجه ما . وتضمنين الوعد للحامدين
والوعيد للمعرضين .

وقال العلامة الفخر الرازى (مالك يوم الدين اى مالك يوم البعث
والجزاء . وتقديره أنه لا بد من الفرق بين المحسن والمسيء والمطيع
والعاصى والموافق والمخالف . وذلك لا يظهر إلا فى يوم الجزاء كما قال
تعالى ﴿ ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى وأم
نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض أم نجعل المتقين
كالفجار ﴾ وان الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى ﴾ وذلك
الوقت هو يوم الدين فينتقم فيه من الظالم للمظلوم . وأما الدنيا فدار عمل .

وقال المحقق العارف الشيخ أحمد السرهندي في المکتوب (٧٤)
من مکتوباته . ان يوم القيامة تختص فيه المالكية والملكية . سواء
كانت بطريق الحقيقة أو المجاز بمالك يوم الدين . ويومئذ ينادى الحق
سبحانه ويقول ﴿ لمن الملك اليوم ﴾ ويقول في جوابه بنفسه ﴿ لله الواحد
القهار ﴾ وليس للعباد في ذلك اليوم شئ سوى الهول والدهشة والندم
والحسرة . وقد أخبر الله تعالى في القرآن المجيد عن شدة ذلك اليوم . فلا
يد أن لا يغتر أحد بأحد ، ولا يعتمد أحد لا أحد إلا الله الواحد القهار .
قال العبد الضعيف المعصوم عفي الله تعالى عنه وأنا أذكر هنا
بعض الآيات أيضاً للمقام قال الله تعالى في سورة آل عمران ﴿ فكيف
إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ، ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ،
يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء ، تود لو
ان بينها وبينه أمداً بعيداً ، ويحذركم الله نفسه ، والله رؤف بالعباد ﴾
وفيه أيضاً : خطاباً لسيد البشر محمد ﷺ ﴿ ليس لك من الأمر شيء
أؤتوب عليهم أو يعذبهم فاتهم ظالمون ، لله ما في السموات وما في الأرض
يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ، والله غفور رحيم ، ومن يغفر الذنوب
إلا الله ﴾ وفي سورة النساء ﴿ الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة
لا ريب فيه ، ومن أصدق من الله حديثاً ﴾ وفي سورة الفرقان ﴿ الملك
يومئذ الحق للرحمن ، وكان يوماً على الكافرين عسيراً ، ويوم يعرض الظالم
على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً ، يا ويلتا ليتني لم اتخذ
خلأً خليلاً ، لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني ، وكان الشيطان للإنسان

خذولاً ﴿ وفي سورة المؤمن ﴾ يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم ؛ لله الواحد القهار ؛ اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ؛ إن الله سريع الحساب ، والله يقضى بالحق ؛ والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء ، إن الله هو السميع البصير ﴿ وفي سورة الدخان ﴾ إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين ، يوم لا يغنى مولى عن مولى شيئاً ولا هم ينصرون ، إلا من رحم الله ، إنه هو العزيز الرحيم ﴿ وفي سورة الانقطار ﴾ وما أدراك ما يوم الدين ، ثم ما أدرك ما يوم الدين ؛ يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً ، والأمر يومئذ لله .

فانظر يا أخى إلى هذه الآيات وتفكر فيها ، فانه لا ينفعك يوم القيامة إلا إيمانك وأعمالك الصالحة ، ولا يرحمك ولا يغفر لك إلا الله وحده ؛ ولا يشفع أحد لا أحد إلا بعد إذن الله تعالى لأهل الإيمان ، فلا تغتر بما أغترت به النصارى وعبداء الاوثان من أن فلاناً وفلاناً يشفع أو ينفع ، أو يدخل الجنة وينجيه من النار ، فان هذه كلها هوس وخيال اخترعها أوهام الداحلة وافكار الالباسة فاحذر كل الحذر ، من الاعتماد على غير الله الواحد القهار . اللهم ثبتنا على دينك فالك مالك قلوبنا ، فتهدى من تشاء وتضل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير .

وأما قوله تعالى ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ فآية رابعة من أم الكتاب . لما ثبت أن جميع المحامد راجعة اليه تعالى لانه المحسن الحقيقي ، وفوق الحمد يختص تعالى بالعبادة التى هى غاية الخضوع . فكان القارىء يقول : يا من اتصف بهذه الصفات التى يمتاز بها عما عداه ﴿ إياك نعبد ﴾

أى نخصك بالعبادة والخضوع فضلا عن الحمد . فالنصف الاول من هذه السورة أحضر في قلب القارىء الصفات المميزة للربوبية . فلما تمثلت في قلبه وذهنه تلك العظمة صارت كأنها مشاهدة أمامه فالتفت عن الغيبة الى الخطاب وكأنه يشاهده ويراه كما في الحديث ﴿ الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ﴾ ولن يكون ذلك الا باستحضار صفاته العالية في قلبه . والى هنا وصل القارىء الى آخر درجات التقرب وهو الخضوع والتذلل كما في قوله تعالى ﴿ واسجد واقرب ﴾ فلم يبق بعدها الا السؤال والطلب من المتقرب اليه فقال ﴿ وإياك نستعين ﴾ في أمورنا الدنيوية والاخرية . كالصحة والغنى والمال والولد . واعم الحاجات أداء العبادات والمهداية الى الصراط المستقيم فكأنه يقول نحن نعبدك ولن نقدر على أداء العبادة الا إذا أعنتنا . ولما طلب العبد الاستعانة بالله كأنه قيل له ما أتم ما تستعين فيه فقال العبد ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾

قال العلامة البيضاوى . انه تعالى لما ذكر الحقيق بالحمد . ووصف بصفات عظام تميز بها عن سائر الذوات . وتعين العلم بمعلوم معين خوطب بذلك . إى يامن هذا شأنه نخصك بالعبادة والاستعانة ليكون أدل على الاختصاص . ولترقى من البرهان الى العيان . والانتقال من الغيبة الى الشهود فكأن المعلوم صار عيانا . والمعقول مشاهدا . والغيبة حضورا . بنى اول الكلام على ماهو مبادئ حال العارف من الذكر والفكر والتأمل فى أسمائه والنظر فى آلائه الاستدلال بصانعه على عظيم شأنه . وباهر سلطانه ثم قفى بما هو

منتهى أمره . وهو أن يخوض لجة الوصول . ويصير من أهل المشاهدة
غيراه عيانا ويناجيه شفاهها . اللهم اجعلنا من الواصلين للعين دون
السامعين للأثر

والعبادة أقصى غاية الخضوع والتذلل . والاستعانة طلب المعونة .
وتقديم المفعول للعصر . ولذا قال ابن عباس رضى الله عنهما معناه نعبدك ولا
نعبد غيرك . وقدمت العبادة على الاستعانة ليعلم منه أن تقديم الوسيلة على
طلب الحاجة أدعى الى الاجابة .

قال العلامة المحقق الشيخ محمد عبده في تفسيره . العبادة ما هي . يقولون
هي الطاعة مع غاية الخضوع واذا تتبعنا آى القرآن وأسايب اللغة واستعمال
العرب لعبد وما يماثلها ويقاربها فى المعنى كخضع وخنع واطاع وكذلك نجد
انه لا شئ من هذه الالفاظ يضاهى عبد . ويحل محلها ويقع موقعها ولذا
قالوا ان لفظ العباد . مأخوذ من العبادة فتكثر إضافته الى الله تعالى ولفظ
العبيد تكثر إضافته الى غير الله تعالى لانه مأخوذ من العبودية بمعنى الرق
وفرق بين العبادة والعبودية بذلك المعنى ومن هنا قال بعض العلماء ان العبادة
لا تكون فى اللغة الا لله تعالى . تدل الاسايب الصحيحة والاستعمال
العربى الصراح على ان العبادة ضرب من الخضوع بالغ حد النهاية . ناشئ عن
استشعار القلوب عظمة للمعبود ولا يعرف منشأؤها واعتقاده بسلطة له
لا يدرك كنهها وماهيتها ، وقصارى ما يعرفه منها انها محيطة به ولكنها
فوق ادراكه فن ينتهى الى اقصى الذل للملك من الملوك لا يقال انه عبده ، وان
قبل مواطىء اقدامه مادام سبب الذل والخضوع معروف وهو الخوف من

ظلمه المعهود ، أو الرجاء بكرمه المحدود اللهم الا بالنسبة للذين يعتقدون ان الملك له قوة غيبية سماوية أفيضت على الملوك من الملائكة الاعلى ، واختارتهم للاستعلاء على سائر أهل الدنيا ؛ لانهم أطيب الناس عنصراً وأكرمهم جوهرأ ، وهؤلاء هم الذين انتهى بهم هذا الاعتقاد إلى الكفر والالحاد فاتخذوا الملوك آلهة وأرباباً وعبدوهم عبادة حقيقية ، وللعبادة صور كثيرة في كل دين من الأديان شرعت لتذكير الإنسان بذلك الشعور بالسلطان الإلهي الاعلى الذي هو روح العبادة وسرها ، ولكل عبادة من العبادات الصحيحة أثر في تقويم اخلاق القائم بها ، وتهذيب نفسه ، والآخر إنما يكون عن ذلك الروح والشعور الذي قلنا انه منشأ التعظيم والخضوع ، فاذا وجدت صورة العبادة خالية من هذا المعنى لم تكن عبادة (أى حقيقية) كما ان صورة الإنسان وتمثاله ليس انساناً .

خذ اليك عبادة الصلاة مثلاً ، وانظر كيف امر الله تعالى باقامتها دون مجرد الاتيان بها ، واقامة الشيء هي الاتيان به مقوماً كاملاً يصدر عن علته وتصدر عنه آثاره ، وآثار الصلاة ونتائجها هي ما انبأنا الله تعالى بها بقوله ﴿ ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴾ . وان الإنسان خلق هلوعاً اذا مسه الشر جزوعاً واذا مسه الخير منوعاً الا المصلين ﴿ وقد توعد الذين يأتون بصورة الصلاة من الحركات والالفاظ مع السهو عن معنى العبادة وسرها فيها المؤدي إلى غايتها بقوله ﴿ فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ﴾ ، الذين هم يراؤون ويمتنعون الماعون ﴿ فسامهم مصلين لانهم اتوا بصورة الصلاة ، ووصفهم بالسهو عن الصلاة الحقيقية التي

هي توجه القلب إلى الله تعالى المذكر بخشيته ، والمشير للقلوب بعظيم سلطانه ، ثم وصفهم بأثر هذا السهو وهو الرياء ومنع الماعون .
ان التوحيد اهم ما جاء لاجله الدين ، ولذلك لم يكتف في الفاتحة بمجرد الاشارة اليه بل استكمل بقوله ﴿ اياك نعبد و اياك نستعين ﴾ فاجتث بذلك جذور الشرك والوثنية التي كانت فاشية في جميع الامم ، وهي اتخاذ أولياء من دون الله تعتقد لهم السلطة الغيبية ، ويدعون لذلك من دون الله ويستعان بهم على قضاء الحوائج في الدنيا ، ويتقرب بهم إلى الله زلفى ؛ وجميع ما في القرآن من آيات التوحيد ومقارعة المشركين فهو تفصيل لهذا الاجمال وقد أمرنا الله تعالى بتوحيده وعبادته رحمة منه سبحانه بنا ، لانه لمصلحتنا ومنفعتنا ؛ وقوله تعالى ﴿ مالك يوم الدين ﴾ يتضمن الوعد والوعيد معا لان معنى الدين الخضوع ، أى ان له تعالى في ذلك اليوم السلطان المطلق والسيادة التي لا نزاع فيها لا حقيقة ولا ادعاء ، وان العالم كله يكون فيه خاضعا لعظمته ظاهرا وباطنا يرجو رحمته ويخشى عذابه .

والفاتحة يجملتها تنفخ روح العبادة في المتدبر لها ؛ وروح العبادة هي اشراب القلوب خشية الله وهيبته والرجاء لفضله ، لا الاعمال المعروفة من فعل وكف وحركات اللسان والاعضاء ، فقد ذكرت العبادة في الفاتحة قبل ذكر الصلاة واحكامها والصيام وايامه . وكانت هذه الروح في المسلمين وانما الحركات والسكنات والاعمال مما يتوسل به الى حقيقة العبادة ، ومخ العبادة الفكر والعبارة .

ولا يخفك ان ملاحظة الغير ينا في الاخلاص فمن جعلها الرياء وهو ضربان . رياء النفاق وهو العمل لاجل رؤية الناس ورياء العادة وهو العمل بحكمها من غير ملاحظة معنى العمل وسره وفائده ولا ملاحظة من يعمل له ويتقرب اليه به وهو ما عليه اكثر الناس فان صلاة احدهم في طور الرشد والعقل هي عين ما كان يحاكى به اياه في طور الطفولية عند ما يراه يصلى يستمر على ذلك بحكم العادة من غير فهم ولا عقل وليس لله شئ في هذه الصلاة . وقد ورد في احاديث كثيرة (ان من لم تنه صلواته من الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله الا بعداً) وانها تلف كما تلف الثوب البالى ويضرب بها وجهه) والاستعانة هي طلب المعونة والمعونة هي سد العجز والمساعدة على اتمام العمل الذي يعجز عنه المستعين بنفسه . وقد حصر الله العبادة والاستعانة في ذاته تعالى الذى دل عليه تقديم المفعول (اياك) على الفعل مثاله ان الله تعالى امرنا بان لا نعبد غيره لان السلطة الغيبية التي هي وراء الاسباب ليست الا له دون غيره فلا يشاركه فيها احد فيعظم تعظيم العبادة وامرنا بان لا نستعين بغيره ايضا وهذا يحتاج الى البيان لانه امرنا ايضا في ايات اخرى بالتعاون فقال (وتعاونوا على البر والتقوى) فما معنى حصر الاستعانة به مع ذلك الجواب ان كل عمل يعمل به الانسان تتوقف ثمرته ونجاحه على حصول الاسباب التي اقتضت الحكمة الالهية ان تكون مؤدية اليه وانتفاء الموانع التي من شأنها بمقتضى الحكمة ان تحول دونه وقد ممكن الله الانسان بما اعطاه من العلم والقوة من دفع بعض الموانع وكسب

بعض الاسباب وحجب عنه البعض الاخر فيجب علينا ان نقوم بما في استطاعتنا من ذلك ونبذل في اتقان اعمالنا كل ما نستطيع من حول وقوة وان نتعاون ويساعد بعضنا بعضا على ذلك ونفوض الامر فيما وراء كسبنا الى القادر على كل شئ ونلجاء اليه وحده ونطلب المعونة المتممة للعمل والموصلة لثمرته منه سبحانه دون سواء اذ لا يقدر على ما وراء الاسباب الممنوحة لكل البشر على السواء الا مسبب الاسباب ورب الارباب فقوله تعالى (واياك نستعين) متمم لمعنى قوله (اياك نعبد) لان الاستعانة بهذا المعنى فزع من القلب الى الله وتعلق من النفس به وذلك من مخ العبادة فاذا توجه العبد بها الى غير الله تعالى كانت ضريا من ضروب العبادة الوثنية التي كانت ذائعة في زمن التنزيل وقبله وخصت بالذكر لثلاثتهم الجهلاء ان الاستعانة بمن اتخذوهم اولياء من دون الله واستعانوا بهم فيما وراء الاسباب المكتسبة لعامة الناس هي كالاستعانة بسائر الناس في الاسباب العامة فاراد الحق جل شأنه ان يرفع هذا اللبس عن عباده ببيان ان الاستعانة فيما هو في استطاعة الناس بالناس انما هي ضرب من استعمال الاسباب المسنونة وما منزلها الا كمنزلة الآلات فيما هي آلات له.

بخلاف الاستعانة في شؤون تفوت القدرة والقوى المعروفة في متناول الفهم كالاستعانة على شفاء المرض بما وراء الدواء وغلبة العدو بما وراء العدة والعدة فان ذلك مما لا يجوز الفزع به لغير الله تعالى صاحب السلطان الاعظم على ما لا يصل اليه سلطان احد من اهل العالم

ومثلا الزراع يبذل جهده في الحرث والعذق وتسميد الارض وريها
ويستعين بالله تعالى على اتمام ذلك بمنع الآفات والجوائح السماوية والارضية
ومثلا التاجر يحذق في اختيار الاصناف ويمهر في صناعة الترويج . ثم
يتكفل على الله فيما بعد ذلك .

ومن هنا تعلمون أن الذين يستعينون بأصحاب الأضرحة
والقبور على قضاء حوائجهم وتيسير أمورهم وشفاء امراضهم ونماء حرثهم
وذرعهم . وهلاك أعدائهم وغير ذلك من المصالح ، فهم عن صراط
التوحيد ناكبون ، وعن ذكر الله معرضون .

أرشدتنا هذه الكلمة الوجيزة ﴿ وإياك نستعين ﴾ إلى أمرين
عظيمين هما معراج السعادة في الدنيا والآخرة . احدهما أن نعمل الاعمال
النافعة ونجتهد في اتقانها ما استطعنا . لان طلب المعونة لا يكون إلا على
عمل بذل فيه المرء طاقته فلم يوفه حقه أو يخشى إن لا ينجح فيه فطلب
المعونة على اتمامه واكماله ، ومن وقع من يده القلم على المكتب لا يطلب
المعونة من أحد على امساكه ، وأما من وقع تحت عبء ثقیل يعجز
عن النهوض به وحده فهو يطلب المعونة من غيره على رفعه بعد استفراغ
القوة في الاستقلال به ، وهذا الامر هو مرقة السعادة الدنيوية . وركن
من اركان السعادة الاخرية . وثانيهما ما أفاده الحصر من وجوب تخصص
الاستعانة بالله تعالى وحده فيما وراء ذلك . وهو روح الدين . وكما التوحيد
الخالص الذي يرفع نفوس معتقديه ويخلصها من رق الاغيار ، ويفك
ارادتهم من اسر الرؤساء الروحانيين ، والشيوخ الدجالين ، ويطلق عزائمهم

عن قيد المهيمنين الكاذبين ، من الاحياء والميتين ، فيكون المؤمن مع
الناس حراً خالصاً وسيداً كريماً ؛ ومع الله عبداً خاضعاً ﴿ ومن يطع الله
ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ﴾ .

قال العلامة ابن كثير في تفسيره الشهير ﴿ اياك نعبد ﴾ العبادة في
اللغة الذلة ، يقال طريق معبد وبعير معبد أى مذلل وفي الشرع عبارة
عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف . وقدم المفعول وهو اياك وكرر
الاهتمام والحصر . أى لا نعبد إلا اياك ، ولا نتوكل إلا عليك . وهذا
هو كمال الطاعة والدين يرجع كله إلى هذين المعنيين . وهذا كما قال السلف
الفاتحة سر القرآن ، وشرها هذه الكلمة ﴿ اياك نعبد واياك نستعين ﴾
فالاول تبرؤ من الشرك . والثاني تبرؤ من الحول والقوة وتفويض إلى الله
عز وجل . وهذا المعنى في غير موضع من القرآن قال الله تعالى ﴿ فاعبدوه
وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون ، قل هو الرحمن آمنا به وعليه
توكلنا ، رب المشرق والمغرب لا إله الا هو فاتخذوه كيلاً ﴾ وتحول الكلام
من الغيبة الى المواجهة بكاف الخطاب وهو مناسبة ، لانه لما اثنى على الله
فكأنه اقترب وحضر بين يدي الله تعالى فلهذا قال ﴿ اياك نعبد واياك
نستعين ﴾ وفي هذا دليل على ان أول السورة خبر من الله تعالى بالثناء
على نفسه الكريمة بجميل صفاته الحسنى ، وارشاد لعباده بان يثنوا عليه
بذلك ، ولهذا لا تصح صلاة من لم يقل ذلك وهو قادر عليه . قال ابن عباس
رضي الله عنهما ﴿ اياك نعبد ﴾ يعنى اياك نوح ونخاف ونرجوك يا ربنا
لا غيرك ﴿ واياك نستعين ﴾ على طاعتك وعلى أمورنا كلها . وقال قتادة

رحمه الله تعالى ﴿ اياك نعبد و اياك نستعين ﴾ يأمركم أن تخلصوا له
العبادة ، وان تستعينوه على أموركم .

فان قيل فما معنى النون في قوله (اياك نعبد و اياك نستعين) فان
كانت للجمع فالداعي واحد . وان كانت للتعظيم فلا يناسب هذا المقام
وقد أجيب بان المراد من ذلك الاخبار عن جنس العباد والمصلى فرد
منهم . ولا سيما ان كان في جماعة او امامهم . فاخبر عن نفسه وعن
اخوانه المؤمنين بالعبادة التي خلقوا لاجلها . وتوسط لهم بخير والعبادة
مقام عظيم يشرف به العبد لانتسابه الى جناب الله تعالى . وقد سمي الله
تعالى رسوله ﷺ بعبده في أشرف مقاماته فقال (الحمد لله الذي انزل
على عبده الكتاب . وسبحان الذي اسرى بعبده ليلا) فسماه عبدا عند
انزاله عليه الكتاب واسرائه به . وأرشده الى القيام بالعبادة في أوقات .
وقال الامام البغوي في تفسيره (اياك نعبد) أى نوحذك ونطيعك
خاضعين . والعبادة الطاعة مع التذلل والخضوع وسمى العبد عبدا لذاته
وانقياده . (و اياك نستعين) نطلب منك الاعانة على عبادتك وعلى
جميع أمورنا الخ .

وقال الشيخ احمد السرهندي في المکتوب (٦٣) من مکتوباته .
ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام متفقون في اصول الدين . فمن كلماتهم
المتحدة نقي عبادة غير الحق سبحانه . ومنع المخلوقات عن اتخاذ بعضهم
بعضا اربابا من دون الله . والعبادة عبارة عن التذلل والانكسار .

فالمقصود من خلق الانسان هو التذلل لانه تعالى (قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون)

وفي المـكتوب (٧٧) منها - وما عبدوا غير الاله فباطل - فياويل من يختار ما كان باطلا - وعبادة الله الذي ليس كمثله شيء انما يتيسر اذا تخلص العبد عن رقية ماسواه جل سلطانه بالتمام . ولم تبق قبلة التوجه غير الذات الاحدية وحصول هذه النعمة العظمى موقوف على كمال اتباع شريعة سيدنا محمد رسول الله ﷺ .

وفي الخازن (اياك نعبد) واياك نخص بالعبادة ونوحدك ونطيعك خاضعين لك . والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل . وسمى العبد عبداً لذاته وانقياده . وقيل العبادة عبارة عن الفعل الذي يؤدي به الفرض لتعظيم الله تعالى فقول العبد (اياك نعبد) معناه لا اعبد احدا سواك والعبادة غاية التذلل من العبد ونهاية التعظيم للرب سبحانه وتعالى لانه العظيم المستحق للعبادة . ولا تستعمل العبادة الا في الخضوع لله تعالى (واياك نستعين) اى منك نطلب المعونة لعبادتك وعلى جميع امورنا وعلى الدوام وعلى اتمامها .

وفي غرائب القرآن للاصفهاني عبد العبودية اظهار التذلل . والعبادة ابلغ منها لانها غاية التذلل . ولا يستحقها الا من له غاية الافضال وهو الله تعالى . ولذا قال تعالى (الاتعبدوا الا اياه) والعبادة ضربان . عبادة بالتسخير وهى الدلالة الصامتة والناطقة المنبهة على كونه مخلوقا . وانه خلق خالق حكيم: وعبادة بالاختيار وهى لذوى النطق . وهى المأمور بها

في نحو (اعبدوا ربكم . واعبدوا الله) والمبد يقال على اربعة اضرب .
الاول عبد بحكم الشرع وهو الانسان الذي يصح بيعه وابتياعه نحو)
العبد بالعبد : وعبدا مملوكا لا يقدر على شيء الثاني عبد بالايحاد .
وذلك ليس الا الله .

واياه قصد بقوله ﴿ ان كل من في السماوات والارض الا آتى الرحمن عبدا ﴾
والثالث بالعبادة والخدمة . والناس في هذا ضربان . عبد لله مخلصا وهو
المقصود بقوله ﴿ واذكر عبدنا أيوب ، انه كان عبدا شكورا ﴾ ﴿ نزل الفرقان
على عبده ﴾ ﴿ على عبده الكتاب ﴾ ﴿ ان عبادى ليس لك عليهم سلطان
كونو عبادا لى ﴾ . الا عبادك منهم المخلصين ﴾ ﴿ وعد الرحمن عبادة
بالغيب . ﴾ وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا . ﴾ ﴿ ان امر
بعبادى ليلا : فوجد اعبدا من عبادنا ﴾ وعبد للدنيا واعراضها وهو المعتكف
على خدمتها وصرعاتها واياه قصد النبي ﷺ بقوله « تعس عبد الدرهم وتعس
عبد الدينار » قلت قد رواه البخارى ومسلم فى صحيحهما وعلى هذا النحو
يصح ان يقال ليس كل انسان عبدا لله « فان العبد على هذا المعنى العابد .
ولكن العبد أبلغ من العابد الخ . قال المعصومي تعس ضد سعد : والكب
على الوجه : وقيل البعد والمهلك : كما فى فتح البارى

وفى كتاب التوحيد للعلامة محمد بن عبد الوهاب . وفى الصحيح عن
أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال قال رسول الله ﷺ تعس عبد الدينار وتعس
عبد الدرهم وتعس عبد الخيصة وتعس عبد الحميلة ان أعطى رضى وان لم
يعط سخط الخ

وفيه أيضا كل من أخذ بقول الغير بلا دليل فقد عبده . ومن أطناع
العلماء والامراء في تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرمه فقد اتخذهم أربابا .
وقال ابن عباس رضى الله عنهما . يوشك ان تنزل عليكم حجارة من السماء
أنا أقول قال رسول الله ﷺ . وتقولون قال أبو بكر وعمر رضى الله عنهما
وقال أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى عجبت لقوم عرفوا الاسناد وصحته
ويذهبون الى رأى سفيان رحمه الله تعالى وان الله تعالى يقول :
﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره ان تضيبهم فتنة ﴾ الآية أتدرى ما الفتنة
الفتنة الشرك . لعله اذا رد بعض قوله ان يقع في قلبه شيء من الزيف فيهلك
وعن عدى ابن حاتم رضى الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية
﴿ اتخذوا أحياءهم ورهبانهم أربابا من دون الله ﴾ الآية فقلت له انا لسنا
نعبدهم . وفي رواية أنهم ما كانوا يعبدونهم قال اليس يحرمون ما أحل الله
فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتحلونه فقلت بلى . قال فتلك عبادتهم اياهم
رواه أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه وعبد بن حميد وابن أبي حاتم والطبراني
قلت الاحبار هم العلماء والرهبان هم العباد

فيه بيان تغيير الاحوال الى هذه الغاية . حتى صار عند أكثر الناس
عبادة الرهبان هي أفضل الاعمال . وتسمى الولاية . وعبادة الاحبار
هي العلم والفقه . ثم تغيرت الاحوال الى أن عبد من دون الله من ليس من
الصالحين . وعبد بالمعنى الثانى من هو من الجاهلين

وفي كشف الشبهات لمحمد بن عبد الوهاب : ان الاستعانة والاستغاثة
بالمخلوق على ما يقدر عليه جائز لا تنكره كما قال الله تعالى في قصة موسى عليه

السلام ﴿ فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه ﴾ وكما يستغاث
الانسان باصحابه فى الحرب وغيرها من الأشياء التى يقدر عليها المخلوق، ونحن
انما نتكر استغاثه العباداة التى يفعلونها عند قبور الأولياء أو فى غيبتهم
فى الأشياء التى لا يقدر عليها إلا الله وحده .

واعلم ان أشد عمل أهل الجاهلية عدم ايمان القلب بما جاء به الرسول ﷺ
وانهم كانوا يتمبدون بأشراك الصالحين فى دعاء الله وعبادته يريدون
شفاعتهم عند الله كما قال تعالى ﴿ ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا
ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴾ ، والذين اتخذوا من دونه أولياء
ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾ وهذه أعظم مسئلة خالفهم فيها
رسول الله ﷺ فاتى بالاخلاص وانه أخبر أنه دين الله الذى أرسل به
جميع الرسل ، وانه لا يقبل من الاعمال إلا الخالص إلخ .

وفى الرسالة الثانية لابن عبد الوهاب : ان الذين أرسل رسول الله اليهم
كانوا يفعلون شيئاً من العباداة كالحج والعمرة والصدقة على المساكين
وأجلها عندهم الشرك . فهو أجل ما يتقربون به إلى الله عندهم ، كما ذكر الله
تعالى عنهم ﴿ ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾ ، وانهم اتخذوا الشياطين
أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون ﴾ فاول ما أمره الله به الانذار
عنه قبل الانذار عن الزنا وغيره حين نزل قوله تعالى ﴿ يا أيها المدثر قم
فانذر ﴾ وقد عرفت أن منهم من تعلق على الاصنام ، ومنهم من تعلق على
الملائكة وعلى الأولياء من بنى آدم ، ويقولون ما نريد منهم إلا شفاعتهم
ومع هذا بدأ بالانذار عنه فى أول آية أرسل بها .

وفيهما أيضاً : أن لا إله إلا الله هي الكلمة الفارقة بين الكفر والاسلام، وهي كلمة التقوى التي الزمهم (والزمهم كلمة التقوى) وهي العروة الوثقى ، وهي التي جعلها ابراهيم عليه السلام ﴿ كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون ﴾ وليس المراد قولها باللسان فقط مع الجهل بمعناها ، فان المنافقين يقولونها ، وهم تحت الكفار في الدرك الاسفل من النار ، مع كونهم يصلون ويتصدقون ولكن المراد قولها مع معرفتها بالقلب ومحبتها ومحبة أهلها ، وبغض ما خالفها ومعاداته ؛ كما قال النبي ﷺ « من قال لا إله إلا الله مخلصاً » وفي رواية « خالصاً من قلبه » وفي رواية « صادقا من قلبه دخل الجنة » وفي حديث آخر « من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله » الى غير ذلك من الاحاديث الدالة على جهالة أكثر الناس بهذه الشهادة ، وهذه الكلمة نفى واثبات ، نفى الالهية عما سوى الله تعالى من المخلوقات حتى محمد ﷺ وجبريل عليه السلام فضلا عن غيرهم من الاولياء والصالحين ؛ وهذه الالهوية هي التي تسميها العامة في زماننا السر والولاية ، والآله معناه الولي الذي فيه السر ، وهو الذي يسمونه الفقير والشيخ ، ويسمونه العامة السيد واشباه هذا ، وذلك انهم يظنون ان الله جعل لخواص الخلق منزلة يرضى ان يلتجئ الانسان اليهم ويرجوهم ويستغيث بهم ويجعلهم واسطة بينه وبين الله فالذي يزعم اهل الشرك في زماننا انهم وسائط هم الذين يسمونهم الاولون الالهة والواسطة هو الاله فقول المؤمن لا اله الا الله ابطال للوسائط وغالب الذين غلوا في تعظيم الاولياء وشيوخ الطرق وأئمة آل البيت

من السادة قد عبدوهم بدعائهم حتى في الشدائد والطواف بقبورهم
وذبح للقرابين لهم وكانوا يجهلون أنهم بهذا قد اتخذوهم الهة :

واعلم أن الكفار الذين دعاهم رسول الله ﷺ إلى الإيمان والتوحيد
وقاتلهم وقتلهم كانوا مقرين لله سبحانه بتوحيده الربوبية. وهو انه لا يخلق
ولا يرزق ولا يحيى ولا يميت ولا يدبر الامور الا الله وحده كما قال الله
﴿ قل من يرزقكم من السماء والارض امن بملك السمع والاَبصار ومن
يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الامر فسيقولون
الله ﴾ كما حررت امثال هذه الايات فيما مر به قال المؤلف وهذه المسئلة
عظيمة مهمة وهى ان تعرف ان الكفار شاهدون بهذا كله ومقرون
به ومع هذا لم يدخلهم ذلك فى الاسلام ولم يحرم دمائهم واموالهم وسببه
انهم لم يشهدوا لله بتوحيد الالهية وانه لا يدعى ولا يرجى الا الله وحده
لا شريك له ولا يستغاث بغيره ولا يذبح لغيره ولا ينذر لغيره لا ملك
مقرب ولا نبي مرسل فمن استغاث بغيره فقد كفر ومن ذبح لغيره فقد
كفر ومن نذر لغيره فقد كفر

واذا تأملت جيدا وعرفت ان الكفار يشهدون لله بتوحيده الربوبية
وهو تفرده تعالى بالخلق والرزق والتدبير وهم يناجون عيسى والملائكة
والاولياء يقصدون انهم يقربونهم الى الله زلفى ويشفعون عنده وعرفت
أن من الكفار خصوصا النصارى منهم من يعبد الله الليل والنهار
ويزهد فى الدنيا ويتصدق بما دخل عليه منها معتزلا فى صومعته عن
الناس وهو مع هذا كافر عدو لله بسبب اعتقاده فى عيسى أو غيره من

من الاولياء يدعوهُ او يذبح له أو ينذر له
فَاللهُ اللهُ يا اخواني تمسكوا باصل دينكم واوله واخره واسه ورأسه
بشهادة ان لا اله الا الله واعرفوا معناها واكفروا بالطواغيت وعادوهم
وابغضوا من أحبهم . اللهم توفنا مسلمين والحقنا بالصالحين
ومن الرسالة الرابعة منه . اعلم ان الحنيفية ملة ابراهيم عليه السلام
أن تعبد الله خاصة له الدين . وبذلك أمر الله جميع الناس وخلقهم لها
كما قال الله تعالى ﴿ وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ﴾ فاذا عرفت
ان الله خالقك لعبادته فاعلم ان العبادة لا تسمى عبادة الا مع التوحيد .
كما ان الصلاة لا تسمى صلاة الا مع الطهارة . فاذا دخل الشرك فيها
فسدت كالحدث اذا دخل في الصلاة . كما قال الله تعالى ﴿ ما كان للمشركين
أن يعمرُوا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت
اعمالهم وفي النار هم خالدون ﴾ فاذا عرفت ان الشرك اذا خالط العبادة
أفسدها وأحبط العمل وصار صاحبه من الخالدين في النار . عرفت
ان أهم ما عليك معرفة ذلك . لعل الله أن يخلصك من هذه الشبكة
وهي الشرك بالله وهما هنا أربع قواعد ذكرها الله في كتابه . الاولى ان تعلم
ان الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ كانوا مقرين ان الله هو الخالق
الرازق المحي المميت النافع الضار الذي يدبر جميع الامور . وما أدخلهم
ذلك في الاسلام . والدليل قوله تعالى ﴿ قل من يرزقكم من السماء والارض .
أمن يملك السمع والابصار . ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت
من الحي ومن يدبر الامر . فسيقولون الله . فقل أفلا تتقون ﴾ الثانية

انهم يقولون ما توجهنا اليهم ودعونا هم الا لطلب القربة والشفاعة تري
من الله لا منهم لكن بشفاعتهم والتقرب اليهم . ودليل القربة قوله
تعالى ﴿ والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفى
ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون . ان الله لا يهدي من هو كاذب
كفار ﴾ ودليل الشفاعة قوله تعالى ﴿ ويعبدون من دون الله مالا يضرهم
ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله . قل أتنبئون الله بما لا يعلم
فى السموات ولا فى الارض سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ . الثالثة أن
النبي ﷺ ظهر على اناس متفرقين فى عبادتهم ، منهم من يعبد الشمس
والقمر . ومنهم من يعبد الصالحين . ومنهم من يعبد الملائكة . ومنهم
من يعبد الانبياء . ومنهم من يعبد الاشجار والاحجار . فقاتلهم
رسول الله ﷺ وما فرق بينهم . والدليل قوله تعالى ﴿ ومن آياته الليل
والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر . واسجدوا
لله الذى خلقهن ان كنتم اياه تعبدون ﴾ ودليل الصالحين قوله تعالى
﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم
ولا تحويلا ﴾ ﴿ اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم
أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا ﴾ .
ودليل الملائكة قوله تعالى ﴿ ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للملائكة هؤلاء
إياكم كانوا يعبدون . قالوا سبحانه أنت ولينا من دونهم بل كانوا
يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون . فاليوم لا يملك بعضكم لبعض
نفعاً ولا ضرراً ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التى كنتم يهملونها

تكذبون ﴿ ودليل الانبياء قوله تعالى ﴿ واذا قال الله يا عيسى بن مريم
أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي آلهين من دون الله . قال سبحانك ما
يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق . ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في
نفسى ولا أعلم ما في نفسك . انك أنت علام الغيوب . ما قلت لهم الا
ما أمرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم . وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم .
فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم . وأنت على كل شىء شهيد ﴿
الآية . ودليل الاشجار والاحجار حديث ابى واقد الليثى رضى الله
عنه . قال خرجنا مع رسول الله ﷺ الى حنين . ونحن حدثاء عهد
بكفر وكان للمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها اسلحتهم .
يقال لها ذات انواط . فررنا بسدرة فقلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات
انواط . فقال لهم رسول الله ﷺ اكبر انها السنن قاتم . والذي
نفسى بيده . كما قالت بنو اسرائيل لموسى عليه السلام ﴿ اجعل لنا
الهة كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون . ان هؤلاء متبرما هم فيه وباطل
ما كانوا يعملون . قال أغير الله ابنيكم الهة وهو فضلكم على العالمين ﴿
قال المعصومى رواه الترمذى وقال هذا حديث حسن صحيح . الرابعة
ان مشركى زماننا اعظم شركا من الاولين . لان الاولين كانوا يخلصون
لله فى الشدة ويشركون فى الرخاء . ومشركى زماننا شركهم دائم فى
الرخاء والشدة . والدليل قوله تعالى ﴿ فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله
مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون ﴿ قال الجامع المعصومى
حفظه الله تعالى لا شك فى ان شرك مشركى زماننا اشد وافظع من

شرك المشركين الاولين . فاني حينما قدمت بلاد الهند عام (١٣٥٣) رأيت رسالة منظومة بالفارسية ^(١) مطبوعة في بلدة بمبي الفها المشرك محمود التمكناني الطرازي الفرغاني الذي هو امام في مسجد (ونكاري) الذي في بحبوجة بمبي . فان هذا المشرك نادى عبيد القادر الجيلاني وسماه غوثا اعظم . وطلب منه الامداد والاستغاثة . واستغاث به وطلب منه قضاء الحاجات ودفع البليات واهلاك البلاشفة الى آخر ما طغى وغوى . فاعتقد فيه بعض اهل بمبي وجمعوا له مبلغاً عظيماً . واني قد كنت الفت في بيان ذلك رسالة سميتها (حكم الله الواحد الصمد . في حكم الطالب من الميت المدد) وارسلتها اليهم بعد ان طبعتها في مصر اكثر من ألفي نسخة . ولكن ما اصغوا ولا سمعوا . **﴿ صم بكم عمى فهم لا يعقلون ﴾** ولهذا ترى ان هؤلاء المشركين وان ادعوا انهم مسلمون يصلون ويصومون ولكنهم عن حقيقة الايمان والتوحيد عارون . وعن فضل الله ورحمته محرومون . فنتيجته انهم وكذا امثالهم من اهل الصين والتركستان وافريقيا تحت ارجل المستعمرين الاوربيين اذلاء ومأسورون قانا لله وانا اليه راجعون . فان قلت وفيهم الصالحون فما بالهم قد ابتلوا بما ابتلى به الطالحون . قلنا لانهم ساكنوهم وصاحبوهم فلما نزل غضب الله وعذابه عمهم في الدنيا . ولكن في الآخرة ينجون انشاء الله تعالى ويحشرون على نياتهم . كما لا يخفى على العالم الخبير بالآيات واحاديث النبشير النذير . . .

وفي الرسالة الثامنة ان اول ما فرض الله تعالى على بنى آدم الايمان بالله والكفر بالطاغوت . * ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت . ألم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به . ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا * فصفة الكفر بالطاغوت ان تعتقد بطلان عبادة غير الله وتتركها وتبغضها وتكفر اهلها وتماديهم . ومعنى الايمان بالله ان تعتقد ان الله هو الاله المعبود وحده دون من سواه . وتخلص كل انواع العبادة لله . وتنفيها عن كل معبود سواه . والطاغوت عام في كل ما عبد من دون الله . ورضى بالعبادة من معبود او متبوع او مطاع في غير طاعة الله ورسوله فهو طاغوت . والعبادة الاطاعة * ألم اعهد اليكم يا بنى آدم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين * فالانسان لا يكون مؤمنا بالله الا بعد الكفر بالطاغوت لقوله تعالى * فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم *

وفي الرسالة التاسعة . اعلم ان الجامع لعبادة الله وحده انما هو طاعته بامتثال اوامره واجتناب نواهيه . وانواع العبادة التي لا تصلح الا لله تعالى . الدعاء والاستعانة . والاستغاثة . وذبح القرابين والنذر . والخوف . والرجاء . والتوكل . والابانة . والمحبة . والخشية . والرغبة . والرغبة . والتأله . والركوع والسجود . والخشوع . والتذلل . والتعظيم الذي هو من خصائص الاهمية * والدليل

على ذلك قوله تعالى ﴿ وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً .
له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء ، وإياك
نعبد وإياك نستعين . اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم . قل ان صلاتي
ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا
أول المسلمين . يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً . انما
ذلكم الشيطان يخوف أولياءه ، فلا تخافوهم وخافونى ان كنتم مؤمنين
فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً .
وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين . وانيبوا إلى ربكم واسلموا له . ومن
الناس من يتخذ من دون الله انداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا
أشد حبا لله . فلا تخشوا الناس واخشوا . انهم كانوا يسارعون
فى الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين . وإلهم إله واحد
لا إله الا هو الرحمن الرحيم . يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا
ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون . وان من أهل الكتاب لمن يؤمن
بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمناً
قليلاً ﴾ ونحوها من الآيات . فمن صرف شيئاً من هذه الانواع لغير
الله تعالى فقد اشرك بالله غيره .

واعلم ان الشرك فى العبادة ينقض الاسلام لقوله تعالى ﴿ ان الله
لا يغفر ان يشرك به ﴾ الآية ﴿ ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة
وماواه النار وما للظالمين من انصار ﴾ ومنه الذبح لغير الله كمن يذبح
للجن أو للقبر ، أو جعل بينه وبين الله وسائط يدعوم ويسألهم الشفاعة

ويتوكل عليهم كفر اجماعا ، ولا شك ان دعوة غير الله باطلة أى دعاؤه بان يطلب منه ما لا يطلب الا من الله تعالى ، وهو استعمال عربى فصيح وقد ثبت فى الحديث الصحيح عن ثوبان رضى الله عنه ما أخبر به النبي ﷺ من وقوع الشرك فى هذه الامة « وحتى تعبدننا من امتى الاوثان » قال المعصوم عفى الله تعالى عنه رواه أبو داود والترمذى ولفظه « لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتى بالمشركين ، وحتى تعبد قبائل من أمتى الاوثان » وفيها أيضا نقلا عن الزواجر لابن حجر المسمى الشافعى وتبيين المحارم الحنفية ان ، من اشرك فى عبادة الله غيره انه يكفر بالاجماع ويقتل ان اصر على ذلك كالدعاء لجلب خير أو دفع ضرر ، وقد قال رسول الله ﷺ لابن عباس رضى الله عنهما « اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله » قال المعصومى رواه ابن ابي حاتم وابن كثير فى تفسيريهما وكالذبح والنذر لغير الله ، فمن ذبح القربان لغير الله فقد اشرك فى عبادة الله غيره ، ومن استعان بغير الله فقد اشرك فى عبادة الله غيره ، وقال العلامة الشيخ قاسم الحنفى فى شرح الدرر « قلت وكذا فى الدر المختار وحاشيته ردالمحتار » النذر الذى يقع من أكثر العوام بان يأتي الى قبر بعض الصالحاء قائلا : ياسيدى فلان ان رد غائبى او عوفى مريضى أو قضيت حاجتى فلك كذا باطل اجماعا لوجوه ، منها ان النذر للمخلوق لا يجوز لانه عبادة ، والعبادة لا تكون للمخلوق ، ومنها ان المنذور له ميت والميت لا يملك ، ومنها انه ان ظن ان الميت يتصرف فى الأمور دون الله تعالى فاعتقاده ذلك كفر ، الى ان قال وقد ابتلى الناس بذلك »

ولاسيما في مولد احمد البدوي ، فقد صرح بان هذا النذر كفر يكفر به المسلم والله تعالى اعلم .

وفيهما أيضا . قال الامام شهاب الدين عبد الرحمن الشامي الشافعي المعروف بابي شامة في كتاب (الباعث على انكار البدع والحوادث) ومن هذا ما قد عم الابتلاء به من تزيين الشيطان للعامة تخليق الحيطان والعمد ومواضع مخصوصة في كل بلد يحكي لهم حاك انه رأى في منامه بها احدا ممن اشتهر بالصالح والولاية فيحافظون عليه مع تضيقهم فرائض الله تعالى وسننه ويظنون انهم مقربون بذلك ، ثم يتجاوزون ذلك الى ان يعظم وقع تلك الاماكن في قلوبهم فيعظمونها ، ويرجون الشفاء لمرضاهم وقضاء حوائجهم بالنذر لهم ، وهي بين عيون وشجر . وحائط وحجر .

وفي الحديث الذي رواه محمد بن اسحاق وسفيان بن عيينه عن أبي واقد الليثي رضي الله عنه انه قال خرجنا مع رسول الله ﷺ الى حنين وكان لقريش والمشركين شجرة خضراء عظيمة يأتونها كل سنة فيعلقون عليها سلاحهم ويمكفون عندها ويذبجون لها ، يقال لها ذات انواط فقلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات انواط ، كما لهم ذات انواط ، فقال النبي ﷺ هذا كما قال قوم موسى لموسى عليه السلام « اجعل لنا آلهة كما لهم آلهة اتركبن سنن من كان قبلكم » اخرجه الترمذي وقال هذا حديث صحيح قال الامام ابو بكر الطورطوشي المالكى في كتابه

فانظروا رحمكم الله تعالى اينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها بالناس ويعظمون من شأنها ويرجون البرء والشفاء من قبلها ويتوطلون

بها اسلحتهم ويضربون عليها المسامير والخرق فهي ذات انواط فاقطعوها فتأمل رحمك الله تعالى إلى هذا الكلام بأن ماتفعله العامة في زماننا في العمدة والشجر والحجر والمواضع المخصوصة انه مثل فعل المشركين بذات انواط ؛ فتبين منه ان الشرك قد حدث في هذه الامة من زمان قديم وان أهل العلم رضى الله عنهم ينكرون ذلك اشد الانكار ويهدمون ما قدروا عليه مما يفتتن بها الناس ؛ وان هذا مما حدث بعد القرون الثلاثة المفضلة ، وان ذلك ليس من الدين باجماع أهل العلم ، ويجب على من قدر على ذلك ازالته . فويل للامراء والعلماء والقضاة القادرين على ازالته والنهي عنه .

قال الامام ابو الوفاء ابن عقيل الحنبلي ؛ لما صعبت التكاليف على الجهال والطغام عدلوا عن أوضاع الشرع الى تعظيم أوضاع انفسهم فسهلت عليهم ، وهم عندي كفار بهذه الاوضاع . مثل تعظيم القبور وخطاب الموتى بالحوائج وكتب الرقاع فيها والقاء الخرق على الشجر اقتداء بمن عبد اللات والعزى وفيها أيضاً : قال الشيخ تقي الدين ابن تيمية في الرسالة السنية : أن الغلو في المشائخ منهي عنه ، فكل من غلا في نبي أو رجل صالح وجعل فيه نوعاً من الآلهية مثل أن يقول يا سيدي فلان انصرني أو أغثنى أو ارزقني أو اجبرني أو أنا في حسبك أو نحوها فكل هذا شرك وضلال يستتاب وإلا قتل ، فان الله تعالى انما أرسل الرسل وأنزل الكتب ليعبد وحده . ولا يجعل معه آله آخ . والذين يدعون مع الله آلهة أخرى مثل المسيح والملائكة والاصنام لم يكونوا يعتقدون انها تخلق الخلائق .

على ترابها وعبادة اصحابها وسؤالهم النصر والرزق والعافية وقضاء الحوائج
وتفريج الكربات التي كانت عباد الاوثان يسألونها إوثنانهم . فمن جمع
بين سنة رسول الله ﷺ في القبور وما أمر به وما نهى عنه وما عليه
اصحابه . وبين ما عليه أكثر الناس اليوم رأى احدهما مضاداً للآخر .
فنهى عن اتخاذها مساجد . وهم يبنون عليها المساجد . ونهى عن تسريحها .
وهؤلاء يوقفون الاوقاف على ايقاد القناديل عليها . ونهى أن تتخذ
عيداً . وهؤلاء يتخذونها اعياداً . وأمر بتسويتها . وهؤلاء يرفعونها
ويحملون عليها القباب . ونهى عن تجصيص القبور والبناء عليها . ونهى عن
الكتابة عليها . ونهى ان لا يزداد عليها غير ترابها . وهؤلاء يتخذون عليها
الالواح ويكتبون عليها القرآن والقصائد ويزيدون على ترابها بالجص
والآجر والاحجار وقد آل الامر بهؤلاء الضلال للمشركين الى أن شرعوا
للقبور حجاً . ولا شك ان هذا مفارقة لدين الاسلام . ودخول في دين عباد
الاصنام . فانظر الى هذا التباين العظيم بين ما شرعه الرسول ﷺ لامته
وما شرعه هؤلاء . والنبي ﷺ أمر بزيارة القبور لانها تذكر الآخرة .
وأمر الزائر ان يدعو لاهل القبور . ونهاه ان يقول هجراً . فهذه هي
الزيارة المشروعة بخلاف ما عليه أهل الشرك والبدع فانه مضاد لذلك .
وفيهما أيضاً قال ابن تيمية في الرد على البكري . العبادات مبناه على
الاتباع لا على الابتداع : فليس لاحد ان يشرع في الدين ما لم يأذن به الله
﴿ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ﴾ وفي الصحيحين عن
عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ انه قال « من احدث في امرنا هذا

ماليس منه فهو رد» وفي لفظ «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» ولهذا قال الفقهاء . العبادات مبناهما على التوقيف . كما في الصحيحين عن عمر رضى الله عنه انه قبل الحجر الاسود . وقال والله انى لاعلم انك حجير لا تضر ولا تنفع ولولا انى رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك والله سبحانه وتعالى امرنا باتباع الرسول وطاعته وموالاته ومحبته . وضمن لنا بطاعته ومحبته واكرامه محبته لنا ومغفرته وهدايتنا وادخالنا الجنة . فمعنا اصلان عظيمان . أحدهما أن لا نعبد الا الله . والثانى ان لا نعبد الا بما شرع . لا نعبد به بعبادة مبتدعه . وهذان الاصلان هما تحقيق لشهادة ان لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله : قال الله تعالى . ﴿فمن كان يرجوا لقاء ربه فاليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحد﴾ وجاءت السنة أن يسأل الله باسمائه وصفاته . فيقال اسألك بان لك الحمد لا اله الا أنت المنان بديع السموات والارض يا ذا الجلال يا حى يا قيوم وأسألك بانك أنت الله لا اله الا انت الاحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد وكذلك قوله « اللهم انى اسألك بمعاهد العز من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك وباسمك الأعظم وجدك الاعلى وكلماتك التامة . مع ان هذا الدعاء الثانى فى جواز الدعاء به قولان للعلماء قال الشيخ ابو الحسن القدورى (يعنى فى كتاب الكراهية من مختصره قال بشر ابن الوليد سمعت ابا يوسف يقول قال ابو حنيفة رحمه الله تعالى لا ينبغى لأحد ان يدعو الله الا به . وأكره أن يقول بمعاهد العز من عرشك او بحق خلقك . وهو قول ابى يوسف رحمه الله تعالى . وقال

أبو يوسف رحمه الله بمقعد العز من عرشك هو الله فلا أكره هذا .
وأكره بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك وبحق البيت الحرام والمشعر
الحرام . قال القدوري المسألة بخلقه لا تجوز لانه لا حق للمخلوق على
الخالق فلا تجوز يعنى وفاقا . وقال البلدجى في شرح المختار . ويكره أن
يدعوا الله الا به . فلا يقول أسألك بحق فلان أو بملائكتك أو بأنبيائك
أو نحو ذلك لانه لاحق للمخلوق على الخالق . وأما سؤال الميت والغائب
نبياً كان أو غير نبي فهو من المحرمات المنكرة باتفاق أئمة المسلمين لم
يأمر الله به ولا رسوله ﷺ ولا فعله أحد من الصحابة ولا التابعين
لهم بإحسان . ولا استحبه أحد من أئمة المسلمين . ولما قحط الناس في
زمان عمر رضى الله عنه استسقى بالعباس رضى الله عنه وتوسل بدعائه .
وقال : اللهم انا كنا نتوسل اليك إذا أجدبنا بنينا فنتسقيناه ؛ وانا نتوسل
اليك بعم نديننا فاسقنا فيسقون . كما في كتاب الاستسقاء من صحيح
البخارى ؛ فكل من دعا ميتا أو غائبا من الانبياء والصالحين أو دعا
الملائكة أو الجن فقد دعا من لا يغيثه ولا يملك كشف الضر عنه ولا
تحويله . وقد نص الأئمة كاحمد وغيره على أنه لا تجوز الا استعاذة بمخلوق .
قال الجامع المعصومى عنى الله عنه قال شيخ الاسلام برهان الدين
على المرغيناني في كتاب الكراهية من الهداية الحنفية ويكره أن يقول
الرجل في دعائه . أسألك بمقعد العز من عرشك ، وللمسئلة عبارتان هذه
ومقعد العز ؛ ولا ريب في كراهة الثانية لانه من القعود . وكذا الاولى
لانه يؤهم تعلق عزه بالعرش وهو محدث ، والله تعالى بجميع صفاته قديم .

وعن أبي يوسف رحمه الله تعالى أنه لا بأس به ، وبه أخذ الفقيه أبو
 الليث رحمه الله ، لانه مأثور عن النبي ﷺ روى أنه كان من دعائه « اللهم
 إني أسألك بمعقد العز من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك وباسمك
 الاعظم وجدك الأعلى وكلماتك التامة . ولكن نقول هذا خبر واحد
 فكان الاحتياط في الامتناع . ويكره أن يقول الرجل في دعائه بحق
 فلان أو بحق أنبيائك ورسلك لانه لاحق للمخلوق على الخالق انتهى
 ومما يبين حكمة الشريعة وعظم قدرها انها كما قيل كسفينة نوح
 عليه السلام من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق فالذين خرجوا عن
 المشروع زين لهم الشيطان اعمالهم حتى خرجوا الى الشرك . حتى ان
 بعضهم يقول ان الكعبة قبلة العامة وقبر فلان قبلة الخاصة . وياصر
 المرید اول ما يتوب أن يذهب الى قبر الشيخ فلان فيعكف عليه عكوف
 أهل التماثيل عليها . وجمهور هؤلاء المشركين بالقبور يحدون عند عبادة
 القبور من الرقة والخشوع والدعاء وحضور القلب مالا يجده احدهم في
 مساجد الله ولو في المسجد الحرام . وآخرون يحجون القبور . (قال الجامع
 المعصومي حفظه الله تعالى كما شاهدنا عيانا غير مرة ان اهل ماوراء
 النهر يحجون الى قبر بهاء الدين النقشبندی في بخارى . واهل تركستان
 وفرغانة يحجون الى قبر خواجه احمد يسوى في الشتاء ويسمون خلوته
 وأهل افغانستان يحجون الى بلخ ومزار شريف لقبر مزعومهم على
 المرتضى . وأهل الهند يحجون الى اجير . وأهل مصر الى قبر احمد
 بدوى . الى غير ذلك . ولكل واحد منه مذهب خاص ، طائفة صفة .

كتبنا في مناسك حج المشاهد كابي عبد الله محمد بن النعمان الملقب بالمفيد أحد شيوخ الامامية . وذكر فيها حكايات مكذوبة . وبعض المشهورين منهم بالزهد والصلاح صنف كتابا سماه . الاستغاثاة بالنبي عليه الصلاة والسلام في اليقظة والنام . ومنهم من يرجع الحج الى المقابر على الحج الى الكعبة . ومنهم من يقول اذا زرت قبر الشيخ مرة او مرتين او ثلاثا كان كحجة . ومنهم من يحكى عن الشيخ الميت انه قال كل خطوة الى قبري كحجة . وانكر بعض الناس ذلك فتمثل له الشيطان بصورة الشيخ في منامه وزجره عن انكار ذلك . فهو لاء وامثالهم لا يخشون الله بل يخشون المشاهد والمقابر وعمارها ويخشون غير الله . ويرجون غير الله . حتى ان طائفة من ارباب الكبراء الذين لا يخشون الله فيما يفعلونه من الكبراء كان اذا رأى قبة الميت فيخشى عن فعل الفواحش . ويقول أحدهم لصاحبه ويحك هذا هلال القبة فيخشون المدفون تحت الهلال ولا يخشون الذى خلق السماوات والارض والهلال . وطائفة منهم قد جعلوا الميت بمنزلة الآله . والشيخ الحى يتعلق به كالنبي فمن الميت يطلب قضاء الحاجات وكشف الكربات . وأما الحى فالهلال ماحله والحرام ما حرمه . ولا شك أن هذا هو دين المشركين والنصارى . ومنهم من يرى في المنام شخصا يظن انه المقبور ويكون ذلك شيطانا تصور بصورته أو غير صورته كالشياطين التى تكون فى الاصنام . وكالشياطين الذين يتمثلون لمن يستغيث بالاصنام والموتى والغائبين وهذا كثير فى زماننا . وعند كل من المشاهد وبيت الاصنام

قد يكون^١ عنده شياطين تضل من أشرك بالله . وان تلك الشياطين لا يقضون بعض اغراضهم إذا حصل منهم الشرك والمعاصي ما يحبه الشيطان . وقد وقع في هذا النوع كثير من الشيوخ الذين لهم نصيب وافر من الدين والزهد والعبادة لكن لعدم علمهم بحقيقة الدين الذي بعث الله به رسوله طمعت فيهم الشياطين حتى أوقعوهم فيما يخالف الكتاب والسنة . وهؤلاء الضالون مستخفون بتوحيد الله . ويعظمون دعاء غير الله من الاموات وإذا أمروا بالتوحيد ونهوا عن الشرك استخفوا به . كما أخبر الله تعالى عن المشركين ﴿ وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزواً ﴾ فاستهزؤا بالرسول لما نهىهم عن الشرك ﴿ انهم كانوا إذا قيل لهم لا إله الا الله يستكبرون . ويقولون إنما التاركو آلهمتنا شاعر مجنون . أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب ﴾ وما زال المشركون يسفهون الانبياء ويصفونهم بالجنون . كما قال قوم نوح ﴿ قالوا أجئتنا لتعبد الله وحده ﴾ فاعظم ما سفهوه لاجله وأنكروه هو التوحيد . وهكذا تجد من عليه شبه من هؤلاء من بعض الوجوه إذا رأى من يدعو إلى توحيد الله وإخلاص الدين له . وأن لا يعبد الا انسان الا الله . ولا يتوكل الا عليه استهزاء بذلك لما عنده من الشرك . فانهم اعتقدوا أن دعاء الميت الذي بنى له المشهد والاستغاث به أنفع لهم من دعاء الله ولي . وهؤلاء إذا قصد أحدهم القبر الذي يعظمه بكى عنده وخضع . ويدعو ويتضرع ويحصل له من الرقة والتواضع والعبودية وحضور القلب ما لا يحصل له في الصلوات الخمس والجمعة وقراءة القرآن . فهل

هذا إلا من حال المشركين المبتدعين لا الموحدين المخلصين المتبعين
لكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ

ومثل هذا أنه إذا سمع أحدهم سماع الآيات يحصل له من الحضور
والخشوع والبكاء ما لا يحصل مثله عند سماع آيات الله تعالى . والذين
يعملون دعاء الموتى من الأنبياء والأئمة والشيوخ أفضل من دعاء
الله تعالى أنواع متعددة . ويحكون أنواعا من الحكايات . منها أن
بعض المريدين استغاث بالله فلم يغثه واستغاث بشيخه فآغاثه . ومنها
أن بعض المأسورين في بلاد المدو دعا الله فلم يخرجهم فدعا بعض المشائخ
الموتى فجاءه فأخرجه إلى بلاد الإسلام . ومنها أن بعض الشيوخ قال
لمريده إذا كانت لك إلى الله حاجة فتعال إلى قبري . وقال الآخر
فتوسل إلى الله بي وقال آخر فلان قبره هو الترياق المجرب . فهؤلاء
وأشباههم يضاهئون للمشركين . وقد يتمثل له الشيطان بصورة شيخه
ومن هؤلاء من إذا نزلت به شدة لا ينادى إلا شيخه ولا يذكر إلا
إسمه . ومن هؤلاء من يحلف بالله ويكذب . ويحلف بامامه وشيخه
فيصدق ولا يكذب . فيكون شيخه عنده وفي صدره أعظم من الله .
وعمدة هؤلاء الضلال أما أحاديث ضعيفة أو موضوعة . أو منقولات
عن لا يحتاج بقوله أما أن تكون كذا عليه وأما أن يكون غلطاً
منه : أذهي نقل غير مصدق عن قائل غير مقصوم
والاستغاثات تنقسم إلى : الاستغاث بالحق والباطل . والاستغاث
بالحي تكونه فيما يقدر عليه أو مما لا يقدر عليه . وقد روي أن النبي ﷺ

يوم بدر كان يقول (يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت برحمتك أستغيث .
وأصلح لي شأني كله ولا تكن لي إلى نفسي طرفة عين ولا إلى أحد من
خلقك) وأما جهلاء زماننا فيدعون الميت والغائب فيقول أحدهم بك
أستغيث بك أستجير أغثنا أجرنا . هل تجد أحد الصحابة أو التابعين
لهم باحسان أتى رسول الله بعد موته أو استغاث به أو استشفع به إلى
ربه وقال يارسو الله اشفع لي إلى ربك أو اقض ديني أو فرج كربتي
أو انصرني أو اغفر لي ذنوبي . بل جردوا التوحيد لله تعالى وحملوا
جانبه . ولهذا كان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وغيره من الصحابة
رضي الله عنهم إذا سلم على النبي ﷺ يقف ويقول السلام عليك
يارسول الله . ثم يقف ويقول السلام عليك يا أبا بكر . ثم يقف ويقول
السلام عليك يا أباي وإذا أراد أحدهم الدعاء جعل ظهره إلى جدار
القبر واستقبل القبلة حتى لا يدعو عند القبر . وذكر الامام أحمد وغيره
أنه يستقبل القبلة ويجعل القبر عن يساره . وذكر أصحاب مالك رحمه
الله أنه يدنو من القبر فيسلم على النبي ﷺ ثم يدعو مستقبلاً القبلة يوليه
ظهره . وقيل لا يوليه ظهره . فاذا جعل الحجرة عن يساره فقد زال
المحذور بلا خلاف . وقال مالك في المبسوط لا أرى أن يقف عند قبر
النبي ﷺ وأن يركن يصلي ويسلم . فهذا هو هدى السلف الصالح من
الصحابة والتابعين لهم باحسان . لكن كلما ضعف تمسك الامم بعمود
أنبيائهم عوضوا عن ذلك بما أحدثوا من البدع والشرك وغيره . ولهذا
كرهت الأمة رحمهم الله استلام القبر وتقبيله .

وفيهما ايضاً قوله تعالى ﴿ اتخذوا اَحبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله ﴾
 الاحبار هم العلماء والرهبان هم العباد وهذه الآية قد فسرها رسول الله
 ﷺ لعدي بن حاتم رضى الله عنه . قال السدى استنصحو الرجال
 ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ولهذا قال تعالى ﴿ وما أمروا إلا
 ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون ﴾ فصار ذلك
 عبادة لهم . وصاروا به لهم أرباباً من دون الله . وقال تعالى ﴿ ولا
 يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أيا أمركم بالكفر بعد إذ أنتم
 مسلمون ﴾ فن تدبر هذه الآيات تبين له معنى لا إله إلا الله . وتبين
 له التوحيد الذى جحدته أكثر من يدعى العلم فى هذه القرون . وقد
 عميت البلوى بالجهل به بعد القرون الثلاثة لما وقع الغلو فى قبور أهل
 البيت وغيرهم . وبنيت عليها المساجد . وبنيت لهم المشاهد . فأتسع
 الأمر وعظمت الفتنة فى الشرك المنافى للتوحيد لما حدث الغلو فى
 الاموات وتعظيمهم بالعبادة . فبهذه الامور الذى وقع فيها أكثر
 الناس عاد المعروف منكراً والمنكر معروفاً والبدعة سنة والسنة بدعة .
 نشأ على هذا الصغير وهرم عليه الكبير . وتبين سر قوله ﷺ . بدأ
 الاسلام غريباً وسيعود كما بدأ فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد
 الناس . وقوله تعالى ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله انداداً يحبونهم
 كحب الله ﴾ الآية الانداد الامثال والنظراء . كما قال العباد بن كثير
 وغيره من المفسرين . فكل من صرف من العبادة شيئاً لغير الله رغبة
 اليه أو رهبة منه فقد اتخذته نداً لله لا نه اشرك مع الله فيما لا يستحقه

غيره فتوحيد المحبوب ان لا يتعدد محبوبه . اى مع الله بعبادته له .
وقوله تعالى (والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم
يخلقون . أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون) * ذكر العباد
بن كثير فى هذه الآية مارواه بن أبى حاتم بسنده عن ابن عباس رضى
الله عنهما مرفوعاً « احفظ الله يحفظك . احفظ الله تجده تجاهك .
تعرف الى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة . إذا سألت فاسأل الله .
وإذا استعنت فاستعن بالله . واعلم أن الامة لو اجتمعوا على أن يضروك
بشيء لم يكتبه الله عليك لم يضروك . ولو اجتمعوا على أن ينفعوك
بشيء لم يكتبه الله لك لم ينفعوك . جفت الصحف ورفعت الاقلام .
واعمل لله بالشكر فى اليقين » »

وعن عمر ان بن حصين رضى الله عنه أن النبي ﷺ رأى رجلاً فى
يده حلقة من صفر فقال ما هذه فقال من الواهنة . فقال انزعها فانها
لا تزيدك الا وهناً . فانك لو مت وهى عليك ما أفلحت أبداً » رواه
أحمد بسند لا بأس به .

ومن الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره . قال ابن تيمية .
« الاستغاثة هي طلب الغوث . وهو إزالة الشدة . كالاستنصار طلب
النصر والاستعانة طلب العون . وبين الاستغاثة والدعاء عموم وخصوص
مطلق يجتمعان فى مادة وهو دعاء المستغيث . وقد نهى الله تعالى عن دعاء
بغيره الاخص والاعم فى كتابه . فكل ما قصد به غير الله مما لا يقدر
عليه إلا الله كدعوات الاموات والغائبين فهو من الشرك الذى لا يغفره

سئل ما قول علماء المسلمين فيمن يستنجد بأهل القبور ويطلب منهم إزالة الألم : ويقول ياسيدي انا في حسيبك : وفيمن يستلم القبر ويمرغ وجهه عليه : ويقول قضيت حاجتي ببركة الله وبركة الشيخ ونحو ذلك : الجواب الدين الذي بعث الله به رسله وانزل به كتبه هو عبادة الله وحده لا شريك له واستعانت به والتوكل عليه ؛ ودعاؤه لجلب المنافع ودفع المضار . قال الله تعالى ﴿ احسب الذين كفروا ان يتخذوا عبادي من دوني اولياء ﴾ الآية . فبين سبحانه ان من دعى من دون الله من جميع المخلوقات الملائكة والبشر وغيرهم انهم لا يملكون مثقال ذرة في ملكه . وانه ليس له شريك في ملكه ؛ وانه ليس له عون كما يكون للملك اعوان وظهراء وان الشفعاء لا يشفعون عنده الا لمن ارتضى ، فنقي بذلك وجوه الشرك قال الله تعالى ﴿ ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا يا مريم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون ﴾ فبين سبحانه ان من اتخذ الملائكة والنبيين اربابا كان كافرا ، فكيف بمن اتخذ من دونهم من المشائخ وغيرهم اربابا ؛ فلا يجوز ان يقول الملك ولا نبي ولا شيخ سواء كان حيا أو ميتا اغفر ذنبي وانصرني على عدوي أو اشف مريضى أو ما شبه ذلك . ومن سأل مخلوقا كائنا من كان فهو مشرك بربه من جنس المشركين الذين يعبدون الملائكة والانبياء والتمائيل التي يصورونها على صورهم . وان قال أنا اسأله لانه اقرب الى الله منى ليشفع لى لاني اتوسل الى الله به كما يتوسل الى السلطان بخواصه واعوانه ، فهنا من أفعال المشركين والنصارى ؛ فانهم يزعمون انهم يتخذون احياءهم ورهبانهم شفعاء

يستشفعون بهم في مطالبهم ؛ وقول كثير من الضلال هذا اقرب الى الله مني وأنا بعيد منه ، لا يمكن لنا ان ندعوه إلا بهذه الوساطة ونحو ذلك هو من قول المشركين فان الله تعالى يقول ﴿ واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعاني ﴾ وقد روى ان الصحابة رضي الله عنهم قالوا يا رسول الله ربنا قريب فنناجيه أم بعيد فنناديه فنزلت الآية وقد أمر الله تعالى العباد كلهم بالصلاة له ومناجاته وأمر كلا منهم ان يقولوا ﴿ اياك نعبد واياك نستعين ﴾ .

ثم يقال لهذا المشرك انت اذا دعوت هذا فان كنت تظن انه اعلم بحالك أو اقدر على اجابة سؤالك أو ارحم بك من ربك فهذا جهل وضلال وكفر ، وان كنت تعلم ان الله تعالى اعلم واقدر وارحم فلماذا عدلت عن سؤاله الى سؤال غيره .

فان قلت هذا إذا دعا الله اجاب دعاءه اعظم مما يجيب إذا دعوته انا ، فهذا هو القسم الثاني ، وهو ان يطلب منه الفعل ولا يدعوه ، ولكن يطلب يدعوه له ، كما يقال للحى ادع لى . وكما كان الصحابة يطلبون من النبي ﷺ الدعاء فهذا مشروع فى الحى ، واما الميت من الانبياء والصالحين وغيرهم فلم يشرع لنا ان نقول ادع لنا ولا اسأل لنا ربك ونحو ذلك ، ولم يفعل ذلك أحد من الصحابة والتابعين ولا امر به أحد من الأئمة ويدل لذلك ما فى الصحيح انهم لما اجدبوا زمن عمر رضى الله عنه استسقى بالعباس رضى الله عنه . فقال اللهم انا كنا اذا اجدبنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا ، وانا نتوسل اليك بهم نبينا فاسقنا فيسقون . يعنى كان هو

كالإمام مع المأموم وهذا متمذر بعدموته . فلم يجيئوا الى قبر النبي ﷺ .
قائلين يا رسول الله ادع الله او استسق لنا .
ونحن نشك اليك ما اصابنا ونحو هذا لم يقله أحد من الصحابة قط ،
بل هو بدعة ما أنزل الله بها من سلطان بل كانوا إذا جاؤا عند قبر النبي
ﷺ يسلمون عليه . ثم إذا أرادوا الدعاء لم يدعوا الله مستقبل القبر
بل ينحرفون فيستقبلون القبلة ويدعون الله وحده لا شريك له كما كانوا
يدعونه في سائر البقاع . وقد قالوا أنه لا يجوز أن ينذر لقبر ولا للمجاورين
عند القبر شيئاً لا من دراهم ولا زيت ولا شمع ولا حيوان ولا غير ذلك
وكل له نذر معصية . وذكر البخاري في صحيحه والطبري وغيره في تفاسيرهم
في قوله تعالى ﴿وقالوا لا تذرنا آلهتكم ولا تذرنا وداً ولا سواعاً ولا يغوث
وعوق ونسراً﴾ قالوا هذه أسماء قوم صالحين في قوم نوح عليه السلام .
فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم طال عليهم الامل فأتخذوا تماثيلهم اصناماً
فالعكوف على القبور والتمسح بها وتقبيلها والدعاء عندها هو أصل الشرك
وعبادة الاوثان ، ولهذا اتفق العلماء على أن من زار قبر النبي ﷺ أو
قبر غيره من الأنبياء والصالحين فإنه لا يتمسح به ولا يقبله . وليس في
الدين ما شرع تقبيله إلا الحجر الاسود .

وفي المجلد الرابع من المجموعة النجدية: قال ابن تيمية في الرد على البكري ،
سؤال الميت والغائب نبياً كان أو غير نبى من المحرمات المنكرة باتفاق
أئمة المسلمين ، لم يأمر الله به ولا رسوله ولا فعله أحد من الصحابة
والتابعين لهم بإحسان . وهذا مما يعلم بالاضطرار من دين المسلمين . وما

استغاث أحد بالنبي ﷺ بعد موته ولا بغيره من الانبياء لا عند قبورهم ولا إذا بعدوا عنهم . بل ولا أقسم بمخلوق على الله أبداً أصلاً . وأما ما يروى عن بعضهم أنه قال : قبر معروف السكرخي الترياق المجرب أو قول بعضهم إذا كانت لك حاجة فاستغث بي ، أو قال استغث عند قبري ونحو ذلك ، فإن هذا قد وقع فيه كثير من المتأخرين . ولكن هذه الأمور كلها بدعة محدثة في الإسلام ، وكثيراً ما يتمثل الشيطان لهم بصور شيوخهم . فكلما كان القوم أعظم جهلاً وضلالاً كانت هذه الأحوال الشيطانية عندهم أكثر . وقد يأتي الشيطان أحدهم بمال أو طعام أو لباس أو نحو ذلك وهو لا يرى أحداً أتاه فيحسب كرامة وإنما هو من الشيطان ، وسببه شركه بالله وخروجه عن طاعة الله ورسوله إلى طاعة الشيطان فاضلتهم الشياطين كما اضلت عباد الأصنام .

والواجب على العبد أن يتوجه إلى الله الذي يحياه ومماته له ، فهو قبلة قلبه ووجهه كما أخبر الله تعالى عن خليله عليه السلام ﴿ إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين ﴾ فالتوجه إلى أرواح أهل القبور والاستظهار بهم هو الشرك الذي لا يغفره الله عز وجل . ولو جاز الاستظهار بأرواح الأموات كما يظنه الجاهلون لجاز أن يستظهر العبد بالحفظة من الملائكة الذين هم معه لا يفارقونه بيقين . وهذا لا يقوله مسلم أصلاً ، بل لو فعله أحد كان مشركاً بالله ، فإذا لم يجوز ذلك في حق الملائكة الحاضرين فإن لا يجوز في حق أرواح الأموات التي قد فارقت أجسادها لا يعلم مستقرها إلا الله أولى ، وأنت ترى أكثر

الناس انصرفت قلوبهم عن فهم الحق ومعرفة بدليله حتى تمكنت
الشبهات فيهم فظنوها ببنات فضلوا وأضلوا . وقد قال النبي ﷺ قبل
أن يموت بخمس كما في صحيح مسلم « ان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور
أنبيائهم مساجد ، الا فلا تتخذوا القبور مساجد فاني انهاكم عن ذلك ،
وقاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وانما نهى
من فعل ذلك لاجل الفتنة بالصلاة عند القبور ومشاهدة عباد الأوثان
فنهى سداً للذريعة . وقد أخرج احمد وأهل السنن « لعن رسول الله ﷺ
زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » ومعلوم أن ايقاد
السرج انما لعن فاعله لكونه وسيلة الى تعظيمها ، وكذلك اتخاذ المساجد
على قبور الأنبياء والصالحين .

ووجه الدلالة أنه إذا لعن من فعل ما هو الوسيلة الى التعظيم والغلو
وان كان المصلي عندها انما وجهه وقلبه لله وإلى الله وحده . فكيف إذا
وجه وجهه إلى ارباب القبور وأرواح الأموات واقبل عليها بكليته
وطلب النفع منها من دون الله تعالى ، فانه قد صرف ما هو من خصائص
الربوبية لمن لا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً ولا حياة ولا موتاً ولا
نشوراً فمن جعل لله شريكاً يلتجئ اليه ويعلق به قلبه ويوجه اليه وجهه
ويرغب اليه دون الله فقد جعله لله نداً ، قال الله تعالى ﴿ انهم كانوا يسارعون
في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين ﴾ فالرغبة والرغبة
والخشوع وغير ذلك من أنواع العبادة كالحبة والدعاء والتوكل ونحو ذلك
مختص بالله تعالى لا يصلح منه شيء لغيره كائناً من كان .

وقد شاع الشرك في أهل البسيطة وغالب الامصار والبلدان باتخاذ الآلهة والانداد لرب العالمين، مالا يحصيه إلا الله على اختلاف معبوداتهم وتباين اعتقاداتهم فمنهم يعبد الكواكب ويخاطبها بالحوائج ويبخر لها التبخيرات، ويرى أنها تفيض عليه أو على العالم وتقضى لهم الحاجات وتدفع عنهم البليات، ومنهم من لا يرى ذلك ويكفر أهله ويتبرأ منهم ولكنه قد وقع في عبادة الأنبياء والصالحين فاعتقد أنه يستغاث بهم في الشدائد والملمات وأنهم هم الواسطة في اجابة الدعوات وتفريج الكربات؛ فتارة يصرف وجهه اليهم ويسوى بينهم وبين الله في الحب والتعظيم والتوكل والاعتماد والدعاء والاستغاثة والاستعانة وغير ذلك من انواع العبادات . وهذا هو دين جاهلية العرب الأولى، كما ان الاول هو دين الصائبة، وقد بعث الله تعالى محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله؛ وكانت العرب في وقته وزمان مبعثه معترفين لله بتوحيد الربوبية والافعال، ولكنهم اشركوا في توحيد العبادات والآلهية فاتخذوا الشفعاء والوسائط من الملائكة والصالحين وغيرهم وجعلوهم انداداً لله رب العالمين فيما يستحقه عليهم من العبادات والارادات كالحب والخضوع والتعظيم والانابة والخشية وغير ذلك ويعبدون من دون الله؛ واتخذوا من دونه اولياء والذين اتخذوا ﴿ إلى آخر الآيات الثلاث، فنهاهم رسول الله ﷺ عن هذا الشرك وكفر أهله وجهلم وسفه احلامهم؛ ودعاهم إلى شهادة ان لا إله إلا الله، وبين ان مدلولها الالتزام بعبادة الله وحده لا شريك له

والكفر وبما يعبد من دون الله وهذا هو أصل الدين وقاعدته ولهذا كانت هذه الكلمة كلمة الاسلام ومفتاح دار السلام والفارق بين المؤمن والكافر من الانام : ولهذا جردت السيوف وشرع الجهاد . ولكن تلطف الشيطان في التهيل والمكر والمكيدة حتى ادخل الشرك وعبادة الصالحين على كثير ممن ينتسب الى الاسلام في قالب محبة الصالحين والتشفع بهم . وان لهم جاهاً ومنزلة يشفع بها من دعاهم ولاذ بمجاهم . ومن أعظم ما عمت به البلوى التوجه الى الموتى وسؤالهم النصر على الاعداء وقضاء الحاجات وتفريج الكربات التي لا يقدر عليها الا رب الارض والسماوات . وكذلك التقرب اليهم بالندور وذبح القربان والاستغاثة بهم في كشف الشدائد وجلب الفوائد الى غير ذلك من أنواع العبادات التي لا تصح الا لله . وصرف شيء من انواع العبادات لغير الله كصرف جميعها . وان الله تعالى اخبر ان للمشركين يدعون الملائكة والانبياء والصالحين ليقربوهم الى الله زلفى ويشفعوا لهم عنده واخبر الله تعالى ان من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويساءلهم الشفاعة فقد عبدهم واشرك بهم . وهذا الذي ذكرناه لا يخالف فيه احد من علماء المسلمين بل قد اجمع عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين والائمة الاربعة وغيرهم ممن سلك سبيلهم . واما ما حدث من سؤال الانبياء والصالحين والاولياء الشفاعة بعد موتهم ، وتعظيم قبورهم ببناء القباب عليها واسراج السرج والصلاة عندها واتخاذها اعياداً وجعل السدنة والندور لها . فكل ذلك من حوادث الامور التي

اخبر بوقوعها النبي ﷺ « انه لا تقوم الساعة حتى تاحق حى من امتى
بالمشركين . وحتى يعبد قنّام من امتى الاوثان » وهو ﷺ حى جانب
التوحيد اعظم حماية وسد كل طريق يؤدى الى الشرك فنهى ان يخصص
القبر وأن يبنى عليه : وأمر بطمس ما بنى عليه : ولهذا قال غير واحد
من العلماء يجب هدم القباب المبنية على القبور لانها أسست على معصية
الرسول ﷺ

فان قيل لا بد لنا من واسطة بيننا وبين الله : فانا لا نقدر أن نصل
اليه الا بذلك فاجاب التقي ابن تيميه ان اراد بذلك انه لا بد من واسطة
تبلغنا أمر الله فهذا حق . فان الخلق لا يعلمون ما يحبه الله ويرضاه وما
أمر به ومأنهى عنه الا بالرسل الذين ارسلهم الله تعالى الى عباديه . وهذا
مما أجمع عليه اهل الملل من المسلمين واليهود والنصارى : ومن انكر
هذه الوسائط فهو كافر باجماع اهل الملل : وان اراد بالواسطة انه لا بد من
واسطة يتخذها العباد بينهم وبين الله فى جلب المنافع ودفع المضار مثل
ان يكون واسطة فى رزق العباد ونصرهم وهداهم يسألونه ذلك ويرجعون
اليه فيه . فهذا من اعظم الشرك الذي كفر الله به المشركين حيث اتخذوا
من دون الله أولياء وشفعاء يجلبون بهم المنافع ويدفعون بهم المضار :
كما كان اقوام من الكفار يدعون عيسى والعزير والملائكة والانبياء
فبين الله لهم ان الملائكة والانبياء لا يملكون كشف الضر عنهم ولا
تحويلا قال الله تعالى ﴿ ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا
أيامركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون ﴾ فبين سبحانه وتعالى

أن اتخذ الملائكة والنبيين أربابا كفر . فمن جعل الملائكة والنبيين وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار فهو كافر بإجماع المسلمين . فمن أثبت الوسائط بين الله وبين خلقه كالحجاب بين الملك ورعيته بحيث يكونون هم يرفعون إلى الله حوائج خلقه ، وإن الله إنما يهدي عباده ويرزقهم وينصرهم بتوسطهم بمعنى أن الخالق يسألونهم وهم يسألون الخالق ، كما أن الوسائط عند الملوك يسألون الملوك حوائج الناس لقربهم منهم والناس يسألونهم ، فمن أثبتهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك يجب أن يستتاب فإن تاب ولا قتل ، وهؤلاء مشبهون بشبهوا الخالق بالخلق وجعلوا لله أندادا ، وفي القرآن من الرد على هؤلاء ما لا يحصى وتري كثيرا منهم قد اتخذوا ذكر آلهة ومعبوده من دون الله على لسانه أن قام وإن قعد وإن عثر وإن مرض فذكر آلهة ومعبوده من دون الله وهو الغالب على لسانه قال المعصومي حفظه الله كقول غالب جهلة أهل **بكري** والتركيستان إذا قام وإذا قعد وإذا حمل شيئا أو عدى من نهري يا بيرم يا بلاگردان يا بهاء الدين يا نقشبند يا علي يا غوث يا حضرت يا خوجم ، ونحوها ، ومثل قول الأفغانيين يا بهار يار يا شير خدا ، يا حيدر كرار ، ونحو ذلك) وهو لا ينكر ذلك ، ويزعم أنه من باب حاجته إلى الله وشفيعه عنده ووسيلته إليه وهكذا كان عباد الأصنام سواء

ولا يخفك يا أيها المسلم العاقل أن الله تعالى أمر عباده المؤمنين أن يقولوا ﴿ اياك نعبد ﴾ ولا يصدق قائل هذا إلا إذا أفرد العبادة لله والا

كان كاذبًا . اذ معناها نخصك بالعبادة ونفردك بها وهو معنى قوله ﴿ فَايَا فاعبدوني وَايَا فاتقوني ﴾ اى لا تعبدوا الا الله ولا تعبدوا غيره ولا تتقوا الا الله ولا تتقوا غيره لما عرف في علم البيان ان تقديم ماحقه التأخير يفيد الحصر . كما في الكشاف . فافراد الله تعالى بتوحيد العبادة لا يكون الا بان يتم جميعها كلها له والنداء في الشدائد والرجاء لا يكون الا لله وحده . والاستعانة والاستغاثة بالله وحده والالجاء الى الله والنذر له والنحر له وجميع أنواع العبادة له . ومن يفعل شيئًا من ذلك لمخلوق من حى أو ميت اذ جماد فقد اشرك في العبادة . وصار من يفعل له هذه الامور لها لعابديه . سواء كان ملكا أو نبيا أو وليا أو شجرا أو حجرا أو قبرا أو جنيا وصار بهذه العبادة أو باى نوع منها عابدا لذلك المخلوق . وان أقر بالله وعبدته فان اقرار المشركين بالله وتقربهم اليه لم يخرجهم عن الشرك . وقد عرفت من هذا كله ان من اعتقد في شجر أو حجر أو قبر أو ملك أو حى أو ميت انه ينفع أو يضر . وانه يقرب الى الله أو يشفع عنده في حاجة من حوائج الدنيا بمجرد التشفع به الى الرب تعالى . فانه قد اشرك مع الله غيره . واعتقد مالا يحل اعتقاده . القوله تعالى ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ وقوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ ﴾ اى يدعون من دون الله ﴿ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ ﴾ اى لا يجيبونهم فيما يسألونه منهم من نفع أو دفع ضر اذا دعوهم ﴿ اَلَا كَبَّاسُطٌ كَفِيهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ

فاه وما هو ببالغه ﴿ يعني ان استجابتهم لهم كاستجابة الماء لمن بسط كفيه -
اليه يطلب منه أن يبلغ فاه . وكذلك ما يدعونه جمادا لا يحس دعاءهم
ولا يستطيع اجابتهم . قيل شبههم في قلة جدوى دعائهم لاهتهم بمن
أراد ان يغرف الماء بيده ليشرب به فبسطها ناشرأ أصابعه لا يكون
منه في يده شيء . كذلك الذي يدعوا الاصنام بانها لاتضر ولا تنفع ولا
بيده منها شيء ، وقال مجاهد كالعطشان الذي يرى الماء بعينه من بعيد
وهو يشير بكفيه إلى الماء ويدعوه بلسانه فلا يأتيه أبداً وقال عطاء -
كالعطشان الجالس على شفير البئر وهو يمد يده إلى الماء فلا هو يبلغ الماء
ولا الماء يرتفع اليه . فلا ينفعه بسط الكف الى الماء ودعاؤه له . كذلك
الذين يدعون الاصنام لا ينفعهم دعاؤهم ﴿ وما دعاء الكافرين إلا في ضلال ﴾
أى كل مدعى سواه يضل عن دعاءه إذا احتاج اليه . وهذا مثل ضربه
الله لمن يدعو غيره فيما لا يقدر عليه الا هو الله سبحانه وتعالى .

وفي المجموعة النجدية ان كثيراً من الناس يتوسلون غير قاصد
للشرك ولا معاند للاسلام . فالجواب أن سؤال الغائب والميت نبي
كان أو غيره تفريج الكربات وإغاثة اللهفات والاستغاثة به في الامور
المهمات فهو من المحرمات المنكرة باتفاق ائمة المسلمين لم يأمر الله به ولا
رسوله ولا فعله أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان . ولا استحبه
أحد من ائمة المسلمين . وهذا مما يعلم بالضرورة من دين الاسلام . فانه
لم يكن أحد منهم اذا نزلت به ترة أو عرضت له حاجة أو نزلت به
كربة وشدة يقول ليت ياسيدى فلان انا فى حسبك أو اقض حاجتى .

أنا مستشفع بك الى ربي كما يقوله هؤلاء المشركين لمن يدعونهم من الموتى والغائبين ولا أحد من الصحابة رضى الله عنهم استغاث بالنبي ﷺ بعد موته ولا بغيره من الانبياء لا عند قبورهم ولا اذا بعدوا عنهم ولا كانوا يقصدون قبورهم الدعاء والصلاة عندها . وهذه الامور المبتدعة عند القبور أنواع أبعدها عن الشرع من يسأل الميت حاجته كما يفعله كثير من الناس . وهؤلاء من جنس عباد الاصنام .

وأما بناء القباب على القبور فهو من علامات الكفر وشعائره لان الله تعالى أرسل محمداً ﷺ بهدم الاوثان ولو كانت على قبر رجل صالح . لان اللات رجل صالح فلما مات عكفوا على قبره وبنوا عليه بنية وعظموها . فلما أسلم أهل الطائف وطلبوا منه (أى من النبي ﷺ) ان يترك هدم اللات شهراً لثلاثين يوماً فأسلمهم وصبيانهم حتى يدخلوهم الدين فأبى ذاك عليهم . وأرسل معهم المغيرة بن شعبه وابا سفيان بن حرب رضى الله عنهما وأمرهما بهدمها . قال العلماء رحمهم الله تعالى كما فصله العلامة ابن القيم في زاد المعاد وفي هذا أوضح دليل على انه لا يجوز إبقاء شيء من هذه القباب التي بنيت على القبور واتخذت اوثاناً ولا يوماً واحداً فانها شعائر الكفر . وقد ثبت ان النبي ﷺ نهى عن البناء على القبر وتخصيصه وتخليقه والكتابة عليه .

وفي كتاب الاستغاثة لابن تيمية . وهو المعروف بالرد على البكري . والاستغاثة بالميت والغائب سواء كان نبياً أو ولياً ليس مشروعاً . ولا

هو من صالح الاعمال . ولم يصح عن احد من الصحابة والسلف انه فعل ذلك . وقد وقع في دعاء الاموات والغائبين كثير من جهال الفقهاء والمفتيين حتى لا قوام فيهم زهد وعبادة ودين ترى احدهم يستغيث بمن يحسن به الظن حياً كان او ميتاً . وكثير منهم تتمثل له صورة المستغاث به وتخطبه وتقضى بعض حوائجه . وتخبره ببعض الامور الغائبة . ويظن الغر انه المستغاث به . او ان ملكاً جاء على صورته . وانما هي شيطان تتمثل له به وخيالات باطلة . ومنهم من يظن ان الرسول او الشيخ يعلم ذنوبه وحوائجه وان لم يذكرها . وانه يقدر على غفرانها وقضاء حوائجه . ويقدر على ما يقدر عليه الله . ويعلم ما يعلمه الله . ولا شك ان هذا الفعل منه ما هو كفر صريح . ومنه ما هو منكر ظاهر سواء قدر ان الميت يسمع الخطاب كما اذا خوطب من قريب . او قدر انه لا يسمع كما اذا خوطب من بعيد . فان مجرد سماع الميت للخطاب لا يستلزم انه قادر على ما يطلب الحى منه . وقد مضت السنة ان الحى يطلب منه الدعاء كما يطلب ما يقدر عليه . واما المخلوق الغائب والميت فلا يطلب منه شئ . ولا يخفك انه كلما كان القوم اعظم جهلاً وضلالاً كانت هذه الاحوال الشيطانية عندهم أكثر . وقد يأتهم الشيطان بمال او طعام او لباس او يتكلم او غير ذلك فيحسب ذلك كرامة . وانما هي من الشيطان . وسببه شركه بالله تعالى وخروجه عن طاعة الله ورسوله الى طاعة الشياطين .

وفي المجلد (١٦) من مجلة المنار . اما حقيقة الشرك الذى لا يغفره الله تعالى والذى حرم الله على صاحبه الجنة فهو مبين فى القرآن فى مواضع كثيرة جداً . وينقسم الى شرك فى الالهية بعبادة غير الله تعالى . ومنع العبادة وجوهرها الدعاء اى طلب الخير ودفع الشر فى الدنيا والآخرة . وشرك فى الربوبية باتخاذ بعض الناس شارعين يحلون لهم ويحرمون عليهم . ويشرعون لهم ما لم يأذن به الله فيتبعونهم . والمعطل المنكر لوجود الله تعالى لا يسمى مشركا . ولكنه شر من الشرك .

وفي المجلد (٣٣) من المنار ايضا . فى سورة يونس ﴿ ان ربكم الله الذى خلق السماوات والارض فى ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر . ما من شفيع الا من بعد اذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون ﴾ فالله خاطب الناس بهذه الآية بان ربهم هو الذى خلق السماوات والارض اطواراً فى ستة ايام ثم فيها خلقها وتكوينها فكانت ملكا عظيما ثم استوى على عرش هذا الملك . الاستواء به الدال على علوه المطلق على جميع خلقه . احاطته به بعلمه وقدرته . وتدير الامر فيه بمشيئته وحكمته ورحمته بغير حد ولا تشبيه ولا شريك له فى الخلق والتقدير . ولا فى التصرف والتدير . ما من شفيع الا من بعد اذنه . فله وحده الامر وبيده النفع والضرر . وبعد تقرير هذه الحقيقة فى توحيد الربوبية قال محتجاً بها على توحيد الالهية ﴿ ذلكم الله ربكم

فاعبدوه * أى فاعبدوه وحده . ولا تعبدوا معه غيره بطلب شفاعته ولا دعاء ولا مادونهما من مظاهر العبادة . اذ لا رب لكم غيره . وانما تجب العبادة لرب العباد دون غيره . وفى المجلد (١٥) منها ايضاً * ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء *

فالشرك لا فساد له للارواح يشبه ما يصيب القلب أو الدماغ من سهم نافذ أو رصاصة قاتلة ، فلا مطمع للنجاة من العقاب عليه . فاما سائر المعاصى فكأصابة السهم فى سائر البدن غير القلب فانه قد لا يهلك ، وذلك بان الشرك فى نفسه هو منتهى فساد الارواح وسفاهة الانفس وضلال العقول فان روحه تكون فى الآخرة على ما كانت عليه فى الدنيا متعلقة بشركاء يحولون بينها وبين الخلوص اليه عز وجل ، والله لا يقبل إلا ما كان خالصاً له ، والمذنب قد يكون فى ايمانه وسريته خالصاً لله عبداً له وحده فالعبد المملوك قد يعصى وقد يابق فلا العصيان ولا الابق يخرجانه عن كونه عبداً لسيده واحد ، وليسيداً أن يعاقبه وان يعفو عنه ولا يغفر له ان يجمل نفسه عبداً لغيره ، والحال ان كل كائن عبد لله ، لا ينبغى أن يكون لهم شركة فى مقام العبادة لا بدعاء ولا بنداء ، ولا شك أن أعرف الناس بالله أشدهم خوفاً منه ورجاءاً فى فضله ورحمته ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك ، فتجد الملايين منهم يدعون المسيح ويدكرون اسم الله مع اسمه ، وتجد الملايين من دونهم يدعون وينادون من دون المسيح من الأولياء ويصمدون إلى قبورهم ، أو إلى الصور

والتماثيل التي اتخذها قدماء المفتونين بهم تذكاراً لهم ؛ ولكن الله تعالى لا يقبل العبادة إلا خالصة لوجهه من كل شائبة .

ومن الناس من يسمون أنفسهم موحدين وهم يفعلون مثل ما يفعل جميع المشركين ، ولكنهم يفسدون في اللغة كما يفسدون في الدين ؛ فلا يسمون أعمالهم هذه عبادة ؛ وقد يسمونها توسلاً وشفاعة ، ولا يسمون من يدعوهم من دون الله أو مع الله شركاء ، ولكن لا يأبون أن يسموهم أولياء وشفعاء . وإنما الحساب والجزاء على الحقائق لا على الاسماء ، ولو لم يكن منهم إلا دعاء غير الله ونداؤه لقضاء الحاجات وتفريج الكربات لكفى ذلك عبادة له وشركاً بالله عز وجل ، فقد قال النبي ﷺ « الدعاء هو العبادة » رواه أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح ، وهو يفيد حصر العبادة الحقيقية في الدعاء ؛ وهو حصر على سبيل المبالغة كأن ما عدا الدعاء لا يعد عبادة بالنسبة إليه ؛ وهذا كحديث (الحج عرفة) أى هو الركن الا هم الذى لا يعتد بغيره عند تركه ، وتأمل تعبير الكتاب العزيز عن العبادة بالدعاء فى أكثر الآيات الواردة فى ذلك يعلم كما يعلم من اختبر احوال البشر فى عباداتهم أن الدعاء هو العبادة الحقيقية الفطرية التى يثيرها الاعتقاد الراسخ من اعماق النفس ولا سيما عند الشدة وأما ما عدا الدعاء من العبادات فى جميع الأديان فكله أو جله تعليمى تبكليفى يفعل بالتكلف وبالقدوة ، وقد يكون فى الغالب خالياً عن الشعور الذى به يكون القول أو العمل عبادة ؛ وهو الشعور بالسلطة الغيبية التى هى وراء الاسباب

العادية ، أمتري إلى حافظ الادعية الراتبة يحرك بها لسانه وقلبه مشغول بشيء آخر ، وانما العبادة جدّ العبادة في الدعاء الذي يفيض على اللسان من سويداء القلب وقرارة النفس عند وقوع الخطب وشدة الكرب واستعصاء الوسائل اليه وتقطع الاسباب دونه ، ذلك الدعاء الذي تسمعه من أصحاب الحاجات وذوى الكربات عند حدوث الملمات . وفي هيا كل العبادات ولدى قبور الاموات . ذلك الدعاء الخالص الذي يغشاه جلال الاخلاص . وناهيك بما يفجّره هذا الخشوع من ينابيع الدموع . وذلك الدعاء الذي يستغله سدنة الهياكل ويستثمره خدمة المقابر ويضن به ويدافع عنه رؤساء الاديان . لانه أشد اركان رياستهم على العوام . على أن الموحدين اعلى اخلاصا وأشد حبا لله وخشوعا (ومن الناس من يتخذ من دون الله انداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيداً *) أى ومن يشرك بالله احداً أو شيئاً فيدعوه معه ويذكر اسمه مع اسمه أو يدعوه من دونه ملاحظا في دعائه انه يقربه اليه زلفى وهذا النوع من الشرك في العبادة الذي يتجلى في الدعاء هو اقواها . لان الاعتقاد فيه يكون وجدانياً . فهذا قد تنكب سبيل الرشده وخرج عن صراط الهداية لانه يطيع من لا بطاع ويرجوا من لا يرجى ويكون عبداً للاوهام وعرضة للخرافات .

قال العلامة ابن تيمية رحمه الله تعالى في الاستغاثة . لا يمكن لاحد أن

يقول ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم شرع لامته أن يستغيثوا بميت
لأنبي ولا غيره . لافي جلب منفعة ولادفع مضرة . فلا يشرع لهم أن
يدعوا ميتا ولا يسألوه ولا يدعوا اليه . ولا أن يستجيروا به لارهبة
ولا رغبة . ولا يقول أحد لميت انا في جوارك وانا اريد ان تفعل كذا
وكذا ولا ان يتوجه الى قبره ويسأل كما يفعل هذا كثير من النصارى
وأشباههم من ضلال هذه الامة بكثير من شيوخهم . ولا يشرع لاحد
أن يقول لميت سل الله تعالى لى . ولا يشرع لاحد ان يشكو الى ميت
سواء كان عند قبره أو كان بعيدا منه . وسواء كان الميت نبيا أو غيره
بل ولا يشرع أن يقصد قبر نبي او صالح فيدعو لنفسه ظانا ان الدعاء
عند قبره يجاب . ولا يشرع لاحد ان يتوسل الى الله تعالى بذات
ميت أصلا .

قالت الفلاسفة ان الارواح المقدسة لها تأثير قترى من توجه اليها
وهذه هى من أصول الشرك وعبادة الاصنام . فلهذا قالت الفلاسفة
ان الدعاء انما تأثيره بكون النفس تتصرف فى العالم لا بكون الله تعالى
يجيب الداعى . وهى مبنية على ان الله تعالى ليس بفاعل مختار يخلق
الحوادث بمشيئته واختياره . وهؤلاء يجوزون أن يعبد الانسان
الكواكب والاصنام . لانه بتوجهه اليها يفيض منها أمور . والنفوس
السعيدة اذا توجه اليها المتوجه . والقبور التى دفن فيها بدنها فاض عليها
منها ما يفيض . وهذا كله خارج عن الاسلام . ولا ريب ان هذه الاقوال
ونحوها تدعو الى غير دين الاسلام . وهؤلاء يعظمون الانبياء والصالحين .

من جنس تعظيم النصارى . والنصارى يعظمونهم تعظيم ربوبية من جهة ما يرجونه في حصول مطالبهم من جهة لا يعظمونهم تعظيم رسل الله الذين أمروا بطاعتهم فيجب ان يطاعوا فيما امروا به . وان يقتدى بهم فيما يشرع .

وفي كتاب الرد على الاخنائى : أن المقصود من جنس الصلاة على الجنائز سواء كان الميت فاضلاً أو مفضولاً الدعاء وطلب المغفرة والرحمة له وليس المقصود بها الخضوع للميت ولا التواضع له ، فكذلك زيارة قبر المؤمن للدعاء له وتذكر الموت ، ولكن الجهال المبتدعين عكسوا الأمر ويطلبون من الميت المدد ، بل يظن بعضهم أن القبر إذا كان في مدينة أو قرية فانهم ببركته يرزقون وينصرون ، وأنه يندفع عنهم الأعداء والبلاء بسببه ، ويقولون نحن يعظمونه أنه خفير البلد الفلانى ، كما يقولون السيدة نفيسة خفيرة مصر القاهرة (قلت كما يقول أهل بخارى ، أن بهاء الدين النقشبندى بلا كردان وخفير بخارى بلاء كردان ، معناه دافع البلاء ، وكذا قولهم أن عبدالقادر الجيلانى هو الغوث الاعظم وخفير العالم) ويظنون أن البلاء يندفع عن هذه المدن والقرى بمن عندهم من قبور الصالحين والأنبياء ، وهذا خطأ بين ، ومما يوضح الأمر في ذلك أنه من المعلوم أن بيت المقدس وما حوله من قبور الأنبياء ما هو أكثر من غيره ، فانه قد قيل أن بنى اسرائيل بعث فيهم ألف نبي ، ومع هذا فقد قال الله تعالى ﴿ وقضينا إلى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن

في الأرض مرتين ﴿ إلى قوله ﴾ عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم ﴿ الآية
فقد بين الله تعالى أنهم إذا غلوا وافسدوا في الأرض عاقبهم الله بذنوبهم
وسلط عليهم العدو الذي جاس خلال الديار ودخل المسجد وقتل فيهم من
لا يحصى عدده إلا الله ، ولم يخفرهم أحد من قبور الانبياء التي كانت
هناك . وإنما الناس يجزون بأعمالهم ، والله تعالى هو الذي يرزقهم وينصرهم
لا رازق غيره ولا ناصر إلا هو ، وإنما يندفع البلاء بطاعة الله وطاعة
رسوله لا بقبورهم ، فمن أطاعهم فهو السعيد في الدنيا والآخرة ، ومن
عصاهم استحق ما يستحقه أمثاله وإن كان عنده ما شاء الله من قبورهم .
وهؤلاء الذين يعتقدون أن القبور تنفعهم وتدفع البلاء عنهم قد اتخذوها
أوثاناً من دون الله ، وصاروا يظنون فيها ما يظنه أهل الأوثان في أوثانهم
فانهم كانوا يرجونها ويخافونها ويظنون انها تنفع وتضر ، ولهذا قالوا اليهود
عليه السلام ﴿ ان نقول الا اعتراك بمض آهتنا بسوء ﴾ الآية . وقال
تعالى مخاطباً لخاتم الرسل ﷺ بعد أن خاطب المشركين ﴿ ان الذين
تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم
صادقين ، وأليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه ، قل
حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون ﴾

فالذين يحجون إلى القبور هم من جنس الذين يحجون إلى الأوثان
والمشركون يدعون مع الله إلهاً آخر يدعونه كما يدعون الله . وأهل التوحيد
لا يدعون إلا الله . ولا يدعون مع الله إلهاً آخر . لا دعا سؤال وطلب

ولا دعاء عبادة وتأله ، والمشركون يقصدون هذا وهذا ، وكذلك حجاج
القبور يقصدون هذا وهذا ، ومنهم من يصور مثال الميت كما يفعل النصراني
وهذا ليس من الزيارة المشروعة ولم يبعده ولا استحبه احد من ائمة الدين بل هم
متفقون على النهي عن هذا الجنس كله . ان كثير من الناس دخلوا في الاسلام
من التتار وغيرهم (قلت كالهنود والصينيين والفرس) وعندهم اصنام
(أو بيت نار) وهم يعظمونها ويتقربون اليها ولا يعلمون ان ذلك محرم في دين
الاسلام فيضلون ويضلون ولا علم لهم بذلك ، حتى ان كثيراً منهم يعتقدون
أن الحج إلى قبر بعض الأئمة أفضل من الحج أو مثله . فهؤلاء الذين يجعلون
أصحاب القبور وسائط يشركون بهم كما يشرك أصحاب الاوثان باوثانهم
يدعونهم ويستشفعون بهم ويرجونهم ويخافونهم . وأما اهل التوحيد فيعتبرون
عن كل ذلك . فهذا هو الفرقان الذي يفصل بين عباد الرحمن وعباد الشيطان
ان من كمال الايمان بالله والرسول ومحبته وتعظيمه الاهتمام بما أمر وابه من
طاعته فان طاعته هي مدار السعادة وهي الفارقة بين اولياء الله واعدائه . وأهل
الجنة وأهل النار ، فاهل طاعته هم اولياء الله المتقون وجنده المفلحون
وحزبه الغالبون . وأهل مخالفته ومعصيته بخلاف ذلك . فالذين يقصدون
الحج إلى قبره أو قبر غيره ويدعونهم ويتخذونهم انداداً هم من اهل
معصيته ومخالفته ، فهم في هذا الفعل من جنس اعدائه لا من جنس اوليائه
وان ظنوا أن هذا من موالاته ومحبته . كما يظن النصراني ان ما هم عليه
من الغلو في المسيح والشرك به من جنس محبته وموالاته ، وكذلك دعاؤهم
وللانبياء الموتى ويظنون ان هذا من محبتهم وانما هو من جنس معاداتهم

ولهذا يتبرأون منهم يوم القيامة . وكذلك الرسول يتبرأ ممن عصاه وان كان قصده تعظيمه والغلو فيه وانك تجد العالم كفين على قبور الأنبياء والصالحين من أبعد الناس عن سيرتهم ومتابعيهم ؛ وانما قصد جمهورهم التأكل والترؤس بهم فيذكرون فضائلهم ليحصل لهم بذلك رئاسة أو مأكلة ، وبعضهم يقول ان قبر الشيخ فلان قبلة الخاصة ، والكعبة قبلة العامة ، ومنهم من يصلي إلى القبر ومنهم يحلف به . وهم قوم لهم عبادة وزهد ودين لكن فيهم جهل وضلال . كما أن رهبان النصارى وغيرهم هم من أزهد الناس واعظمهم اجتهادا في العبادة ، لكن بجهل وضلالة ؛ وقد أمرنا الله عز وجل أن نقول في صلاتنا ﴿ اهْدِنَا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ وعباد القبور قد جعلوا القبور أوتانا ، ويدل على هذا قوله ﷺ « اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد » وهو ﷺ خاف من ذلك فدعا الله أن لا يفعله بقبره . وكل موضع تعظمه الناس غير المساجد ومشاعر الحج فانه مأوى الشياطين ، ويتصورون بصورة بنى آدم احيانا حتى يظن كثير من الناس أنهم من الانس وانهم رجال الغيب ، ويقولون الأربعون والأبدال ؛ والحكايات عنهم في هذا الباب كثيرة ، ولهذا لم يستحب أحد من العلماء زيارة جبل الطور الذي كلم الله فيه موسى عليه السلام ولا جبل ثور ولا غار حراء (ولا جبل أبي قبيس) .

وفي اقتضاء الصراط المستقيم للعلامة ابن تيمية رحمه الله تعالى . ومن

المنكرات سائر الاعياد والمواسم المبتدعة لان كل بدعة ضلالة. وقد قال الله تعالى (ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) فمن ندب الى شئ يتقرب به الى الله تعالى من غير ان يشرعه الله فقد شرع من الدين ما لم يأذن به الله. من اتبعه في ذلك فقد اتخذ شريكا لله (اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله) الى قوله (تعالى عما يشركون) قال عدى بن حاتم رضى الله تعالى عنه للنبي ﷺ يا رسول الله ما عبدوهم قال ما عبدوهم ولكن احلوا لهم الحرام فاطاعوهم وحرموا عليهم الحلال فاطاعوهم. فمن اطاع احدا في دين الله لم يأذن به الله من تحليل وتحريم او استحياب وايجاب فقد لحقه من هذا الذم نصيب. قال الامام احمد وغيره من الائمة رحمهم الله حالى . الاصل ان اعمال الخلق ينقسم الى عبادات وعادات. فالاصل في العبادات ان لا يشرع منها الا ما شرعه الله. والاصل في العادات ان لا يحظر منها الا ما حظره الله. وهذه المواسم المحدثه انما نهى عنها لما حدث فيها من الدين الذى يتقرب به وانما يذم المواسم والاعياد المحدثه لما تشتمل عليه من الفساد فى الدين . واعلم انه لا يدرك كل واحد فساد هذا النوع من البدع لاسباب اذا كان من جنس العبادات المشروعة . بل اولو الالباب هم يدركون بعض ما فيه من الفساد والواجب على الخلق اتباع الكتاب والسنة وهم ان لم يدركوا ما فى ذلك من المصلحة والمفسدة فننبه على بعض مفاسدها. فمن ذلك أن من احدث عملا فى يوم كاحداث صوم اول خميس من رجب . والصلاة فى ليلة تلك الجمعة التى يسميها

الجاهلون صلاة الرغائب مثلاً وما يتبع ذلك من أحداث اطعمة وزينة
وتوسيع في النفقة ونحو ذلك. فلا بد ان يتبع هذا العمل اعتقاد في القلب
وذلك لانه لا بد ان يعتقد ان هذا اليوم افضل من امثاله. وان الصوم فيه
مستحب فيه استحباباً زائداً على الخميس الذي قبله او بعده مثلاً. وان هذه
الليلة افضل من غيرها من الجمع اذ لولا قيام هذا الاعتقاد في قلبه او
في قلب متبوعه لما اتبع القلب لتخصيص هذا اليوم والليلة. فان الترجيح
من غير مرجح ممتنع وذلك لا يعرف الا بالشرع . واعتقاد ما لم يرد فيه
الشرع باطل . فهذه البدع مستلزمة قطعاً لفعل ما لا يجوز اعتقاده
وهذا الاعتقاد يتبعه احوال في القلب من التعظيم والاحلال. وتلك الاحوال
ايضاً باطلة ليست من دين الله. ومن تدبر هذا علم يقيناً ما في حشو البدع
من السموم المضعفة للإيمان .

قال العبد الضعيف الغريب المهاجر محمد سلطان المعصومي الخجندی
وفقه الله تعالى لما فيه رضاه . ان لهذه المسئلة امثلة كثيرة من كل الابواب
من جملتها ان لبعض الادوية خواص ليست في أخرى . ولها درجات
أيضاً انما يعرفها من عرفه الله تعالى ممن تشبث من الاطباء الخذاق .
فيركبون منها الادوية حسب الامراض بعد معرفتها فيعالجونها بها .
فمن تصادف ذلك ربما نفعته . فصارت سبباً للعافية والصحة . واما من
خالف ذلك الطبيب أو ركب هو بنفسه ادوية بلا معرفة حقيقة خواصها
وكيفيةها وربما صار سبباً لهلاك نفسه واهلاك غيره . فان كان الامر هكذا
فليعلم ان العبادات كلها طرق واسباب لاصلاح النفس الانسانية وتركيتها

من الامراض والادناس والاهوية الفاسدة . حتى يكون صاحبها لا ثقا
لقرب الله تعالى الخالق ورضوانه فطرق العبادات الصحيحة انما هي ما يدينه
الذي خلق العالم على لسان رسوله ﷺ فن زاد على هذا او نقص فقد خالف
الخالق الحكيم بتركيبه الادوية من عند نفسه . فربما صار دواءه داء

وعبادة معصية . لان الدين قد كمل تمام الكمال . فن زاد شيئاً فيه
فقد ظن الدين ناقصاً . وهو يكمل باستحسان عقله الفاسد وخياله الكاسد
فياخساره من هذا شأنه فنعوذ بالله من الكفر بعد الايمان ومن الضلال
بعد العرفان . ﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك
رحمة انك انت الوهاب ﴾

ومن جملتها أن الاقفال تكون على اشكال منها ماله سن واحد
ومنها ماله سنان ومنها ماله اسنان ولا ينفتح كل واحد منها الا بمفتاحها الخاص
لها . فلا ينفتح ابداً ماله سن بمفتاح له اسنان : وكذا العكس

فكذا العبادات والطاعات لها اشكال وصور يدينها رسول رب العالمين
احسن بيان . سواء كانت فعلية او قولية مثلاً بين فرض صلاة الفجر
ركعتان والظهر في الحضر اربع وفي السفر اثنان والمغرب ثلاث في كل
الاقوات والركوع في كل ركعة مرة والسجدة مرتان وان التشهد والقعدة
بعد الركعتين وفي الآخر وان مفتاحها التكبير وختمها السلام .
وان القراءة موضعها القيام والتسبيح موضعه الركوع والسجود والتشهد
والدعاء موضعه القعدة . فن اني كما بين وفعل فقد سعد وصار من المقبولين

ومن عكس او زاد او نقص فقد تعدى وظلم وصار من المردودين وكذلك بين ان التسبيح المرغوب فيه بعد الفرض ثلاث وثلاثين فمن اتى به ناقصا وزائدا فهل يكون اتيا بالسنة وينال الفضل الموعود والظاهر لا بل يكون مبتدعا ومخالفا لسنة رسول الله ﷺ وهكذا امثلة تظهر لمن تدبر وتفكر من اولى الالباب فيارب نسألك أن تجعلنا منهم :

قال العلامة ابن تيمية رحمه الله تعالى في ذلك الكتاب ايضا ان العبادة اذا كانت صدقا وصورة فهي مقبولة ومؤثرة واما اذا كانت صورة فقط فللا كفى اجر الاتباع اذا كانت عبادة شرعية والافتراض صاحبها لان البدعة ضلالة فردودة وليس العمل مشروعا حتى يحصل لهم ثواب المتبعين والاستحباب في الافعال واتخاذها ديننا انما ثبت بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما كان عليه السابقون الاولون من الصحابة والتابعين رضی الله تعالى عنهم وما سوى ذلك من الامور المحدثه (اى فى الدين والعبادة) فلا يستحب : وان اشتد احياها على فوائده : لانا نعلم أن مفسده راجحة على فوائدها

وقال الاستاذ المرحوم السيد محمد رشيد رضا فى كتابه الوحى المحمدي ان النصراني ابتلوا بعبادة عيسى عليه السلام . وكذلك بعض المسلمين افقتنوا بعبادة الصالحين بدعائهم فى الشدائد لاعتقادهم انهم يدفعون عنهم الضرر ويحلبون لهم النفع بالتصرف الغيبي الخارج عن سنن الله تعالى فى الاسباب وهو خاص بالرب تعالى . الخ .

وقد ذكر العلامة الفخر الرازى رحمه الله تعالى فى تفسيره قصة فى ان الاستعانة والاستغاثة انما تكون بالله لا بغيره من المخلوقين وان من توكل على الله واستغاث به معتقدا انه القريب البصير القدير ينجو من جميع مخاوف الدنيا والاخرة وهذه قصته روى ان زيدا بن حارثة رضى الله تعالى عنه خرج مع منافق من مكة الى الطائف فبلغ خربة فقال المنافق ندخل ههنا ونستريح فدخلنا ونام زيد فاوثق المنافق زيدا واراد قتله فقال زيد لم تقتلنى قال لان محمدا يحبك وانا ابغضه فقال زيد يا رحمن اغثنى فسمع المنافق صوتا يقول ويحك لا تقتله فخرج من الخربة ونظر فلم ير احدا ورجع واراد قتله فسمع صائحا اقرب من الاول يقول لا تقتله فنظر فلم يجد احدا فرجع الثالث واراد قتله فسمع صوتا قريبا يقول لا تقتله فخرج فرأى فارسا معه رمح فضربه الفارس ضربة فقتله ودخل الخربة وحل وثاق زيد وقال له اما تعرفنى انا جبريل حين دعوت كنت فى السماء السابعة فقال الله عز وجل ادرك عبيدى وفى الثانية كنت فى السماء الدنيا وفى الثالثة بلغت الى المنافق اه . قال المعصومى والله اعلم بحال هذا الخبر .

وقال الرازى رحمه الله تعالى ايضا فى تفسير الآية ان الله تعالى لما تم الكلام فى الصفات المعتبرة فى الربوبية اردفه بالكلام المعتبر فى العبودية فاعلم ان الانسان مركب من جسد وروح والمقصود من الجسد أن يكون آلة للروح فى اكتساب الاشياء النافعة للروح فلا .

جرم كان أفضل أحوال الجسد أن يكون آتياً بأعمال تعين الروح على اكتساب السعادات الروحانية الباقية . وتلك الأعمال هي أن يكون الجسد آتياً بأعمال تدل على تعظيم المعبود وخدمته . وتلك الأعمال هي العبادة فأحسن أحوال العبد في هذه الدنيا أن يكون مواظباً على العبادات . وهذه أول درجات سعادة الإنسان . وهو المراد بقوله ﴿إياك نعبد﴾ وهذا لا يتيسر إلا بتوفيق الله وإعانتة وعصمته فيلتجئ إلى الله تعالى وهو قوله ﴿وإياك نستعين﴾ ويلوح أن الهداية لا تحصل إلا من الله تعالى فيقول ﴿ماهدنا الصراط المستقيم﴾

واعلم أن العبادة عبارة عن الفعل الذي يؤتى به لغرض تعظيم الغير وهو مأخوذ من قولهم طريق معبد أى مذل . فقولك إياك نعبد معناه لا أعبد أحداً سواك . ووجه الحصر أن العبادة عبارة عن نهاية التعظيم وهي لا تليق إلا بمن صدر عنه غاية الانعام . وأعظم وجوه الانعام الحياة التي تفيد المكنة من الانتفاع وخلق المنتفع به . وكل النعم حاصل بإيجاد الله تعالى . فواجب أن لا نحسن العبادة إلا لله تعالى فقوله ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ يدل على أنه لا معبود إلا الله . ومتى كان الأمر كذلك ثبت أنه لا إله إلا الله . فهو يدل على التوحيد الخالص المحض . والمشركون طوائف منهم من أثبت الشريك الجسماني . إما من الأجسام السفلية أو من الأجسام العلوية . كمن يتخذ الأصنام من الأحجار أو الذهب والفضة ويعبدونها . أو من الأشجار أو من الحيوان كما يبدى العجل . أو من

الانسان كمن قال عزيز بن الله والمسيح ابن الله . و بعضهم يعبدون
الاجسام البسيطة كالذين يعبدون النار وهم المجوس . أو يعبدون الشمس
والقمر وسائر الكواكب ويضيفون السعادة والنجاسة اليها . هم
الصابئة واكثر النجمين . ومنهم من يقول أن مدبر العالم هو النور
والظلمة . وهؤلاء المانوية والثنوية وطائفة يعبدون الملائكة والارواح
الفلكية ويتخذون لتلك الارواح صوراً وتماثيل ويعبدونها . وهؤلاء
عبدة الملائكة وطائفة قالوا ان للعالم إلهان أحدهما خير والآخر شر .
وقالوا مدبر هذا العالم هو الله تعالى وإبليس وهما اخوان . فكل ما في
العالم من اخيرات فهو من الله . وكل ما فيه من الشر فهو من إبليس .
فكل من أثبت لله شريكاً فانه لابد وأن يكون مقدماً على عبادة ذلك
الشريك من بعض الوجوه اما طلباً لنفعه أو هرباً من ضرره . وأما
الذين أصرّوا على التوحيد وأبطلوا القول بالشركاء والاضداد ولم يعبدوا
إلا الله . ولم يلتفتوا الى غير الله فكان رجاؤهم منه تعالى وخوفهم منه
تعالى ورغبتهم في الله تعالى ورهبتهم من الله تعالى فلا جرم لم يعبدوا
إلا الله . ولم يستعينوا إلا بالله فلماذا قال ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾
فكان قوله ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ قائماً مقام قوله لا إله إلا الله
واعلم أن ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ يدخل فيه الذكر المشهور .
سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر . ولا حول ولا قوة إلا
بالله العلي العظيم . ولا شك أنه لا يتم مقصود من المقاصد وغرض من
الاعراض إلا بإعانة الله تعالى وتوقيقه وإحسانه . وانما قال إياك نعبد ولم

يقول نعبدك لانه لو قال نعبدك لم يفد نفى عبادتهم لغيره لانه لا امتناع من ان يعبدوا الله ويعبدوا غير الله كما هو دأب المشركين . واما لما قال ﴿ اياك نعبد ﴾ افاد انهم يعبدونه ولا يعبدون غير الله . والعبادة لا تجوز لغير الله ابداً . ولا يتيسر ذلك الا بهداية الله وتوفيقه .

نكتة مهمة . ان ﴿ الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين ﴾ كله مذكور على لفظ الغيبة ﴿ و اياك نعبد و اياك نستعين ﴾ انتقال من الغيبة الى الخطاب . فما الفائدة فيه وما النكتة فيه . فالجواب ان المصلي لما حمد الله واثني عليه كأنه تقرب به اليه تعالى . فلما تقرب شرع يسأله . فأحسن السؤال ما وقع على سبيل المشافهة بلا واسطة . الا ترى ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام لما سألو ربهم شافهوه بالسؤال فقالوا ربنا ظلمنا انفسنا . ورب اغفر لنا . ورب هب لي . ورب ارني والسبب فيه أن الرد من الكريم على سبيل المشافهة والمخاطبة بعيد . فالدعاء والطلب في الحضر أولى .

قوله تعالى ﴿ و اياك نستعين ﴾ أى لا أريد في الاعانة غيرك لا جبريل ولا ميكائيل بل أريدك وحدك . واقتدى في هذا الباب بالخليل عليه الصلاة والسلام . لانه لما قيد عمرود رجله ويديه ورماه في النار وجاءه جبريل عليه السلام وقال هل لك من حاجة فقال أما اليك فلا . فقال سلمه . فقال حسبي من سؤالي علمه بحالي . فلا استعين بغيرك لان ذلك الغير لا يمكنه اعانتى الا اذا اعنته على تلك الاعانة . فاذا كانت

اعانة الغير لا تتم الا باعانتك فلنقطع هذه الوسيلة ولنقصر على اعانتك الخ
قال العلامة ولي الله الدهلوي في كتاب حجة الله البالغة . ان أصل
أصول البر وعمدة انواعه هو التوحيد . وذلك لانه يتوقف عليه الاخبات
لرب العالمين الذي هو أعظم الاخلاق الكاسبة للسعادة . وهو أصل
التدبير العلمى الذى هو أفيد التدبيرين . وبه يحصل للانسان التوجه التام
تلقاء الغيب ويستعد نفسه للحوق به بالوجه المقدس وقد نبه النبي ﷺ
على عظم أمره . وكونه من أنواع البر بمنزلة القلب اذا صلح صلح الجميع
واذا فسد فسد الجميع . حيث أطلق القول فيمن مات لا يشرك بالله شيئاً
انه دخل الجنة . وحكى عن ربه تبارك وتعالى « من لفنى بقرب
الارض خطيئة لا يشرك بالله شيئاً لقينته بمثلها مغفرة » واعلم ان للتوحيد
أربع مراتب احداها حصر وجوب الوجود فيه تعالى فلا يكون غيره
واجباً . والثانية حصر خلق العرش والسموات والارض وسائر الجواهر
فيه تعالى . وهاتان المرتبتان لم تبحث الكتب الالهية عنهما . ولم يخالف
فيهما مشركوا العرب ولا اليهود ولا النصارى بل القرآن العظيم ناص
على انها من المقدمات المسلمة عندهم . والثالثة حصر تدبير السموات
والارض وما بينهما فيه تعالى . والرابعة انه لا يستحق غيره العبادة . وهما
متشابتان متلازمتان لربط طبيعى بينهما . وقد اختلف فيهما طوائف
من الناس . معظمهم ثلاث فرق . النجومون ذهبوا الى ان النجوم تستحق
العبادة . وان عبادتها تنفع في الدنيا . ورفع الحاجات اليها حق . وزعموا

ان لها نفوساً فبنوا لها الهياكل على اسمائها وعبدوها . والفرقة الثانية
المشركون . وهم وافقوا المسلمين في ان الله تعالى يدبر الامور العظام .
ولكنهم خالفوهم فذهبوا الى ان الصالحين من قبلهم عبدوا الله وتقربوا
اليه فاعطاهم الله الالوهية فاستحقوا العبادة من سائر الخلق . كما ان الملك
الملوك تخدمه عبده فيحسن خدمته فيعطيه خدمة الملوك ويفوض اليه
تدبير بلد من بلاده فيستحق السمع والطاعة من أهل ذلك البلد . وقالوا
لا تقبل عبادة الله الا مضمودة بعبادتهم . بل الحق في غاية التعالي فلا
تفيد عبادته تقربا اليه . بل لا بد من عبادة هؤلاء ليقتربوا الى الله زلفى
وقالوا ان هؤلاء يسمعون ويبصرون ويشفعون لعبادهم ويدبرون أمورهم
وينصرونهم . فنحتوا على اسمائهم احجاراً وجعلوها قبلة عند توجههم الى
هؤلاء . ولذلك رد الله عليهم تارة بالتشبيه على ان الحكم والملك له خاصة
وتارة ببيان انها جمادات . والفرقة الثالثة النصارى زعموا على ان
المسيح قربا من الله وعالوا على الخلق فلا ينبغي ان يسمى عبداً بل يناسب
ان يسمى بابن الله . فرد الله عليهم تارة بانه لاصاحبة له . وتارة بانه بديع
السموات والارض انما أمره اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون
وهذه الفرق الثلاث لهم دعاوى عريضة وخرافات كثيرة لا تخفى على
المتتبع . وعن هاتين المرتبتين بحث القرآن العظيم : ورد على الكافرين
شبهتهم رداً مشيعاً .

وأما حقيقة الشرك فاعلم ان العبادة هي التذلل الافرص وهي لا تليق
الا لله الرب الرحيم . والمبتلون بمرض الشرك اعصاب . منهم من نسي

جلال الله بالكلية فجعل لا يعبد الا الشركاء ولا يرفع حاجته الا اليهم
لا يلتفت الى الله اصلا وان كان يعلم ان سلسلة الموجودات تنصرم الى الله
تعالى ومنهم من يعتقد ان الله هو السيد وهو المدير لكنه قد يخلع على
بعض عبيده لباس الشرف والتأله ويجعله متصرفا في بعض الامور الخاصة
ويقبل شفاعته في عبادته بمنزلة ملك الملوك يبعث على كل قطر ملكا
ويقلده تدير تلك المملكة فيما عدا الامور العظام وهذا مرض جمهور اليهود
والنصارى والمشركين وبعض الغلاة من منافقي دين محمد صلى الله تعالى
عليه وسلم يومنا هذا ولما كان مبنى التشريع على اقامة المظنة مقام
الاصل عد اشياء محسوسة هي مظان الشرك كفرا سجدة الاصنام
والذبح لها والحلف باسمها وامثال ذلك .

وحقيقة الشرك ان يعتقد الانسان في بعض المعظمين من الناس
ان الاثار العجيبة الصادرة منه انما صدرت لكونه متصفا بصفة من
صفات الكمال الالهى مما لم يعهد في جنس الانسان بل يختص بالواجب
جل مجده لا يوجد في غيره الا ان يخلع هو خلعة الالهية على غيره
او يفنى غيره في ذاته ويبقى بذاته او نحو ذلك مما يظنه هذا المعتقد من
انواع الخرافات كما ورد في الحديث ان المشركين كانوا يلبون بهذه
الصيغة . (لبيك لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما لك)
فيتذلل عنده اقصى التذلل ويعامل معه معاملة العباد مع الله تعالى وهذا
معنى له اشباه وقوالب والشرع لا يبحث الا عن اشباحه وقوالبه التي
بأشرها الناس بنية الشرك حتى صارت مظنة للشرك ولازماله في

العادة ونحن نريد ان ننبهك على امور جعلها الله تعالى في الشريعة
المحمدية مظنات للشرك فمنها فنهي عنها فمنهم كانوا يسجدون للاصنام
والنجوم فجاء النهي عن السجدة لغير الله تعالى قال الله تعالى (لا
تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن) والاشراك في
السجدة كان متلازما للاشراك في التدبير كما اومأنا اليه ومنها انهم كانوا
يستعينون بغير الله في حوائجهم من شفاء المريض وغناء الفقير
وينذرون لهم يتوقعون انجاح مقاصدهم بتلك النذور ويتلون اسماءهم
رجاء بركتها فوجب الله تعالى عليهم ان يقولوا في صلاتهم (اياك نعبد
واياك نستعين) وقال تعالى (فلا تدعوا مع الله احدا) وليس المراد
من الدعاء العبادة كما قاله بعض المفسرين بل هو الاستعانة لقوله تعالى
(بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون)

ومنها انهم يتخذون احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله تعالى
بمعنى انهم كانوا يعتقدون ان ما احله هؤلاء حلال لا بأس به في نفس
الامر . وان ما حرمه هؤلاء حرام يؤاخذون به في نفس الامر
قلت فعلا هذا فكل من يعتقد حرمة الاشارة بالمسبحة في تشهد الصلاة
فيتركها كماكثر أهل بخارى والتركستان والهند والافغانستان وبعض
مجاوري الحرمين فهم مستحقون الوعيد الشديد لانهم اتخذوا صاحب
كتاب خلاصة الكيداني ونحوه اربابا من دون الله .

حتى اني رأيت في مدينة الرسول ومسجده ﷺ عام (١٣٥٤) أنفارا
من البخاريين المجاورين المدعين الزهد والتقوى قد تركوا الاشارة .

فلما ذهبهم قالوا انها حرام في مذهب الامام الاعظم ابي حنيفة رحمه الله تعالى فلهذا لا يفعلها أهل بخارى شريف . فانظروا الى احوال الناس الى ابن وصل . وحتى انى كنت عام (١٣٥٥) هـ أقرر أحاديث صحيحى البخارى ومسلم فى المسجد الحرام فى الدرس العام ، وقررت انه لا يجوز اعتقاد علم الغيب المخلوق ما . وانه لا يجوز الاستمداد والاستعانة من أرواح المشائخ ولا النذر اليها . فقال رجل من جهلة المجاورين البخاريين وهو من الزهاد عندهم . نحن نعتقد خلفا عن سلف أنه يجوز الاستمداد من الارواح وخصوصا روح الشيخ عبد القادر الجيلانى الذى سماه الله تعالى غوثا اعظم . فقلت له اخطأت وافتريت على الله تعالى فارجع عما قلت واعتقدت . فاصر مكرراً كلامه فى مشهد من الجماعة ان الله سماه (الغوث الاعظم) فتبته ثانيا واقهمته بذكر دلائل كثيرة . وقلت ارجع وتب ولا تقتر على الله والا فتكفر ولم يتب ولم يرجع ولكن فارقتى مصرأعلى حاله فانظروا يا اخوانى المؤمنين العقلاء الى أين بلغت الجهالة والضلالة . فانا لله ، وانا اليه راجعون .

قال العلامة ولى الله الدهلوى رحمه الله تعالى أيضا . وسر ذلك ان التحليل والتحریم عبارة عن تكوين نافذ فى الملكوت ان الشئ الفلانى يؤخذ به أولا يؤخذ به . فيكون هذا التكوين سببا للمؤاخذة وتركها وهذا من صفات الله تعالى .. ومنها انهم كانوا يتقربون الى الاصنام والنجوم بالذبح لاجلهم فهوا عن ذلك . . ومنها انهم كانوا يعتقدون فى

اناس ان اسمائهم مباركة معظمة . وكانو يعتقدون ان الحلف باسمائهم على الكذب يستوجب حرمانا في ماله وأهله فلا يقدمون على ذلك . ولذلك كانوا يستحلفون الخصوم باسماء الشركاء بزعمهم . فنهوا عن ذلك . ومنها لحج لغير الله تعالى وذلك أن يقصد مواضع متبركة مختصة بشركائهم يكون الحلول بها تقربا من هؤلاء فنهى الشرع عن ذلك . وقد قال ﷺ لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى » الحديث في الصحاح .

قال الجامع المعصومي وفقه الله تعالى لما فيه رضاه . ان للحج لغير الله أمثلة كثيرة اتبلى به عامة الجاهلة بل من هو في زى العلماء والصلحاء كحج أهل ماوراء النهر الى زيارة قبر بهاؤ الدين النقشبند في بخارى والطواف به والنذر له وكحجهم الى يسى لزيارة قبر وخلوة (الخواجه احمد اليسوى) وكحجهم الى أوش وقولهم انها (تحت سليمان عليه السلام وكعبة عجم أو مكة عجم .) وكحجهم الى مزار شريف في افغانستان وكحجهم الى اجير في بلاد الهند وكحجهم الى كربلاء وبغداد وكحج طائف وادعا من مسامى الصدين التونسكان الى شا كورا . وأمثال ذلك كثيرة ومشهورة في عامة أنحاء العالم الاسلامي أسأل الله تعالى أن ينور بصيرة لمسلمين ويوفقهم لما فيه سعادتهم في دينهم ودنياهم

وفي الحجة البالغة أيضا ، ومن اعتقادات الجاهلية وان قالوا بانه لا شريك له في خلق السموات والارض الخ ، ولا راد لحكمه ولا مقعب

لقضائه ، ولكن من زندقتهم قولهم ان هنالك أشخاصاً من الملائكة والارواح تدبر أهل الارض فيمادون الامور العظام من اصلاح حال العابد فيما يرجع الى خويصة نفسه واولاده وأمواله ؛ وشبهوهم بحال الملوك بالنسبة الى ملك الملوك ؛ وبحال الشفعاء والندماء بالنسبة الى السلطان المتصرف بالجبروت ، وقاسوا الغائب على الشاهد ، وقاسوا القادر العليم على العاجز الجاهل ، وهذا هو الفساد

قال العبد الضعيف الجامع المعصومي حفظه الله تعالى بلطفه ، فالاله هو الله ، والخالق القادر الرب الرحيم هو الله ، والمعبود المستحق للعبادة هو الله ، والمعين المستعان هو الله عز وجل ، وقد دلت الآيات على ذلك كما اذ كر لك نبذة منها تذكرة لك ، وقد قال الله تعالى في سورة البقرة ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فَرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ وقال تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ وفي سورة الاعراف ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا ؛ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مَوْسَىٰ اجْعَلْ

لنا آلهما كآلهم آلهة قال انكم قوم تجهلون ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون قال أغير الله أبغىكم آلهما وهو فضلكم على العالمين ، والله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه ، سيجزون ما كانوا يعملون ﴿١﴾ قال العبد الضعيف فادعوا الله تعالى واطلبوا منه قضاء الحاجات وتوسلوا اليه بأسمائه الحسنى فهذا هو التوسل المأمور به المشروع شرعا والمقرون بالإجابة ، واتركوا ما سواه مما ترغمونه توسلا من ذكر أسماء المخلوقين ولو جبريل والانبياء أو أى شئ ، لانه الحاد وكفر وكذا قولهم بحاجه النبي أو بحاجه نبيك سيدنا محمد ﷺ فانه من الاحاد فى السؤال ، ولا يشك مسلم ان للنبي ﷺ جاها عظيما عند الله تعالى ولكن لم يأمر الله ولا رسوله ﷺ أن نسأل الله بحاجه ، ولم يثبت عن احد من الصحابة أو التابعين لهم باحسان أو احد من السلف الصالحين رضى الله تعالى عنهم انه سأل الله بحاجه النبي ﷺ ولا شك ان ما لم يفعله هؤلاء فهو بدعة ، وحكم البدعة فى العبادة معلوم وهو الضلالة ، فيا إخواني أما يسعنا ما وسعه الصحابة والسلف الصالحين رضى الله تعالى عنهم ؛ حتى نخرج عن جاداتهم ونزيد عليهم أشياء استحسنانا بقولنا السخيفة : أهو ائنا الرديئة اللهم سامنا وسلم ديننا يرحمك وقد قال الله تعالى خطابا لرسوله ﷺ (قل لا املك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مرنى بالسوء ان انا الانذير وبشير لقوم يؤمنون هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم فادعوهم فليستجيئوا اليكم ان كنتم صادقين

والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون) قال
العبد الضعيف فالذين يقولون يا شيخ عبد القادر الجيلاني الغوث الاعظم
المدد او اغثنا او ادفع عنا كذا والذين يقولون يا على يا حيدر ويا اسد الله
المدد او كذا والذين يقولون يا رسول الله المدد او شفاعتك او كذا وكذا
والذين يقولون يا بهاء الدين النقشبند بلا كردان ادفع عنا البلاء يا داغ
البلاء . وكذا الذين يقولون يا رفاعى او يا مجذوب او يا فلان كلهم يدعون
من دون الله عبادا امثالهم وهم لا يستطيعون شيئاً . فقد خسر هؤلاء
القائلون خسرانا مبيناً . نسأل الله العفو والمهذابة .

وفى آخر سورة التوبة (فان تولوا فقل حسبي الله . لا اله الا هو
عليه توكلت وهو رب العرش العظيم) وفى سورة يونس (قل يا ايها
الناس ان كنتم فى شك من دىنى فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله
واكن اعبد الله الذى يتوفاكم وامرت ان اكرن من المؤمنين وان اقم
وجهك للدين حنيفاً ولا تكونن من المشركين . ولا تدع من دون الله
مالا ينفعك ولا يضرك . فان فعلت فانك اداً من الظالمين . وان يمسسك
الله بضر فلا كاشف له الا هو . وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب
به من يشاء من عباده . وهو الغفور الرحيم .

وفى سورة هود (كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير
الاتعبدوا الا الله انى لكم منه نذير وبشير . وان استغفروا ربكم ثم توبوا
اليه يمتعكم متاعا حسنا الى اجل مسمى ويؤت كل ذى فضل فضله وان
تولوا فانى اخاف عايكم عذاب يوم كبير الى الله مرجعكم وهو على كل

شئاً قد ير ولقد ارسلنا نوحا الى قومه انى لكم نذير مبين ان لا تعبدوا الا الله انى اخاف عليكم عذاب يوم اليم والى عاد اخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ان اتم الا مفترون. يا قوم لا أسئلكم عليه أجراً ، ان اجرى الا على الذى فطرني ، افلا تعقلون ، ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوةً الى قوتكم ولا تتولوا مجرمين ، قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلھتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين ، ولى ثمود اخاهم صالحا ، قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ، هو انشأكم من الارض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه . ان ربي قريب مجيب ، قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجواً قبل هذا أتنهانا ان نعبد ما يعبد آباؤنا واننا لفي شك مما تدعونا اليه مريب ، ولى مدين اخاهم شعيباً ، قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ، ولا تنقصوا لكم كَيْسَالِ والميزان انى أراكم بخير وانى اخاف عليكم عذاب يوم محيط . والله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله . فاعبدوه وتوكل عليه وماربكم بغافل عما تعملون ﴿

وقد ظهر من هذه الآيات ان كل الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام دينهم التوحيد ودعوة الناس اليه مع توحيد العبادة لله وحده والتحذير من الاشراك بوجه من الوجوه فمن يخالف فيه فهو خارج عن الحق الذى جاؤا به . ومن جملتهم يوسف عليه السلام فانه قال كما فى سورة يوسف ﴿ انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون . واتبع ملة آباى ابراهيم واسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شئ .

ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون .
ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان
إن الحكم إلا لله . أمر أن لا تعبدوا إلا إياه . ذلك الدين القيم . ولكن
أكثر الناس لا يعلمون . وكأين من آية في السموات والأرض يعبرون
عليها وهم عنها معرضون . وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون . قل
هذه سبيلي ادعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني . وسبحان الله وما
أنا من المشركين .

وفي سورة الرعد ﴿ قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به .
إليه ادعوا وإلى ما ب ﴿ وفي سورة النحل ﴿ والذين يدعون من دون الله
لا يخلقون شيئا وهم يخلقون . أموات غير أحياء . وما أشعرون إيات
يبعثون الحكم اله واحد . فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم
مستكبرون . ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا
الطاغوت . فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة . فسيروا
في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين . وقال الله لا تتخذوا
الهيئتين اثنتين . انما هو اله واحد . فإياي فارهبون وله ما في السموات والأرض
وله الدين واصبا أفغير الله تتقون . وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم
الضر فإليه تجثرون ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم يرميهم يشركون
أن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين . شاكرا لا نعمه
اجتباة وهداه إلى صراط مستقيم . وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة
لن الصالحين . ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان

وفي سورة الاسراء ﴿ لا تجعل مع الله الها آخر فتقدم مذمو ما مخذولا
وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما بينا عندك
الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا
كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني
صغيرا . وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم
يكن له ولي من الدن وكبره تكبيراً ﴾

وفي آخر سورة الكهف ﴿ قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى انما
الهمكم اله واحد . فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك
بعباد قر به أحداً ﴾ وفي سورة مريم قال عيسى على نبينا وعليه الصلوات
والتسليمات

﴿ وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ﴾ وفي سورة طه
﴿ الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى . اني انا الله لا اله الا انا فاعبدني .
وأقم الصلاة لذكري . إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس
بما تسعى . انما إلهكم الله الذي لا اله الا هو . وسع كل شيء علماً ﴾ وفي
سورة الانبياء ﴿ لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا . فسبحان الله رب العرش
عما يصفون . لا يستل عما يفعل وهم يسئلون . أم اتخذوا من دونه آلهة .
قل هاتوا برهانكم . هذا ذكر من معي وذكر من قبلي . وما أرسلنا من
قبلك من رسول الا نوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون ﴾ وقال ابراهيم
على نبينا وعليه الصلاة والسلام ﴿ قال أفتعبدون من دون الله مالا
ينفعكم شيئا ولا يضركم . أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون .

وذا النون إذ ذهب مغاضياً فظن أن لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات
أن لا اله إلا أنت سبحانك أنى كنت من الظالمين فاستجبنا له
وننجيناه من الغم وكذلك نتجى المؤمنون أن هذه أمتكم أمة واحدة
وأنا ربكم فاعبدون . قل إنما يوحى إلى أنما ألهم الله واحد . فهل أنتم
مسلمون . قال رب احكم بالحق . وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون ﴿
وفى سورة الحج ﴿ فآلهكم الله واحد فله أسلموا . وبشر المخبتين .
الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم . والصابرين على ما أصابهم والمقيمين
الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . ويعبدون من دون الله مالم ينزل به
سلطاناً وما ليس لهم به علم وما للظالمين من نصير يا أيها الناس
ضرب مثل فاستمعوا له أن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً
ولو اجتمعوا له . وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف
الطالب والمطلوب . ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوى عزيز
يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم
تفلحون وجاهدوا فى الله حق جهاده . هو اجتباكم وما جعل عليكم
الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل . واعتصموا
بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير ﴿ وفى سورة المؤمنون
﴿ ولقد أرسلنا نوحاً الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله
غيره أفلا تتقون . فأرسلنا فيهم رسولا منهم أن اعبدوا الله ما لكم من اله
غيره أفلا تتقون فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش
الكريم ومن يدع مع الله الهاً آخر لا يرهان له به فاتما حسابه عند ربه
نه لا يفلح الكافرون وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين ﴿

وفي سورة الشعراء ﴿وَتِلْ عَلَيْهِمْ نَبَأُ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لَإِيَّاهُ وَقَوْمُهُ مَا تَعْبُدُونَ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْزِلُ فَعَلَيْكُمْ كُفْرُكُمْ قَالِ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يُضَرُّونَ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ قَالَ أَفَأَنتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ . أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ أَتَقْدَمُونَ . فَهُمْ عَدُوٌّ لِيَ الْإِلَهِ الْعَالَمِينَ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ وَالَّذِي هُوَ يُضْعِفُنِي وَيُغْفِرُنِي وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَاشْفِينِي وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِي وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿

وفي سورة النمل ﴿إِنَّمَا أَمَرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّتِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَإِنْ أَتَلَوْا الْقُرْآنَ فَهُمْ يَنْفِرُونَ فَاغْمِزْ فِيهِمْ تَلْمِزًا لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرَ بَيْنَ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿ وفي سورة القصص ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿

وفي سورة العنكبوت ﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذَا قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ . ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ أَفْكَارًا . إِنْ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا . فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ . وَإِلَى حُدُودِ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا . فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ . وَلَا

تعثوا في الارض مفسدين . يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة
فإياي فاعبدون ﴿

وفي سورة لقمان ﴿ واذا قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله
ون الشرك لظلم عظيم يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر
صبر على ما أصابك . ان ذلك من عزم الامور ولا تصعر خدك
س ولا تمش في الارض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور
واقصد في مشيك واغضض من صوتك ان أنكر الاصوات لصوت
الحمير ﴿ وفي سورة الاحزاب ﴿ وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا ﴿ وفي
سورة فاطر ﴿ ذاكم الله ربكم له الملك . والذين تدعون من دونه
لا يملكون من قطمير . ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا
ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل
خير يا أيها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد ﴿

وفي سورة يس ﴿ ومالي لا أعبد الذي فطرني واليه ترجعون .
أأنتخذ من دونه آلهة . إن يردني الرحمن بضر لا تغني عني شفاعتهم شيئا
ولا ينقذون إني اذا لفي ضلال مبين اني آمنت بربكم فاسمعون . ألم أعهد
اليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان . انه لكم عدو مبين . وان اعبدوني
هذا صراط مستقيم ولقد أضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا
تعقلون ﴿

وفي سورة الزمر ﴿ إنا أنزلنا الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له
الدين . ألا لله الدين الخالص . والذين اتخذوا من دونه أولياء . ما نعبدهم .

الا ليقربونا الى الله زافى إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه مختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار . أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله فما له من هاد . ومن يهد الله فما له من مضل أليس الله بعزيز ذى انتقام ؟

وفي سورة زخرف ﴿ وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه انى براء مما تعبدون الا الذى فطرنى فانه سيهدين وجعلها كلمة باقية فى عقبه لعلهم يرجعون ﴾ وفي سورة الاحقاف ﴿ ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون ، واذا حشر الناس كانوا لهم اعداءً وكانوا بعبادتهم كافرين ﴾ وفي سورة الذاريات ﴿ واذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين ، وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ﴾ وفي سورة التغابن ﴿ الله لا اله الا هو ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ وفي سورة الليل ﴿ وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ، ولسوف يرضى ﴾ .

وفي سورة البينة ﴿ وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، وذلك دين القيمة ، وذلك لمن خشى ربه ﴾ وتام سورة الكافرون والاخلاص والمعوذتين ؛ فكل هذه الآيات وغيرها تدل دلالة ظاهرة ان أس الاساس هو توحيد العبادة واخلاص العمل لله رب العالمين . وان عبد غيره أو اعتمد وتوكل على غيره فهو من الهالكين . فتدبروا يا أيها العقلاء وتفكروا يا أيها النبلاء ، ولا تضيعوا عقولكم التى هى منحة ونعمة من الله رب العالمين . وقد قال الله

عز وجل ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ، أَفَلَا تَبْصُرُونَ ، أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ فمن ترك التعقل والتفكير والتبصر والتدبر، وفقد الآباء والمشائخ وكتب الاموات الغير المعصومين . فقد ضل ضلالاً مبيناً . واستحق غضب الله ولعنته فكان من الهالكين . كغالب من شاهدناه من اليهود والنصارى والمجوس والهندوس والبوذية والاحبار والرهبان وعباد القبور وسدنة الضرائح ومشائخ الطرق البدعية والقراء الفسقة والعلماء الدجاجة . فانتبهوا يا أيها الغافلون . وفقى الله عز وجل واياكم للعقيدة الصحيحة والاعمال الصالحة النافعة في الدنيا والآخرة . وميزان ذلك كتاب الله القرآن الذى بين أيدينا ، وسنة سيدنا محمد رسول الله ﷺ الثابتة المصروفة المدونة في الكتب المشهورة كالصحيح الستة وغيرها . هذا هو الامر والباقي من العبث

فصل

فى وجوب توحيد العبادة

واعلم انى وان حررت آنفاً خلاصة المسائل المتعلقة به ولكن بدأ لى الآن ان أفصل تفصيلاً . أيضاً للمقام وتبييناً للمرام . لكون المسألة مهمة جداً . فاقول لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . وحسبى الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير . قال الله عز وجل فى سورة البقرة ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ، الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ قال الجلال ﴿ اعْبُدُوا ﴾ وحدوا ﴿ تَتَّقُونَ ﴾ بعبادته عقابه ﴿ أَنْدَادًا ﴾ شركاء فى العبادة

قال البغوي ﴿اعبدوا﴾ وحدوا . قال ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما كل ما ورد في القرآن من العبادة فعناها التوحيد ﴿أنداداً﴾ أمثالا
تعبدونهم كمعبادة الله .

قال العلامة العباد ابن كثير في تفسير الآية : شرع تعالى في بيان
وحدانية الوهيته . بانه تعالى هو المنعم على عبده باخراجهم من العدم إلى
الوجود ، واسباغه عليهم النعم الظاهرة والباطنة بان جعل لهم الارض فراشاً
الخ . فهو الخالق الرازق مالك الدار وساكنها ورازقهم . فهذا يستحق
أن يعبد وحده ولا يشرك به غيره ولهذا قال ﴿فلا تجعلوا لله أنداداً وانتم
تعلمون﴾ وفي الحديث لا يقولن احدكم ماشاء الله وشاء فلان . ولكن
ليقل ماشاء الله ثم شاء فلان (وخطب رسول الله ﷺ فقال « أما بعد
فلا تقولوا ماشاء الله وشاء محمد . ولكن قلوا ماشاء الله وحده » وهكذا
رواه بن مردويه في تفسير هذه الآية وكذا ابن ماجه وعن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما قال قال رجل للنبي ﷺ ماشاء الله وما شئت فقال
« أجعلتني لله ندأ » قل ماشاء الله وحده . رواه النسائي وابن ماجه .
وهذا كله صيانة وحماية لجناب التوحيد والله أعلم . وعن ابن عباس رضي
الله عنهما انه قال ﴿فلا تجعلوا لله أنداداً﴾ الانداد الشرك اخفى من
ديب النمل على صفاء سوداء في ظلمة الليل . وهو ان يقول والله وحياتك
يا فلان وحياتي . ويقول لولا كلبة فلان لاتان اللصوص البارحة . وقول
الرجل لصاحبه ماشاء الله وشئت . وقول الرجل لولا الله وفلان . لاتجعل
خيها فلان هذا كله به شرك .

وقد روى أحمد في مسنده في حديث طويل عن الحارث الأشعري
رضي الله تعالى عنه أنه قال إن نبي الله ﷺ قال « إن الله تعالى أمر يحيى
ابن ذكريا عليه السلام بخمس كلمات أن يعمل بهن وأن يأمر بني إسرائيل
أن يعملوا بهن . إلى أن قال فجمع بني إسرائيل ذلك الله وأثنى عليه ثم
قال إن الله أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن وأمركم أن تعملوا بهن :
أولهن أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً . فإن مثل ذلك كمثل رجل
اشترى عبداً من خالص ماله بورق أو ذهب فجعل يعمل ويؤدى غلته
إلى غير سيده فأيكم يهره أن يكون عبده كذلك : وإن الله خلقكم ورزقكم
فاعبدوه ولا تشركوا به شيئاً . وأمركم بالصلاة فإن الله ينصب وجهه لوجه
عبده ما لم يلتفت فإذا صليتم فلا تلتفتوا . الحديث وهذه الآية دالة على
توحيد الله تعالى بالعبادة وحده لا شريك له . وقد استدل به كثير من
المفسرين كالرازي وغيره على وجود الصانع تعالى . وهي دالة على ذلك
بطريق الأولى :

وكذا ذكره الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد ونصه
قال الله تعالى ﴿ فلا تجعلوا لله انداداً وأنتم تعلمون ﴾ قال ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما الانداد هو الشرك أخفى من ديب النمل على صفاء
سوداء في ظلمة الليل وهو أن تقول والله وحياتك يا فلان وحياتي : وتقول
لولا كلبة هذا لاتانا اللصوص : لولا البط في الدار لاتانا اللصوص :
وتقول الرجل لصاحبه ماشاء الله وشئت . وقول الرجل لولا الله وفلان
وهذا كله به شرك . رواه ابن أبي حاتم وعن عمر بن الخطاب رضي الله

تعالى عنه ان رسول الله ﷺ قال « من حلف بغير الله فقد أشرك » رواه الترمذى وحسنه وصححه الخاء كم : وقل ابن مسعود رضى الله تعالى عنه « لان أحلف بالله كاذبا احب الى أن أحلف بغيره صادقا » وعن حذيفة رضى الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال « لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان » رواه ابوداود بسند صحيح . وجاء عن ابراهيم النخعي رحمه الله تعالى انه يكره اعوذ بالله وبك . ويجوز أن يقول أعوذ بالله ثم بك . قال ويقول لولا الله ثم فلان . ولا تقولوا لولا الله وفلان . وروى النسائي وصححه عن قتيلة رضى الله عنه ان يهوديا اتى النبي ﷺ فقال انكم تشركون تقولون ما شاء الله وشئت وتقولون والكعبة . فامرهم النبي ﷺ اذا أرادوا ان يحلفوا أن يقولوا ورب الكعبة . وأن يقولوا ما شاء الله فشئت . وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان رجلا قال للنبي ﷺ ما شاء الله وشئت . فقال اجعلتنى لله ندا قل ما شاء الله وحده . ولا بن ماجه عن الطفيل اخى عائشة لامها رضى الله عنهما قال رأيت كائى أتيت على نفر من اليهود قلت انكم لا اتم القوم لولا انكم تقولون عزيز ابن الله . وقالوا وانتم لا اتم القوم لولا انكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد . ثم صرحت بنفر من النصارى فقلت انكم لا اتم القوم لولا انكم تقولون المسيح ابن الله . قالوا وانتم لا اتم القوم لولا انكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد . فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت . ثم أتيت النبي ﷺ فاخبرته . قال هل أخبرت بها احدا . قلت نعم قال فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال أما بعد فان طفيل رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منك

وانكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا ان انها كم عنها، فلا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد ؛ ولكن قولوا ما شاء الله وحده ، فيه قوله ﷺ أجملتني لله ندأ ، فكيف بمن قال «يا أكرم الخلق مالى من ألؤذبه سواك» والبيتين بعده الخ .

وفى كشف الشبهات له ، أعلم رحمتك الله ان التوحيد هو افراد الله سبحانه بالعبادة ، وهو دين الرسل الذين أرسلهم الله تعالى الى عباده، كنوح عليه السلام أرسله الله تعالى الى قومه لما غلوا فى الصالحين ود وسواع ويعوق ويعوق ونسرا ، وآخر الرسل محمد ﷺ وهو الذى كسر صور هؤلاء الصالحين، أرسله الله تعالى الى أناس يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله كثيراً ، ولكنهم يجعلون بعض المخلوقين وسائط بينهم وبين الله يقولون نريد منهم التقرب الى الله ونريد شفاعتهم عنده مثل الملائكة وعيسى ومريم وأناس غيرهم من الصالحين. فبعث الله محمداً ﷺ يحدد لهم دين أبيهم ابراهيم عايله السلام ويخبرهم ان هذا التقرب والاعتقاد محض حق الله تعالى لا يصلح منه شيء لا لملك مقرب ولا نبي مرسل فضلاً عن غيرها ، والا فهؤلاء المشركون مقرون يشهدون ان الله هو الخالق الرازق وحده لا شريك له وانه لا يرزق الا هو ، ولا يحيى ولا يميت الا الله . ولا يدبر الامر الا هو ؛ وان جميع السموات السبع ومن فيهن والارضين ومن فيهن كلهم عبيده وتحت تصرفه وقهره ، فان أردت الدليل على ان هؤلاء المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يشهدون بذلك فاقراً قوله تعالى ﴿ قل من يرزقكم من السماء والارض امن بملك السمع والا بصر ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن

يدبر الامر ، فسيقولون الله ، فقل أفلا تتقون ﴿ ١٠٠ ﴾ وقل لمن الارض
ومن فيها ان كنتم تعلمون ، سيقولون لله قل أفلا تذكرون . الى فاني
تسهرون ﴿ ١٠١ ﴾ فاذا تحققت انهم مقرون بهذا ولم يدخلهم في التوحيد الذي
دعاه اليه رسول ﷺ ، وعرفت ان التوحيد الذي جحدوه هو توحيد
العبادة الذي يسميه المشركون في زماننا الاعتقاد ، وان رسول الله ﷺ
قاتلهم على هذا الشرك ، ودعاهم الى إخلاص العبادة لله وحده ، وتحققت
ان رسول الله ﷺ قاتلهم ليكون الدعاء كله لله ، والذبح كله له . والنذر
كله له والاستغاثة كلها بالله وجميع أنواع العبادة كلها له ، وعرفت ان
اقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الاسلام ؛ وان قصدهم الملائكة
والانبياء أو الاولياء يريدون شفاعتهم واتقرب الى الله بذلك هو الذي أحل
دمائهم وأموالهم ، وعرفت حينئذ التوحيد الذي دعت الرسل اليه ،
وابى عن الاقرار به المشركون ، وهذا التوحيد هو معنى قولك لا اله الا الله
فان الاله عندهم هو الذي يقصد لاجل هذه الامور ، سواء كان ملكا
أو نبيا أو وليا أو شجرة أو قبرا أو جنيا . ولم يريدوا ان الاله هو الخالق الرازق
المدبر ، فانهم يعلمون ان ذلك لله وحده كما قدمته ، وانما يعتون بالاله ما
يعني المشركون في زماننا بلفظ السيد ، فاتاهم النبي ﷺ يدعوهم الى كلمة
التوحيد وهي لا اله الا الله ؛ والمراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد
لفظها ، والكفار الجاهل يعلمون ان مراد النبي ﷺ بهذه الكلمة هو
اقرار الله تعالى بالعبادة والتعلق والكفر بما يعبد من دونه والبراءة منه

خافه لما قال لهم قولوا لا اله الا الله قالوا اجعل الالهة الهاً واحداً ان هذا
لشيء عجاب)

فاذا عرفت ان جهال الكفار يعرفون ذلك فالعجب ممن يدعى
الاسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفار
بل يظن ان ذلك هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب لشيء من
المعاني ، والحاذق منهم يظن ان معناها لا يخلق ولا يرزق الا الله ولا يدبر
الامر الا الله فلاخير في رجل جهال الكفار أعلم منه بمعنى لا اله الا الله ،
وقد ذكر الله تعالى في كتابه ان المشركين يقولون بالربوبية وانه كفرهم
بتعلقهم على الملائكة والانبياء والاولياء مع قولهم ﴿ هؤلاء شفعاؤنا
عند الله ﴾ هذا أمر محكم بين لا يقدر احد ان يغير معناه

ان اعداء الله لهم اعتراضات كثيرة على دين الرسل يصدون بها الناس
عنه ، منها قولهم نحن لا نشرك بالله ؛ بل نشهد انه لا يخلق ولا يرزق ولا
يضر الا الله وحده لا شريك له ، وان محمداً ﷺ لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا
فضلا عن عبد القادر أو غيره ؛ ولكن انا مذنب والصالحون لهم جاه
عند الله وأطلب من الله بهم . فجاوبه بما تقدم وهو ان الذين قاتلهم
رسول الله ﷺ مقرون بما ذكرت ومقرون أن أوثانهم لا تدبر شيئا .
وإنما أرادوا الجاه والشفاعة .

واعلم أن شرك الاولين أخف من شرك زماننا من وجوه .
أحدها أن الاولين لا يشركون ولا يدعون الملائكة والاولياء والاثوان
مع الله إلا في الرضاء . وأما في الشدة فيخلصون لله الدين كما قال تعالى

﴿ وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفوراً ﴾ . وإذا غشيهم موج كالضلل دعوا الله مخلصين له الدين ﴿ فمن فهم هذه المسئلة التي أوضحها الله في كتابه . وهي أن المشركين الذين قتلهم رسول الله ﷺ يدعون الله تعالى ويدعون غيره في الرخاء . وأما في الضر والشدة فلا يدعون إلا الله وحده لا شريك له وينسون ساداتهم . تبين له الفرق بين شرك أهل زماننا وشرك الاولين . ولكن أين من يفهم قلبه هذه المسئلة فهما راسخاً . والله المستعان .

ولهؤلاء شبهة فمن أعظمها انهم يقولون ان الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون أن لا إله إلا الله ويكذبون الرسول ﷺ وينكرون البعث ويكذبون القرآن ويجعلونه سحراً . ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ونصدق القرآن ونؤمن بالبعث ونصلي ونصوم فكيف تجعلوننا مثل أولئك . فالجواب أن لا خلاف بين العلماء كلهم ان الرجل اذا صدق رسول الله ﷺ في شيء وكذبه في شيء انه كافر لم يدخل في الاسلام . وكذلك اذا آمن ببعض القرآن وجحد بعضه كفر أقر بالتوحيد وجحد وجوب الصلاة أو أقر بالتوحيد والصلاة وجحد وجوب الزكاة أو أقر بهذا كله وجحد الصوم أو أقر بهذا كله وجحد الحج . ومن أقر بهذا كله وجحد البعث كفر بالاجماع . كما قال تعالى ﴿ إن الذين يكفرون بالله ورسوله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك

سبيلا . اولئك هم الكافرون حقاً ﴿ ومعلوم أن التوحيد هو أعظم
 فريضة جاء بها النبي ﷺ وهو أعظم من الصلاة والزكاة والحج والصوم .
 وفيه أيضا . أن أصل دين الاسلام انما هو عبادة الله وحده لا شريك
 له والتحرير على ذلك لقوله تعالى ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة
 سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا
 بعضا آربابا من دون الله ﴾ الآية . أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يدعو أهل
 الكتاب إلى معنى لا اله الا الله الذي دعا اليه العرب وغيرهم . والكلمة
 هي لا اله الا الله ففسرها بقوله ن لا نعبد الا الله . فقوله ان لا نعبد فيه
 معنى لا اله وهي نفي العبادة عما سوى الله تعالى . والا الله هو المستثنى في
 كلمة الاخلاص . فأمره تعالى أن يدعوهم إلى قصر العبادة عليه وحده ونفيها
 عن سواه . ومثل هذه الآية كثير يبين أن الالهية هي العبادة وانها لا
 يصلح منها شيء لغير الله . ﴿ وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه ﴾ وهذا
 هو توحيد العبادة . وهو دعوة الرسل إذ قالوا لقومهم ﴿ ان اعبدوا الله
 ما لكم من آله غيره ﴾ فلا بد من نفي الشرك في العبادة رأساً والبراءة منه
 ومن فعله ﴿ اذ قال ابراهيم لاهيه وقومه اني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني ،
 قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم ان ابرآء منكم
 ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء
 ابدأ حتى تؤمنوا بالله وحده ﴾ والذين معه هم الرسل كما ذكره ابن جرير .
 وقال تعالى ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ان عبدوا الله واجتنبوا

الطاغوت ، وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدوني ، واذكر إذا عاد إذا أنذر قومه بالاحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ان لا تعبدوا إلا الله ﷻ ونحن نعلم بالضرورة أن النبي ﷺ لم يشرع لأحد أن يدعو أحدا من الاموات لا الانبياء ولا الصالحين ولا غيرهم بلفظ الاستغاثة ولا بغيرها . كما أنه لم يشرع لأئمة السجود لميت ولا إلى ميت ونحو ذلك بل أنه نهى عن هذه الامور كلها وان ذلك من الشرك الذي حرمه الله ورسوله ﷺ . والكر لغاية الجهل وقلة العلم بانار الرسالة في كثير من المتأخرين لم يمكن تكفيرهم بذلك حتى يبين لهم ما جاء الرسول ﷺ مما يخالفه .

وفيه أيضاً : اعلم ان المشركين نشأوا في الفترة على عبادة الاصنام والاثان . وكان عند الكعبة ثلثمائة وستون صنما على صور من كانوا يعبدونه . فلما دعاهم النبي ﷺ إلى لا اله الا الله ، أي إلى ترك عبادة ما كانوا يعبدونه من دون الله انكروا عليه وأبوا أن ينفوا ما نفته هذه الكلمة لا اله الا الله من عبادة الاوثان والاصنام . وان يخلصوا العبادة لله وحده ﴿ انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون ، ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون ﴾ فكذا في هذه الامة لما كثر الشرك فيهم كما كثر في أولئك وبنيت المساجد على القبور وعبدت ، وبنيت المشاهد على اسم من بنيت باسمه من الصالحين وعبدت ، صاروا يقولون لا اله الا الله والشرك قد قام في قلوبهم واتخذوها ديناً فثبتوا ما نفته هذه الكلمة من عبادة غير الله . وانكروا ما دلت عليه من الاخلاص . فعمكسوا ما دلت

عليه هذه الكلمة بكونهم اثبتوا ما نفتته من الشرك . ونفوا ما اثبتته من الاخلاص الذى هو حق الله على عباده ، فيقول لا اله الا الله وقد اعتقد عكس ما دلت عليه . وهذا غاية الجهل والضلال . يقول كلمة تتضمن النفي والاثبات فلا يعرف ما نفتته ولا ما اثبتت ، وكثير منهم له في علم المعقول اليد الطولى فسيحان كيف جهلوا من ذلك ما دعت اليه الرسل من توحيد الله ونفي الشرك الذى نهوا أممهم عنه . كما هو صريح القرآن لا يخفى على من له ادنى فهم ان وفق لفهمه . فوضعوا الشرك موضع التوحيد بالقبول . ووضعو التوحيد موضع الشرك بالانكار على من دعا اليه وعداوته . ويا اسفًا على غربة الاسلام في هذه القرون المتأخرة .

وفيه أيضاً نقلاً عن الصواعق المرسلة : التوحيد نوعان ، القولى الخبرى العلمى ؛ المقصدى الارادى العلمى كما دل على الاول سورة الاخلاص ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللّٰهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ءِيسَىٰ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ عَلَىٰ الثَّانِي سُوْرَةُ الْكَافِرُوْنَ ﴾ قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ﴿ أَنْ لَا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ والتوحيد العلمى أساسه اثبات الكمال للرب ومباينته لخلقه وتنزيهه عن العيوب والنقائص والتمثيل . والتوحيد العلمى تجريد المقصد بالحُب والخوف والرجاء والتوكل والانابة والاستعانة والاستغاثة والعبودية بالقلب واللسان والجوارح لله وحده . ومدار ما بعث الله به رسله وأنزل به كتبه على هذين التوحيدين . وأقرب الخلق الى الله تعالى أقومهم بهما علما وعملا . ولهذا كانت الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أقرب الخلق

الى الله تعالى . وأقربهم اليه وسيلة أولوا العزم وأقربهم الخليلان . وخاتمهم سيد ولد آدم أكرمهم على الله تعالى لكمال عبوديته وتوحيده . فهذا هما قطبا رحى الدين وعليهما مداره . وبيانها من أهم الامور ، والله سبحانه ينسبها غاية البيان بالطرق العقلية والنقلية والفطرية والنظرية والامثال المضروبة وامام المعطلين المشركين فرعون فهو امام كل معطل ومشارك الى يوم القيامة ، كما ان امام الموحدين ابراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام . وأصل عبادة الاصنام ان قوم نوح عليه السلام صوروا صور الصالحين ، وما زال الشيطان يوحى الى عباد القبور ويلقى اليهم ان البناء عليها والعكوف عندها من محبة أهل القبور من الانبياء والصالحين وان الدعاء عندها مستجاب ، ثم ينقلهم من هذه المرتبة الى الدعاء به والاقسام على الله تعالى ثم نقلهم منه الى دعائه وعبادته وسؤاله الشفاعة واتخاذ قبره وثناً تعلق عليه القناديل والستور ويطف به ويستلم ويقبل ويحج اليه ويدبح عنده ، ثم نقلهم منه الى دعاء الناس الى عبادته واتخاذ عيدا ومنسكا ورأوا ان ذلك أنفع لهم من دنياهم وأخراهم ، وكل هذا قد علم بالاضطرار من دين الاسلام انه مضاد لما بعث الله به رسوله ﷺ من تجريد التوحيد وان لا يعبد الا الله ، ثم نقلهم منه الى ان من نهى عن ذلك فقد تنقص أهل الرتب العالية وحطمهم عن منزلتهم وزعم انه لا حرمة لهم ولا قدر ، فغضب المشركون واشتمزت قلوبهم كما قال تعالى ﴿ واذا ذكر الله وحده اشتمزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم

يستبشرون * وقد سرى ذلك في نفوس كثير من الجبال والطغام فوالول
أهل الشرك الخ .

قال الجامع العبد الضعيف محمد سلطان المعصومي الخجندی المكي
انى قد شاهدت في بخارى عند ضريح الخواجة بهاء الدين النقشبندى ،
ان كثيراً من جملة العمام جالسون حوله ويدعدن انهم ممن ينتسب الى
الشيخ وانهم أصحاب الدعاء ، والناس يقصدون زيارة هذا الضريح
من بلاد بعيدة ، ويعدون لها فضيلة عظيمة ، فيحملون اليه نذوراً من
الاموال والنقود والمواشى ، ويزعمون ان هذا النذر ينبغي أن يكون
سبعاً سبعاً فيقدمونه الى المشايخ والسدنة المذكورين ، وهم يأصرونهم
بالطواف حول القبر والتوجه اليه وطلب الحاجات منه فينادون .
يا بهاء الدين نقشبند بلا كردان اعطنا كذا أو ادفع عنا كذا . وهكذا
يفعلون دائماً . وخصوصاً في ليلة الاربعاء . بحيث يحدث ضوضاء
وغوغاء . وإذا نهيتهم عنه قاموا عليك يسبونك وينسبونك إلى
الزندقة . وهكذا رأيتم يفعلون في كل المزارات التي يعتقدونها . كزار
الشيخ العالم وفتح آباد . وتورك جندى . وخواجه بابا باره دوز وغيرها .
وأما في سمرقند فقبر قثم ابن عباس رضى الله عنهما الذى يسمونه
بشاه زنده . ولهم في شأنه خرافات . وكذا الامير تيمور الاعرج
الرافضى . وكذا الشيخ عبيد الله أحرار وغيرها . وأما في خجند فضريح
للشيخ بديع الدين للنورى المعروف بشيخ مصلح الدين . حتى انى رأيت
بعضى رأسى أنى منهم من سجد إلى قبره وهو مستدير للقبلة . وأما فى

صرغينان فقبر معاذ بن جبل رضى الله عنه على ما يزعمونه . وهو كذب
 وباطل . وكذا قبر على بن أبى طالب رضى الله عنه المشهور عند
 شاه مردان . وهو كذب وباطل . وأما فى اوش فقبر آصف بن
 برخيا وزير سليمان النبى ﷺ . وموضع تخت سنان أيضا . وسور
 كعبة العجم ؛ وأن من يريد الحج إلى الكعبة فمعه أن يزور أولا مكة
 العجم هذه والا لا يقبل حجه . وأما فى جلال كعبه فقبر نبوت النبى
 عليه السلام وعينه التى انتسل فيها بعد أن عوفى من البلاء . وهى من
 المكذوبات ؛ وأما فى تاتقند فقبر الخواجه خواوند ظهور ؛ وقبر
 زنكى اتا ؛ وغيرها ، وأما فى بسى المشهور بتركستان فقبر الخواجه
 أحمد اليسوى ؛ وأما فى كاشغر فقبر آرق خواجه ، وأما فى باخ فمهر
 على رضى الله عنه على ما يدعون . ونرى أيضا فى اجير
 فقبر معين الدين الجشتى ، وهكذا فى لاهور وكشمير ودهلى ونبي
 وغيرها . والاد الهند ؛ وأما فى نداد فقبر الشيخ عبد القادر الجيلانى .
 وأما فى دمشق فقبر محى الدين ابن عربى ؛ وأما فى مصر فقبر السيد
 نفيسة وزينب وحسين وغيرها ، فى كل واحد من هذه المزارات
 بنيت القباب وارتخت الستور الفاخرة فيحجون اليها من كل الجهات .
 ويطلبون منها الاعانات والبركات وقضاء الحاجات ؛ وإذا قاموا وإذا
 قعدوا وإذا حملوا شيئا وإذا مشوا يقولون يا فلان اويا ببرأ يا شيخ
 مدد ، ويقومون عند قبورهم بغاية الادب والتواضع والخشوع
 فيمكنون وتسيل دموعهم كالسيول ، ويسجدون للقبور ويقبلون

اعتابها ، فما من قرية فضلا عن بلدة الا ومن هذه المزارات المعبودة موجودة ، والشيوخ والسدنة الدجالون يحكون حكايات خرافية واحاديث كاذبة فيقبلها الجهال فيضلون حتى يقعون في الشرك الاكبر . والعبد الضعيف لما دخلت بلاد الهند ورأيت غلوهم في تعظيم القبور بكيت دمعاً بل دماً ، وزيادة على ذلك ان رجلاً من اهل بلاد فرغانة واسمه عبدالقادر الخوقندي ، وهو يزعم انه من العلماء والمدرسين ونحن إذ ذاك في دهلي حكى حكاية ، وهي ان اللورد الفلاني من اللوردات الانكليزية ، لما قدم بلاد الهند وتشرف بزيارة مرقد الشيخ معين الدين في بلدة اجير شريف ، ورأى وفود الناس وازدهامهم عليه وخشوعهم وتضرعهم وبكائهم ، قال ما رأيت في العالم ميتاً يتسلطن ويخضع الناس لسلطنته الا الشيخ معين الدين هذا والشيخ عبدالقادر الجيلاني غوث الاعظم فانهما سلطان الدنيا والدين حياً وميتاً ، والعجب من بعض المسلمين انهم لا يخضعون لسلطانها وانى قد بلغت حكومة الهند ان تنصف كراء السكة الحديدية لزوار هذا السلطان الاعظم ، فتصفوا الكراء في موسم اجير ، وهذا الانكليزي يعتقد هكذا ويعترف بهذا السلطان العظيم ، وانت تنكر كل هذه الخوارق والكرامات ، فقلت نعم انا انكر كل ما قلت لانه شرك صريح وكفر قبيح ، واللورد المذكور انما قال ذلك القول وفعل ما فعل ليخرج الناس من نور الايمان والتوحيد الى ظلمات الشرك والضلال ، وانا اتعجب منك تفتخر بقوله للعدو الالذ وتمسك به .

فانظر الى اين بلغت الضلالة وغلبت الجهالة حتى صاروا يمتقدون ان الاموات يعلمون ويتصرفون ويقضون الحاجات ، وهذه معصية عظيمة ابتلى بها المسلمون فان الله وانا اليه راجعون .

وفي مجموعة التوحيد ايضا ، قال فضيل بن عياض رحمه الله تعالى في قوله تعالى ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ اِيَكُمْ احسن عملا ﴾ اي اخلصه واصوبه ؛ قالوا يا ابا علي ما اخلصه واصوبه ، قال ان العمل اذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل ، واذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا ، والخالص ما كان لله والصواب ما كان على السنة .

والعبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الاقوال والاعمال الباطنة والظاهرة ؛ فمن صرف منها شيئا لغير الله فهو مشرك بالله .

وفيها ايضا قال العلامة عبد الله بن عبد الرحمن المعروف بابا بطين معنى لا اله الا الله عند جميع اهل اللغة وعلماء التفسير والفقهاء كلهم يفسرون الاله بالمعبود ، والتأله التعبد ، واما العبادة فعرفها بعضهم بانه ما امر به شرعا من غير اطراد عرفي ولا اقتضاء عقلي ؛ والمأثور عن السلف تفسير العبادة بالطاعة ، فيدخل في ذلك فعل المأمور وترك المحظور من واجب ومندوب ، وترك المنهى عنه من محرم ومكروه ، فمن جعل نوعا من أنواع العبادة لغير الله كالدعاء والسجود والذبح والنذر وغير ذلك فهو مشرك ، ولا إله إلا الله متضمن للكفر بما يعبد من دون الله لان معنى لا إله إلا الله إثبات العبادة لله وحده والبراءة من كل معبود سواه ، وفي الحديث الصحيح من قال لا إله إلا الله وكفر

بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله ، فمن قال لا إله إلا الله ومع ذلك يفعل الشرك الأكبر كدعاء الموتى والغائبين وسؤالهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات والتقرب اليهم بالندى والذبايح فهذا مشرك شاء أم أبى

والتحقيق أن المعنى الكلى الجامع لكل ما ذكر فى تعريف العبادة ، هو أن العبادة كل عمل من أعمال القلب واللسان والجوارح يعده صاحبه قربة لمن له سلطان غيبى فوق إدراك العقل غير مقيد بالاسباب المسخرة للناس . فيستطيع أن ينفع ويضر من غير طريق الاسباب التي ينفع أو يضر بها بعض الناس بعضاً . والآله المعبود وهو صاحب هذا السلطان الغيبى سواء كان له من ذاته لذاته وهو رب العالمين كلهم . وهو المعبود بحق ، أو كان له بما يعتقد من قربته من الرب تعالى وتأثيره فى ارادته بحيث يفعل الرب لاجله أو يمكنه من الفعل . وهذا هو المعبود الباطل . لان الرب لا يشرك فى فعله ولا فى حكمه أحداً انتهى

وجميع العلماء من المفسرين وشراح الحديث والفقه وغيرهم يفسرون الآله بأنه المعبود . وإنما غلط فى ذلك بعض أئمة المتكلمين فظن أن الآله هو القادر على الاختراع . وهذه زلة عظيمة وغلط فاحش إذا تصوره العاقل العاقل تبين له بطلانه . وكان هذا القائل لم يستحضر ما حكاه الله عن المشركين فى مواضع من كتابه ولم يعلم ان مشركي العرب وغيرهم يقولون بان الله هو القادر على الاختراع . وهم مع ذلك مشركون والعبادة الحقة خاصة لله وحده فمن صرف شيئاً منها لغير الله فقد عبد ذلك الغير

واتخذها آلهة واشركه مع الله في خالص حقه وان فر من تسمية فعله ذلك تألهما وعبادة وشركا ، ومعلوم عند كل عاقل ان حقائق الاشياء لا تتغير بتغير اسمائها ، فاذا سمي الزنا أو الربا أو الخمر بغير اسمائها لم يخرجها تغيير الاسم عن كونها الزنا أو الربا أو الخمر أو نحو ذلك ، ومن أعظم مكائد الشيطان لبني آدم قديما وحديثا انه اخرج لهم الشرك في قلب تعظيم الصالحين وغير اسمه بتسميته اياه توسلا وتشفعا ونحو ذلك ، وهذا شرك فاشرك مشرك شاء أم أبي ، وعبادة للطاغوت ، وقال جميع أهل اللغة : الضاغوت كل ما عبد من دون الله ، وقال الجوهري الطاغوت الكاهن والشيطان وكل رأس في الضلال ، وقال ابن كثير وهو قول قوى جدا ، فانه يشمل كل ما عليه أهل الجاهلية من عبادة الاوتان والتحاكم اليها والاستنصار بها ، وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الطاغوت تراجمة للاصنام الذين يكونون بين أيديهم يعبرون عنها الكذب ليضلوا الناس ، ويشمل هذا كل ما نصبه الناس للحكم بينهم باحكام الجاهلية المضادة لحكم الله ورسوله ، وسدنة الاوتان والداعين إلى عبادة أهل القبور وغيرهم بما يكذبون من الحكايات المضلة للجهال ، الموهمة ان القبور ونحوه يقضى حاجة من توجه اليه وقصده ، وانه فعل كذا وكذا مما هو كذب أو من فعل الشياطين ليوهموا الناس أن القبور ونحوه يقضى حاجة من قصده فيوقعهم في الشرك الاكبر وتوابعه .

وفي الجواهر المضيئة لابن عبد الوهاب ، التوحيد نوعان توحيد الربوبية ، وهو ان الله سبحانه متفرد بالخلق والتدبير عن الملائكة والانبياء

وغيرهم وهذا حق لا بد منه ، لكن لا يدخل الرجل في الاسلام ، بل
أكثر الناس مقرون به قال الله تعالى ﴿ قل من يرزقكم من السماء والارض
أم من يملك السمع والا بصر ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت
من الحى ومن يدبر الأمر ، فسيقولون الله ، قتل أفلا تتقون ﴾
وان الذى يدخل الرجل في الاسلام هو توحيد الالهية ، وهو أن
لا يعبد الا الله ، لا ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا ، وذلك أن النبي ﷺ
بعث وأهل الجاهلية يعبدون اشياء مع الله ؛ فمنهم من يعبد الأصنام .
ومنهم يدعو عيسى ، ومنهم يدعو الملائكة فنهاهم عن كل ذلك . واخبرهم
ان الله أرسله ليوحيد ولا يدعى احد لا الملائكة ولا الانبياء ، فمن
اتبعه ووحد الله فهو الذى شهد ان لا إله الا الله ، ومن عصاه ودعا عيسى
أو الملائكة واستنصرهم والتجاء اليهم فهو الذى جحد لا إله الا الله مع
اقراره انه لا يخلق ولا يرزق الا هو ، وهذا يجمع عليه بين العلماء ، فلما
جرى في هذه الامة ما اخبر به نبيها محمد ﷺ حيث قال « لتتبعن سنن
من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه »
وكان من قبلهم قد اتخذوا احبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ، وصار
ناس من الضالين يدعون اناسا من الصالحين في الشدة والرخاء مثل
عبد القادر الجيلاني وأحمد البدوي وعدي بن مسافر (قلت ومعين الدين
الجشتي في اجير الهند، وبهاؤ الدين النقشبند في بخارى ، ومصباح الدين
في خجند ، وآفاق خوجه في كشغر ، ومزارسخي في باخ ؛ وزانكي
اتا في تاشقند ، وأحمد يسوى في تركستان ، ومحي بن عربي في الشام)

وامثالهم من أهل العبادة والصلاح في كل بلدة وقرية ، وقد بين أهل العلم في امثال هذا انه هو الشرك الا كبر وعبادة الاصنام ، والذين يدعون مع الله آلهة اخرى مثل الشمس والقمر والصالحين والتمائيل لم يكونوا يعتقدون انها تنزل المطر او تنبت النبات ، وانما كانوا يعبدون الملائكة والصالحين ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، فبعث الله الرسل واتزل الكتب تنهى ان يدعى احد من دونه لا دعاء عبادة ولا دعاء استغاثة . واعلم ان المشركين في زماننا قد زادوا على الكفار في زمن النبي ﷺ بدعائهم الاولياء والصالحين في الرخاء والشدة ، ولا شك ان رسول الله ﷺ قاتلهم ليكون الدين كله لله ، والدعاء كله لله ، والذبح كله لله ، والنذر كله لله والاستغاثة كلها بالله ، وجميع انواع العبادات كلها لله ، وقد عرفت ان اقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الاسلام ، وان قصدم الملائكة والانبياء والاولياء يريدون شفاعتهم والتقرب لله بذلك هو الذي أحل دمائهم واموالهم ، عرفت حينئذ التوحيد الذي دعت اليه الرسل وابي عن الاقرار به المشركون ؛ وهذا التوحيد هو معنى لا إله الا الله . والعبادة انواع كثيرة منها السجود فلا يجوز لعبد ان يضع وجهه على الارض ساجداً إلا لله وحده لا شريك له لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل ولا لولي ، ومنها الذبح فلا يجوز لاحد ان يذبح إلا لله وحده ، فمن ذبح لغير الله بن جنى او قبر فهو كما لو سجد له ، وقد لعنه رسول الله ﷺ وقال « لعن الله من ذبح لغير الله » ومنها الدعاء كما كان المؤمنون يدعون الله ليلا ونهاراً في الشدة والرخاء وحده فتمفكر وحمك الله فيما حدث في الناس

اليوم من دعاء غير الله في الشدة والرخاء ، هذا يريد سفرًا فيأتي عند قبر فينذر له ، وهذا تلحقه الشدة في البر والبحر فيستغيث بعبد القادر او السماء ان ينجيه من هذه الشدة ، فيقال لهذا الجاهل ان كنت تعرف ان الاله هو المعبود ، وتعرف ان الدعاء من العباد فكيف تدعو مخلوقًا ميتًا عاجزًا ، وتترك الحى القيوم الرءوف الرحيم القدير ، فيقول هذا المشرك ان الامر بيد الله ولكن هذا العبد الصالح يشفع لى عند الله وتنفعنى شفاعته وجاهه . ويظن ان ذلك يسلمه من الشرك فليتدبر اللبيب العاقل الناصح لنفسه الذى يعرف ان بعد الموت جنة وناراً هذا الموضع ، ويعرف الشرك وان المشركين ما أرادوا من الذين يعتقدون فيهم الا الشفاعة لا غير ذلك فان احتج بعض المشركين ان اولئك يعتقدون فى أصنام من حجارة وخبث ونحن نعتقد فى الصالحين ؛ قيل له والكفار أيضاً منهم من يعتقد فى الصالحين ، مثل الملائكة وعيسى بن مريم . وفى الاولياء مثل العزيز واللات وناس من الجن ؛ فصاروا هم والذين يعتقدون فى الاصنام من الحجر والشجر واحداً ؛ فلما جاءهم رسول الله ﷺ لم يفرق بين الذين يعتقدون فى الاوثان من الخشب والحجر والذين يعتقدون فى الانبياء والصالحين . وانى قد سمعت عن كثير منهم يقول جاءتنى شدة فجئت الشيخ فلان أو السيد فلان فنذرت له نخلصنى ، وقد وقع كثير من المصنفين على جهالة من الشرك الا كبر وهو لا يفطن لذلك كقول صاحب البردة

يا اكرم الخلق مالى من الودبه سواك عند حلول الحادث العمم

وأمثال ذلك كثيرة

وفي الجزء الرابع من مجموعة الرسائل النجدية . من زعم ان المراد من لا إله الا الله مجرد القول فقد خالف مناجات به الرسل والانبياء من دين الله ، والقرآن من أوله الى آخره يحقق معنى لا إله الا الله : ينفي الشرك وتوابعه ويقرر الاخلاص وشرائعه ، ولكن اشتدت غربة الدين بهجوم المفسدين ، ووقع الريب والشك بعد اليقين ؛ وانتقض أكثر عرى الاسلام كما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه . انما تنقض عرى الاسلام عروة عروة اذا نشأ في الاسلام من لا يعرف اجاهلية ؛ والحاصل ان كل قول وعمل صالح يحبه الله ويرضاه فهو من مدلول كلمة الاخلاص التي سماها الله تعالى كلمة التقوى . والتقوى أن يتقى سخط الله وعقابه بترك الشرك والمعاصي واخلاص العباد لله واتباع أمره على مشرعه وكل رسول يدعو قومه الى أن يخلعوا عبادة ما كانوا يعبدونه من دون الله ويخلصوا أعمالهم كلها عن الاصنام والاوثن التي اتخذوها وجعلوها أنداداً لله بعبادتهم . وهذا هو معنى لا إله الا الله لا يشك في هذا مسلم والايمن بالله وحده هو البراءة مما كانوا يعبدونه من دون الله ، فمن شك ان هذا هو معنى لا إله الا الله فليس معه من الاسلام ما يزن حبة خردل ولا شك ان معنى لا إله الا الله ، لا معبود الا الله ؛ فالاله هو المعبود ، والتأله التعبد ، لا إله الا الله نفت الالهية عن سوى الله واثبتتها لله تعالى وحده ؛ والعبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الاقوال والافعال ، فالاله هو المعبود المطاع ، فمن جعل شيئاً من العبادة لغير الله فهو مشرك

وذلك كالسجود والدعاء والذبح والنذر والتوكل والخوف والرجاء وغير ذلك من أنواع العبادة الظاهرة والباطنة . وافراد الله تعالى بالعبادة ونفيها عما سواه هو حقيقة التوحيد ؛ وهو معنى لا اله الا الله ؛ فمن قال لا اله الا الله بصدق ويقين أخرجت من قلبه كل ما سوى الله محبة وتعظيما واجلالا ومهابة وخشية وتوكلا ، وهذا هو حقيقة الاخلاص الذى قال فيه رسول الله ﷺ « من قال لا اله الا الله مخلصا من قلبه دخل الجنة » قيل للحسن البصرى رحمه الله تعالى ان ناسا يقولون من قال لا اله الا الله دخل الجنة ؛ قال من قال لا اله الا الله فادى حقها وفرضها ، وغالب من يقول لا اله الا الله انما يقولها تقليدا ولم يخالط الايمان بشاشة قلبه ؛ فلا يعرف ما تنفيه وما تثبته ، ومن لا يعرف ذلك يخشى عليه أن يصرف عنها عند الموت ، وفي القبور امثال هؤلاء يقولون كما فى الصحيح « سمعت الناس يقولون شيئا فقلته » الحديث .

واجهل الناس من يحتج على جواز الشرك والضلال بعمل الناس وكثرتهم ، ولا يخفك ان سبب ضلال اليهود والنصارى علماءهم ، فكذلك سبب ضلال أكثر هذه الامة علماءها ، كما فى الحديث المشهور « علماءهم شر من تحت اديم السماء منهم خرجت الفتنة وفيهم تعود » وقولهم لو أن هذا لا يجوز ما خفى على فلان وفلان ، فهذه شبهة باطلة قال محمد بن وضاح انما هلك بنو اسرائيل على يد قرائهم وعلمائهم وفقهائهم ؛ وستهلك هذه الامة على يد قرائها وفقهائها ، قال عبدالله بن مبارك رحمه الله تعالى :

وهل افسد الدين الا الملوک واحبار سوء ورهبانها
والاستغاثه بالنبي ﷺ بعد موته موجود في كلام كثير من المتأخرين
مثل يحيى الصرصري ومحمد بن النعمان والابوصيري وغيرهم . وهو لا لهم
صلاح ، وليكنهم ليسوا من أهل العلم ، بل جروا على عادة اهل بلادهم ،
والشر يزداد يوماً فيوماً ، ويقول عالمهم استعمالها من هو أعم منا واعرف
بكلام العرب ، فبأست الحجة الواهية ، والله يا صرنا باتباع من رأيناه
أعلم منا . وانما أوجب علينا عند التزع الرد إلى كتابه وسنة نبيه . قال الله
تعالى ﴿ فان تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون
بالله واليوم الآخر ﴾ خاصة في أمور الدين فيه لا يجوز التقايد فيها باجماع
العلماء ، ولم يقل سبحانه فان تنازعتم في شئ فاتبعوا ما عليه أكثر الناس
ولا ما عليه بلد من البلدان .

وفي الجزء الرابع من المجموعة النجدية : نقلا عن الحافظ زين الدين
عبد الرحمن بن رجب رحمه الله تعالى ، ومن تحقق لا إله إلا الله في قلبه
فعلامته أن لا يؤله القلب غير الله حباً ورجاء وخوفاً وتوكلاً واستعانة
وخضوعاً وإناابة وطلباً ، وتحقيقه بأن محمداً رسول الله ؛ أن لا يعبد الله بغير
ما شرعه على لسان محمد ﷺ ، وقد جاء هذا المعنى مرفوعاً إلى النبي ﷺ
أنه قال « من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة » قيل ما خلاصها
يا رسول الله قال « أن تحجزك عما حرم الله عليك » وتحقيق هذا المعنى
أن قول العبد لا إله إلا الله يقتضي أن لا إله غير الله ، والا لكان الذي يطاع
فلا يمضى هيبة واجلالاً ومحبة وخوفاً ورجاء وتوكلاً عليه وسؤالاً منه

ودعاء له ، ولا يصح ذلك كله إلا لله عز وجل ، فمن اشرك مخلوقا في شيء من هذه الامور التي من خصائص الالهية كان ذلك قدحا في اخلاصه في قول لا إله إلا الله ونقصا في توحيدة ؛ وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك ، وهذا كله من فروع الشرك ، ولهذا ورد اطلاق الشرك والكفر على كثير من المعاصي التي منشؤها من طاعة غير الله أو خوفه أو رجائه أو التوكل عليه أو العمل لاجله ؛ كما ورد اطلاق الشرك على الرياء وعلى الحلف بغير الله وعلى التوكل على غير الله والاعتماد عليه ؛ وعلى من سوى بين الله وبين المخلوق في المشيئة مثل أن يقول ما شاء الله وشاء فلان ، وكذا قوله مالي الا الله وأنت ، وكذلك كل ما يقدر في التوحيد ؛ وتفرد الله بالنفع والضرر كالطيرة وارقى المكروهة واتيان الكهان وتصديقهم بما يقولون ، وكذلك اتباع هوى النفس فيما نهى الله عنه قاذح في تمام التوحيد وكاله ولهذا نطلق الشرك على كثير من الذنوب التي منشأها من اتباع هوى النفس انها كفر وشرك كقتال المسلم ومن اتى حائضا أو امرأة في دبرها ومن شرب الخمر في المرة الرابعة ؛ وان كان ذلك لا يخرج من الملة بالكلية ، ولهذا قال السلف كفر دون كفر وشرك دون شرك .

وقد ورد اطلاق الاله على الهوى المتبع قال تعالى ﴿ أفرايت من اتخذ الهه هواه ﴾ قال الحسن رحمه الله تعالى هو الذي لا يهوى شيئا الا ركيه ، وتعس عبد الدنيا وتعس عبد الدرهم الخ ، فدل هذا على ان كل من أحب شيئا وأطاعه وكان غاية قصده ومطلوبه ووالى لاجله وعادى لاجله

وعبيده وذلك الشئ معبوده والهه ، ويدل عليه أيضاً ان الله تعالى سمي
 طاعة الشيطان في معصيته عبادة للشيطان كما قال تعالى ﴿ ألم أعهد اليكم
 يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان ﴾ وقال ابراهيم عليه السلام ﴿ يا أبت
 لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصياً ﴾ فمن لم يحقق عبودية
 الرحمن وطاعته فانه يعبد الشيطان بطاعته له ، ولم يخلص من عبادة
 الشيطان ، الا من أخلص عبودية الرحمن ؛ وهم الذين قال فيهم ﴿ ان
 عبادى ليس لك عليهم سلطان ﴾ فهم الذين حققوا قول لا اله الا الله
 وأخلصوا في قولها وصدقوا قولهم بفعلهم ، فلم يلتفتوا الى غير الله محبة
 واجلالاً ورجاء وخشية وطاعة وتوكلًا ، وهم الذين صدقوا في قول لا اله
 الا الله وهم عباد الله حقاً ، فان من قال لا اله الا الله بلسانه ، ثم أطاع
 الشيطان وهواه في معصية الله ومخالفته فقد كذب فعله قوله ، ونقص
 من كمال توحيده بقدر معصية الله في طاعة الشيطان والهوى ﴿ ومن
 أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ، ولا تتبع الهوى فيضلك
 عن سبيل الله ﴾ فيا هذا كن عبداً لله لا عبداً للهوى ، فان الهوى يهوى
 بصاحبه الى النار ﴿ أرباب تفرقون خير أم الله الواحد القهار ﴾ وتعس
 عبد الدرهم وعبد الدينار ، والله ما ينجوا غداً من عذاب الله الا من
 حقق عبودية الله وحده ولم يلتفت معه الى شئ من الاغيار ، ان قول
 لا اله الا الله يقتضى ان لا يحب سواه ، فان الاله هو الذى يطاع محبة
 وخوفاً ورجاء ، ومن تمام محبته محبة ما يحبه ، وكراهة ما يكرهه ، فمن

في قول لا اله الا الله ، ، كان فيه من الشرك الخفى بحسب ما كرهه مما يحرم
الله وما أحبه مما يكرهه الله ، قال الله تعالى ﴿ ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط
الله وكرهوا رضوانه فحبط أعمالهم ﴾ قال الليث بن سعد عن مجاهد
رحمه الله تعالى قوله تعالى ﴿ لا يشركون بي شيئاً ﴾ قال لا يحبون غيري ،
وفي صحيح الحاكم عن عائشة رضى الله تعالى عنها عن النبي ﷺ قال الشرك
في هذه الامة أخفى من ديب الذرة على الصفاة السوداء في الليلة الظلماء ،
وأدناه ان يحب على شيء من الجور أو يبغض على شيء من العدل ، وهل
الدين الا الحب والبغض قال الله تعالى ﴿ قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحبيكم الله ﴾ فلا يتم محبة الله الا بمحبة ما يحبه وكرهه ، اي بغضه ويكرهه
ولا طريق الى معرفة ما يحبه وما يكرهه الا من طريق الرسول ﷺ
فصارت محبة الله مستلزمة لمحبة الرسول وتصديقه ومتابعته ، فهذا معنى
لا اله الا الله محمد رسول الله ، فمن قالها صادقا من قلبه حرمه الله على
النار وأدخله الجنة وأما من دخل النار من أهل هذه الكلمة فقلعة صدقه
في قولها ، فان هذه الكلمة اذا صدقت طهرت القلوب من كل ماسوى
الله . ومتى بقى في القلب أثر سوى الله فمن قلة الصدق في قولها ، ولا
اله الا الله هي كلمة التقوى ، وهي كلمة الاخلاص وشهادة الحق ودعوة
الحق وبرائة من الشرك ، ونجاة العبد ورأس هذا الامر ، ولاجلها خلق
الخلق ، ولاجلها أرسلت الرسل وأنزلت الكتب ، وهي مفتاح دعوة
الرسل ، وهي مفتاح الجنة ، وهي ثمن الجنة .

وفي رسالة العبادات الشرعية للعلامة ابن تيمية رحمه الله تعالى ،

العبادات الشرعية هي السبيل الذي يقرب به الى الله تعالى وهو سبيل
الله ؛ والصراط المستقيم ، وهو البر والطاعة والحسنات ، وهو طريق
السالكين ومنهاج القاصدين والعابدين ، وهو طريق الزهد والعبادة ،
ويسمى الفقر والتصوف ونحو ذلك وتلك العبادة تؤدى كما وردت عن
النبي ﷺ بلا زيادة ولا نقصان ، وأما العبادات البدعية فهي ديدن أهل
الضلالة كما فى الصحيحين فى حديث الخوارج (يحقر احدكم صلاته مع
صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم يقرؤن القرآن لا يجاوز
حناجرهم ؛ يرقون من الدين كما يرق السهم من الرمية) فاهل البدعة
ابتدعوا عبادات من هواء انفسهم كالخلوات والاربعينيات اما تمسكا بما
قبل النبوة أو بواقعه موسى عليه السلام ، وهى شريعة منسوخة وقد
جرب ان من سلك هذه العبادات البدعية اتته الشياطين ، وحصل له
تنزل شيطانى وخطاب شيطانى وبعضهم يطير به شيطانه لانهم خرجوا
عن شريعة النبي ﷺ التى أمروا بها ، ثم من هؤلاء من قد يصر فى الخلوة
بالذكر فيقولون ذكر العامة لا اله الا الله وذكر الخاصة الله الله وذكر
الخاصة الخاصة هو هو .

والذكر بالاسم المضمرد ومظهراً ومضمراً بدعة فى الشرع وخطأ فى
القول واللغة ؛ فان الاسم المجرد ليس هو كلاماً لا ايماناً ولا كفوفاً ، وقد
ثبت فى الصحيحين عن النبي ﷺ انه قال أفضل الكلام بعد القرآن
أربع وهن من القرآن . سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر
وأفضل الذكر لا اله الا الله ؛ وأفضل ما قلت انا والنبليون من قبلى لا اله

إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير . ^{عليه السلام}
ذكر الاسم المفرد فبدعة لم يشرع وليس هو بكلام يعقل ولا فيه إيمان
وينبغي أن يعرف أن البدعة يريد الكفر ؛ وهذا باب دخل فيه أمر
عظيم على كثير من السالكين ، واشتبهت عليهم الأحوال الرحمانية
بالأحوال الشيطانية ، وحصل لهم من جنس ما يحصل للكهان والسحرة
وظنوا أن ذلك من الكرامات ، والنجاة في اتباع طريق الرسول ^{صلى الله عليه وسلم}
فمن خالفه ضل ، وخاتم الرسل محمد ^{صلى الله عليه وسلم} قد أمر أمته بعبادات شرعية
من صلاة وذكر ودعاء وقراءة ، ولم يأمرهم قط بتفريغ القلب من كل
خاطر وانتظار ما ينزل ، وإنما هي طريقة جاهلية ، ولكن التفريع والتخلية
التي جاء بها الرسول ^{صلى الله عليه وسلم} أن يفرغ قلبه مما لا يحبه الله ، ويملؤه بما يحبه
الله ، فيفرغه من عبادة غير الله ويملؤه بعبادة الله ، وكذلك يفرغه من محبة
غير الله ويملؤه بمحبة الله ، وكذلك يخرج منه خوف غير الله تعالى ، وينفي
عنه التوكل على غير الله ويثبت فيه التوكل على الله ، وهذا هو الإسلام
الذي جاء به محمد ^{صلى الله عليه وسلم} ويمده القرآن ويقويه .

واعلم أنه لا يجوز أن يقال أن هذا مستحب أو مشروع إلا بدليل
شرعي ، ولا يجوز أن يثبت شريعة بحديث ضعيف كمقادير الثواب ،
ولكن أهل العبادات البدعية يزين لهم الشيطان تلك العبادات ويبغض
اليهم السبل الشرعية ، حتى يبغضهم في العلم والقرآن والحديث ، ولهذا
قال سهل بن عبد الله التستري رحمه الله تعالى وهو من كبار الصوفية ، يامعشر
الصوفية لا تفارقون السواد على البياض ، فما فارق أحد السواد على البياض

إِنَّمَا تَزْنِدُقُ ؛ وَقَالَ الْجَنِيْدُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى ، وَهُوَ سَيِّدُ الطَّائِفَةِ ، عَلِمْنَا هَذَا مَبْنَى
عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ ؛ فَمَنْ لَمْ يَقْرَأِ الْقُرْآنَ وَيَكْتُبِ الْحَدِيثَ لَا يَقْتَدِي بِهِ
فِي هَذَا الشَّأْنِ ، وَكَثِيرٌ مِنْ هَؤُلَاءِ يَنْفِرُ مِمَّنْ يَذْكُرُ الشَّرْعَ ، وَذَلِكَ
أَنَّهُمْ اسْتَشْعَرُوا أَنَّ هَذَا الْجَنْسَ فِيهِ مَا يَخَالِفُ طَرِيقَهُمْ فَصَارَتْ شَيَاطِينُهُمْ
تَهْرَبُهُمْ مِنْ هَذَا ؛ كَمَا يَهْرَبُ الْيَهُودِيُّ وَالنَّصْرَانِيُّ ابْنَهُ أَنْ يَسْمَعَ كَلَامَ
الْمُسْلِمِينَ حَتَّى لَا يَتَغَيَّرَ اعْتِقَادُهُ فِي دِينِهِ ؛ وَكَمَا كَانَ قَوْمُ نُوحٍ يَجْعَلُونَ
أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَيَسْتَعْغِشُونَ ثِيَابَهُمْ لئَلَا يَسْمَعُوا كَلَامَهُ وَلَا يَرَوْهُ .
قَالَ اللهُ تَعَالَى ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ قَالَ
عُكْرَمَةُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى تَسْأَلُهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فَيَقُولُونَ
اللهُ ، وَهُمْ يَعْبُدُونَ غَيْرَهُ ؛ وَهَؤُلَاءِ يَدْعُونَ التَّوْحِيدَ وَالْفَتَاءُ فِي التَّوْحِيدِ ،
وَيَقُولُونَ إِنَّ هَذَا نَهْيُ التَّوْحِيدِ ، وَأَنَّ الْعَارِفَ إِذَا صَارَ فِي هَذَا الْمَقَامِ
لَا يَسْتَحْسِنُ حَسَنَةً وَلَا يَسْتَقْبِحُ سَيِّئَةً لِشُهُودِهِ الرَّبُّوِيَّةِ الْعَامَةِ وَالْقِيُومِيَّةِ
الشَّامِلَةِ ؛ وَهَذَا الْمَوْضِعُ وَقَعَ فِيهِ مِنَ الشَّيُوخِ الْكِبَارِ مَنْ شَاءَ اللهُ ، وَلَا
حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ؛ وَهَؤُلَاءِ غَايَةُ تَوْحِيدِهِمْ هُوَ تَوْحِيدُ الْمُشْرِكِينَ
الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ .

وَقَدْ ذَكَرَ الْعَلَامَةُ ابْنُ الْقَيْمِ فِي الْجَوَابِ الْكَافِي لِمَنْ سَأَلَ عَنِ الدَّوَاءِ
الشَّافِي ، وَكَشَفَ الْغَطَاءَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَرْسَلَ رَسْلَهُ وَأَنْزَلَ كِتَابَهُ وَخَلَقَ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيَعْرِفَ وَيَعْبُدَ وَيُوحِدَ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لَهُ ؛ وَالطَّاعَةُ
كُلُّهَا لَهُ وَالِدَعْوَةُ لَهُ ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا
لِيَعْبُدُونِ ﴾ فَاصِلُ الْأَصُولِ التَّوْحِيدِ ، وَهُوَ الْعَدْلُ ، وَأَظْلَمُ الظُّلْمِ الشَّرْكُ

﴿إِنْ نَشْرِكْ نُضْمِ عَظِيمٌ﴾ فتأمل هذا الأصل حق التأمل واعتبر به تفصيله ، ونشرك أكبر الكبائر على الإطلاق ، وحرم الله الجنة على كل مشرك ؛ وأباح دمه وماله وأهله لأهل التوحيد ؛ وأن يتخذوهم عبيداً لهم لما تركوا للقيام بعبودية الله تعالى ؛ فالمشرك أجهل الجاهلين حيث جعل له من خلقه نداً ، وذلك غاية الجهل به ؛ كما أنه غاية الظلم منه ؛ وإن كان للمشرك لم يظلم ربه وإنما ظلم نفسه .

تنبيه : إن المشركين إنما قصدتهم تعظيم جناب الرب تبارك وتعالى ، وأنه لعظمته لا ينبغي الدخول عليه إلا بالوسائط والشفعاء كحال المملوك ؛ فالمشرك لم يقصد الاستهانة بجناب الربوبية ، وإنما قصد تعظيمه (بحسب زعمه) وقال إنما أعبد هذه الوسائط لتقربني إليه وتدخاني عليه فهو المقصود ، وهذه وسائل وشفعاء .

واعلم أن الله تعالى لم يشرع لعباده التقرب إليه بالشفعاء والوسائط وإن الشرك لا يغفر من دون سائر الذنوب ، وتفكر فيه فإن الفرق بين المشركين والموحدين ، والعالمين بالله والجاهلين ، وأهل الجنة وأهل النار ، إنما يحصل به ؛ فاعلم أن الشرك شركا كان ؛ شرك يتعلق بذات المعبود واسمائه وصفاته وأفعاله ، وشرك في عبادته ومعاملته وإن كان صاحبه يعتقد أنه سبحانه لا شريك له في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله والشرك الأول نوعان ، أحدهما شرك التعطيل ، وهو أقبح أنواع الشرك كشرك فرعون إذ قال ﴿وما رب العالمين﴾ فالشرك والتعطيل متلازمان ، فكل مشرك معطل وكل معطل مشرك ، لكن لا يستلزم .

أصل التعطيل بل قد يكون المشرك مقررًا بالخالق سبحانه وصفاته ، ولكن عطل حق التوحيد ، والتعطيل ثلاثة أقسام ، تعطيل المصنوع عن صانعه وخالقه ، وتعطيل الصانع سبحانه عن كماله المقدس بتعطيل أسمائه وصفاته وأفعاله ، وتعطيل معاملته عما يجب على العبد من حقيقة التوحيد ، ومن هذا شرك طائفة أهل وحدة الوجود ؛ ومنه شرك ملاحدة القائلين بقدم العالم وابديته والحوادث بأسرها مستندة عندهم إلى أسباب ووسائل طاعت اقتضت إيجادها يسمونها بالعقول والنفوس ومن هذا شرك من عطل أسماء الرب تعالى وأوصافه وأفعاله من غلاة الجهمية والقرامطة

النوع الثاني شرك من جعل معه إلهاً آخر ولم يعطل أسمائه وربوبيته وصفاته كشرك النصارى الذين جعلوه ثالث ثلاثة ، ومن هذا شرك المجوس القائلين باستناد حوادث الخير إلى النور وحوادث الشر إلى الظلمة ، ومن هذا شرك القدرية القائلين بأن الحيوان هو الذى يخلق أفعال نفسه ، وإنها تحدث بدون مشيئة الله وقدرته وإرادته ، ولهذا كانوا من أشباه المجوس ، ومن هذا شرك كثير ممن يشرك بالكواكب العلويات ويجعلها أرباباً مدبرة لأمور هذا العالم ، كما هو مذهب مشركى الصابئية وغيرهم ، ومنهم من يزعم الآله الأصغر والآله الأكبر ؛ وإن الأصغر يوصل إلى الأكبر .

وأما الشرك فى العبادة فهو أسهل من هذا الشرك وأخف شراً ، فإنه يصدر ممن يعتقد أنه لا إله إلا الله ؛ وأنه لا يضر ولا ينفع ولا

يعصى ولا يتنعى لا الله ، و نه لا اله غيره ولا رب سواه ، لكن لا يخلص
 لله في معاملته وعبوديته بل يعمل لحفظ نفسه تارة ، وطلب الدنيا
 تارة ؛ وطلب الرفعة ، المنزلة ، الجاه عند الخلق تارة ؛ فله من عمله وسعيه
 نصيب ولنفسه وهواه نصيب ، وللشيطان نصيب ، وللخلق نصيب ؛ وهذا
 حال أكثر الناس ، وهو الشرك الذى قال فيه النبي ﷺ فيما رواه ابن حبان
 في صحيحه « الشرك فى هذه الامة اخفى من ديب النمل » قيل وكيف
 تنجو منه يا رسول الله ، قال قل « اللهم انى أعوذ بك ان أشرك بك شيئاً وانا
 أعلم واستغفر لك لما لا أعلم » فليأكله شركه ﴿ قل انما أنا بشر مثلكم
 يوحى إلى انما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً
 ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ﴾ أى كما انه اله واحد لا إله سواه فكذلك
 ان تكون العبادة له وحده ؛ فكما تفرد بالالهية يجب أن يفرد بالعبودية ،
 والشرك ينقسم الى كبير وأكبر ومغفور وغير مغفور فمن الغير المغفور
 الشرك بالله فى المحبة والتعظيم بان يحب مخلوقا كما يحب الله . كما قال تعالى ﴿ ومن
 الناس من يتخذ من دون الله انداداً يحبونهم كحب الله ﴾ الآية . وقال أصحاب
 هذا الشرك لا إلهتهم وقد جمعهم الجحيم ﴿ تالله ان كنا لفي ضلال مبين
 إذ نسويكم برب العالمين ﴾ ومعلوم انهم ما سواوهم به سبحانه فى الخلق
 والرزق والامانة والاحياء والملك والقدرة وانما سواوهم به فى الحب والتأله
 والخضوع لهم والتذلل ، وهذا غاية الجهل والظلم . فكيف يسوى من خلق
 من التراب برب الارباب ، والعبيد بمالك الرقاب فإى ظلم اقبح من هذا .
 ويتبع هذا الشرك الشرك به سبحانه فى الاقوال والافعال والارادات

والنبيات ، فالشرك في الافعال كالسجود لغير الله والطواف لغير بيته ؛
وتقبيل الاحجار غير الحجر الاسود ، أو تقبيل القبور واستلامها والسجود
لها ، وقد لعن النبي ﷺ من اتخذ قبور الانبياء والصالحين مساجد يصلي
لله فيها ؛ فكيف بمن اتخذ القبور أو نائاً يعبدها من دون الله ، أو سجد
للقبر ؛ ومن الشرك بالله الشرك به في اللفظ كالحلف بغيره ؛ ومن ذلك قول
للقائل للمخلوق ماشاء الله وشئت ، فكيف من يقول أنا متوكل على الله
وعليك وأنا في حسب الله وحسبك ، وما لي إلا الله وأنت ، وهذا من
الله ومنك ، وهذا من بركات الله وبركاتك والله لي في السماء وأنت لي
في الارض ؛ ويقول والله حياة فلان ، أو يقول نذراً لله ولفلان ، وأنا
تائب لله ولفلان ؛ أو أرجو الله ولفلان ؛ ونحو ذلك .

واعلم ان من خصائص الالهية التفرد بملك الضر والنفع والعطاء
والمنع ، وذلك يوجب تعليق الدعاء والخوف والرجاء والتوكل به وحده ،
فمن علق ذلك بمخلوق فقد شبهه بالخالق ، وجعل من لا يملك لنفسه نفعاً
ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً أفضل من غيره تشبيهاً بمن له
الامر كله ، فازمة الامر كلها بيديه ومرجعها اليه ، فما شاء الله كان وما لم
يشأ لم يكن ؛ لا مانع لما أعطى ولا معطى لما منع . ومن خصائص الالهية
الكمال المطلق من جميع الوجوه ، وذلك يوجب ان تكون العبادة كلها له
وحده . والتعظيم والالجلال والخشية والدعاء والرجاء والالتابة والتوكل
والاستعانة والذل مع غاية الحب كل ذلك يجب عقلاً وشرعاً وفطرة
أن يكون لله وحده . ومنع عقلاً وشرعاً وفطرة أن يكون لغيره . فمن

جس شيئاً من ذلك غيره فقد شبه ذلك الغير بمن لاشبيهه له ولا ند له ،
وذلك أقبح التشبيه وابطله . فلهذا لا يغفره سبحانه مع أنه كتب على
نفسه الرحمة . ومن خصائص الألوهية العبودية التي قامت على ساقين
لاقوام لها بدونها غاية الحب مع غاية الذل . هذا تمام العبودية ، وتفاوت
منازل الخلق فيها بحسب تفاوتهم في هذين الأصلين فمن أعطى حبه وذله
وخضوعه لغير الله فقد شبهه به في خالص حقه ، وهذا من المحال أن تأتي به
شريعة من الشرائع ، وقبحه مستقر في كل فطرة وعقل . ولكن غيرت
الشياطين فطراً كثر الخلق وعقولهم وفسدتها عليهم واجتالهم عنها وجالوا
معيها في الضلال . اذا عرف هذا فمن خصائص الألوهية السجود فمن سجد
لغيره فقد شبه المخلوق به . ومنها التوكل فمن توكل على غيره فقد شبهه به .
ومنها التوبة فمن تاب لغيره فقد شبهه به . ومنها الحلف باسمه تعظيماً
واجلالاً فمن حلف بغيره فقد شبهه به . هذا في جانب التشبيه . وأما في
جانب التشبيه به فمن تعاضم وتكبر ودعا الناس إلى اطرائه في المدح والذم
والخضوع والرجاء وتعليق القلب به خوفاً ورجاءاً والتجاء واستعانة فقد
تشبه بالله ونازعه في ربوبية وألوهيته . وهو حقيق بأن يهينه غاية الهوان .
انتهى ما ذكره ابن القيم ملخصاً .

وقد قال العارف العلامة الشيخ أحمد السرهندي في المكتوب الثالث
من المجلد الثالث من مكتوباته لا إله إلا الله . لا أحد يستحق الألوهية
والعبودية إلا الله الذي لا نظير له ، الواجب الوجود المنزه عن سمات
النقص والبرأ عن صفات الحدوث . فان المستحق للمباداة التي هي عبارة

عن كمال التذال والخضوع والانكسار انما ثبت لمن له جميع الكمالات
وسلب عنه جميع النقائص. واحتاج اليه جميع العالم والاشياء في الوجود وتوابع
الوجود . وهو ليس بحاجة في أمر إلى شيء . وهو الضار النافع . لا شيء
يقدر ايصال ضرر أو نفع إلى أحد إلا باذنه . والمتصف بهذه الصفة ليس
إلا الله تعالى وحده . ولو فرض ان أحداً قدر على ايصال ضرر أو نفع إلى
الاشياء بلا اذنه يكون معطلا . والحاصل أنه لا يكون الجامع لهذه الصفات
الكاملة الا واحداً لا شريك له ، ولا يستحق للعبادة إلا هو الله الواحد القهار .
والكفار الاشرار يعبدون غير الحق جل وعلا ؛ ويعملون الاصنام
المنحوتة معبودهم بزعم انها تكون شفعاءهم عند الله ؛ ويتقربون إلى الله
بتوسلها ما أعظم حماقتهم . واشراك أحد في عبادته جل وعلا ؛ حرد التوهم
نهاية الخذلان والخسارة . فينبغي أن ينفي بتكرار لا إله إلا الله شريك
وجوب الوجود وشريك استحقاق العبادة . بل الالم والاحوج اليه
والانفع في هذه الطريق نفي شريك استحقاق العبادة المخصوص بدعوة
الانبياء عليهم الصلاة والسلام . فان المخالفين الذين ليسوا بملتزمين ملة نبي
من الانبياء عليهم السلام أيضاً ينفون شريك وجوب الوجود بدلائل
عقلية . ولا يثبتوا غير واحد من واجب الوجود . ولكنهم غافلون عن
معاملة استحقاق العبادة . وفارغون عن نفي شريك استحقاق العبادة .
لا يتحاشون من عبادة الغير . ولا يتكاسلون من عمارة الدبر ، والانبياء
عليهم السلام هم الذين يهدمون الدبر وينهون عن عبادة الغير والمشركون
في لسان هؤلاء الا كابر من يكون اسيراً لعبادة غير الحق سبحانه ، وان

كان فتلاً بنفى شريك وجوب الوجود فان اهتمامهم فى نفي عبادة ماسوى
اخر سبحانه المتعاقبة بالعمل ، فمن لم يتحقق بشرائع هؤلاء الا كابر عليهم
الصلاة والسلام المنبثة عن نفي استحقاق ماسوى الله تعالى العبادة لا
يتخلص عن الشرك ، ولا ينجوا من شعب شرك عبادة الالهة الا قافية
والانفسية ، وهو المقصود من بعثة هؤلاء الا كابر عليهم الصلاة والسلام
وحصول هذه الدولة والنجاة من الشرك غير متيسرة فى غير شرائع
الانبياء عليهم السلام والتوحيد غير ممكن بدون التزام ملتهم ، وقد قال
بعض الاكابر من اهل الطريقة ، ان كلما هو مقصودك فهو معبودك ،
ومعنى العبادة هو الذل والانكسار ، فنفى معبودية الغير انما يتحقق اذا
لم يبق مقصود غير الحق عز وجل ، فعلى هذا معنى لا اله الا الله ،
لامقصود الا الله.

وقال فى المکتوب الثانى عشر من المجلد الثالث أيضاً ، ان ذكر
النفى والاثبات كالوضوء الذى هو شرط الصلاة ، وما لم يوجد الوضوء
لا يصح الشروع فى الصلاة ، كذلك ما لم تتم معاملة النفى والاثبات فكل
عمل يعمل داخل فيما لا يعنى ، ينبغى أولاً ازالة المرض ، وهى مربوط
بالنفى والاثبات ، ثم الاشتغال بعد ذلك بعبادات وحسنات آخر مما هو
كالغذاء الصالح للبدن وكل غذاء يتناول قبل زوال المرض فهو فاسد ومفسد
وقال فى المکتوب السابع عشر من المجلد الثالث أيضاً ، ان الله
هو الخالق الرب المنعم فيجب على العبد الشكر ، ولكن يجب كون
الشكر منحصراً فى اتيان احكام الشريعة قلباً وقالباً واعتقاداً وعملاً ، وكل

تعظيم وعبادة له تعالى يؤدي بما وراء الشريعة لا يكون قابلاً للاعتماد ؛ بل كثيراً ما يكون محصلاً للاضداد ، والحسنة المتوهمة تكون سيئة في الحقيقة ، فداء شكره تعالى متعذر بدون الاتيان بها والشريعة لها جزآن اعتقادي وعملی ، فالاعتقادي من اصول الدين والعملی من فروعہ ، وفاقد الاعتقاد ليس من أهل النجاة ، وفاقد العمل أمره مفوض الى مشيئته سبحانه . وقال في المکتوب (٤١) من المجلد الثالث أيضاً ، ولما جاءت النساء عند النبي ﷺ للبيعة شرط عليهن شروطاً فالشرط الاول عدم اشراك شيء بالله تعالى لافي وجوب الوجود ولا في استحقاق العبادة ، ومن لم يكن عمله مبرأ عن شائبة الرباء والسمعة ومظنته طلب الاجر من غير الله تعالى ولو بالقول والذكر الجميل فليس هو بخارج عن دائرة الشرك ولا هو موحد مخلص ؛ ولتعظيم مراسم الشرك ومواسم الكفر كلها قدم راسخ في الشرك ، والمصدق للدينين من أهل الشرك ، والمتشبه بمجموع احكام الاسلام والكفر مشرك ، والتبري من الكفر شرط الاسلام . والاجتناب عن شائبة الشرك توحيد . والاستعداد من الاصنام والطاغوت في رفع الامراض والاسقام كما هو شائع فيما بين جهلة اهل الاسلام عين الشرك والضلالة ، وطلب الحوائج من الاحجار المنحوتة نفس الكفر وانكار على واجب الوجود تعالى وتقدس وقد قال تعالى . شكايه عن حال بعض أهل الضلال « يريدون أن يتعبدوا لهم الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ، ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً » . واكثر النساء مبتليات بهذا الاستعداد المنوع عنه بواسطة كمال الجهل .

فيهـن يطـلبن دفع البلية من هذه الاسماء الخالية عن المسميات ، ومفتونات
بأداء مراسم الشرك وأهل الشرك ؛ وتعظيم الايام المعظمة عند الهنود ،
وإداء رسوم الايام المتعارفة عند اليهود والنصارى مستلزم للشرك
ومستوجب للكفر كما ان كثيراً من جهلة أهل الاسلام يفعلونه
فيكفرون من حيث لا يشعرون ؛ وما يفعلونه من ذبح الحيوانات المنذورة
للمشائخ عند قبورهم جملة الفقهاء داخل في الشرك . وبالعوا في هذا الباب
والحقوه يحنس ذبائح الجن المنوع عنها شرعاً ؛ فينبغي الاجتناب عن
هذا العمل ، ومثل ذلك صيام النساء بنية المشائخ ؛ وينعتن أكثر أساميهم
من عند أنفسهن ويصمن بنيتهم (قلت مثل بي بي سه شنيه ، ومشكل
كشا) ويطلبن قضاء حوائجن منهم بواسطة تلك الصيام ويزعن قضاء
حوائجن منهم وذلك الفعل اشراك للغير في عبادة الله تعالى وطلب
لقضاء الحوائج عن الغير بواسطة العبادة اليه ، فينبغي أن يُعلم شناعة
هذا الفعل ، ولا يجوز اشراك احد به تعالى في عبادة من العبادات ،
وطلب الحاجة عن غير الله عين الضلالة ؛ وتسويل الشيطان الرجيم الخ
قال العبد الضعيف محمد سلطان المعصومي الخجندی المسكى نعم
ما قاله وحينما ما افاده هذا هو الحق ، ولكنه سامحه الله ابتلى بما زجر
عنه ووقع فيما نهى عنه ، وهو لا يشعر لغلبة التقليد عليه ، فمن ذلك
استحسانه الذكر باللفظ المفرد كالله الله او هو هو وأمره به ، فانه ليس
بذكر شرعى نافع مفيد ؛ بل يشترك فيه المسلم والمشرک والملحد كما

اسلفت بيانه ، ومنه أمره المرید بالمراقبة ومراقبة صورة الشيخ
واحضارها عند الذكر ، ولا شك ان هذا عين الوثنية والشرك ومنه
استحسانهم وتجويزهم الاستمداد من أرواح المشائخ كما هو صرح به
فى كثير من مكانه ، ويسمونه تربية روحانية ولا ريب ان هذا عين
الشرك الذى حذر عنه ، ومنه ترتيبهم الاوراد وتعيينهم الاوقات لها كختم
خواجه ونحوه ، ولا يخفاك ان هذا الترتيب من البدع التى اخترعوها
وكذا طريقاتهم واختراعاتهم اللطائف من السر والخفى والافى والقلب
والروح وغيرها ، وأمثالها من البدع التى ما انزل الله بها من سلطان ،
بل انها استحسان وتشريع من عند أنفسهم ، ولا يخفاك حكم من يخترع
فى الدين شيئاً ، وهذا المؤلف يحذر عن ارتكاب البدعة وينفر عنها
ولكنه وقع فيما حذر عنه ، فلهذا أمرنا ان نطلب من الله تعالى الهداية
الى الصراط المستقيم ، ونقول لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

وقد ذكر العلامة محمد عبده ومحمد رشيد رضا فى تفسير المنار
فى قوله تعالى ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله انداداً يحبونهم
كحب الله ﴾ والذين آمنوا أشد حباً لله ﴾ وهذه الآية مبينة لحال الذين
لا يعقلون تلك الآيات التى اقامتها الآية السابقة على توحيد الله تعالى ورحمته .
ولذلك جعلوا له أنداداً يلتمسون منه الخير والرحمة . ويدفعون ببركاتهم
البلاء والنقمة . ويأخذون عنهم الدين والشرعة . وقال بعض المفسرين ان الند
المائل المعارض المقاوم وهذا غير صحيح لان القرآن قص لنا خبر متخذى
الانداد فى آيات كثيرة صريحة فى انهم لا يعتقدون شيئاً من هذا الذى قاله

المفسرون بل يعتقدون غائباً ان الله تعالى هو المنفرد باخلاق والتدبير . وان
الانداد وسطاء بينه وبين عباده يقربونهم اليه ويشفعون لهم عنده . لان
المذنبين المقصرين لا يستطيعون الوصول الى الله تعالى بانفسهم فلا بد لهم
واسطة . كما هو المهود من الرعايا الضعفاء مع الملوك والامراء . والثنيون
يقيسون الله تعالى على من يعظمونه من الرؤساء وعظماء الخلق لا سيما
المستبدين منهم الذين استعبدوا الناس استعباداً فالآيات الناطقة بانهم اذا
سئلوا من خلق كذا وكذا يقولون الله . وقال فيهم مع ذلك . ويعبدون
من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم . ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله
وأيضاً : والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى
والانداد عند جمهور المفسرين أعم من الأصنام والآوثان فيشمل
الرؤساء الذين خضع لهم بعض الناس خضوعاً دينياً . ويدل عليه الآيات
الآتية ﴿ اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ﴾ الآية فالمراد إذن من
الند من يطلب منه ما لا يطلب الا من الله تعالى . او يؤخذ عنه ما لا يؤخذ
الا عن الله تعالى . وبيان ان للأسباب مسببات لا تعدوها بحكمة الله تعالى
في نظام الخلق وان لله تعالى أفعالا خاصة به فطلب المسببات من أسبابها
ليس من اتخاذ الانداد في شيء . وان هناك أموراً تخفى عنا أسبابها .
ويعنى علينا طريق طلابها . فيجب علينا بارشاد الدين والفطرة أن نأجأ
فيها الى القوة الغيبية . ونطلبها من مسبب الاسباب لعله بعنايته ورحمته
يهدينا الى طريقها أو يبدلنا خيراً منها : وانما يجب هذا بعد بذل الجهد
والطاقة في العمل بما نستطيع من الاسباب حتى لا يبقى في الامكان شيء .

مع اعتقادنا بان الاسباب كلها من فضل الله تعالى ورحمته علينا اذ هو الذى جعلها طرقا للمقاصد . وهذا انا اليها بما وهبنا من العقل والشاعر . لا يسمع الدين للناس بان يتركوا الحرث والزرع ويدعوا الله تعالى أن يخرج لهم الحب من الارض بغير عمل منهم وانما يهديهم الى القيام بجميع الاعمال الممكنة لانجاح الزراعة من الحرث والتسميد والبذر والسقى وغير ذلك . وأن يتسكوا على الله تعالى بعد ذلك فيما بايديهم ولم يهدم لسببه بكسبهم كاتزال الامطار وإفاضة الانهار ودفع الحوائج . فان استطاعوا شيئاً من ذلك فعليهم أن يطلبوه بعملهم لا بالسنتهم وقلوبهم مع شكر الله تعالى على هدايتهم اليه وأقدارهم عليه .

فكذلك يحظر الدين عليهم أن ينفروا الى الحرب والمدافعة عن الملة والبلاد عزلاً او حاملي سلاح دون سلاح العدو المعتدى عليهم إتسكالا على الله تعالى . واعتماداً على ان النصر بيده (قلت كجيلة أهل بخارى والفرغانة وخوارزم والجزائر والغرب) بل يأمرهم بان يعدوا للاعداء ما استطاعوا من قوة . ويتكوا بعد ذلك على عناية الله تعالى بتثبيت القلوب والاقدام . وغير ذلك من ضروب التوفيق والالهام . فمن قصر في اتخاذ الاسباب لإعتماداً على الله فهو جاهل بالله . ومن التجأ الى ما ليس بسبب من دون الله فهو مشرك بالله . وهذا الذى يلجأ اليه من انسان مكرم كالانبياء والصالحين أو ملك مقرب أو مظهر غريب من مظاهر الخليفة . أو صنم أو تمثال جعل تذكاراً لشيء يسمى ندأ لله وشريكه ووليا من دونه (قلت كجيلة أهل بخارى فانهم اتكوا على بهاء الدين النقشبند رحمه الله الذى توفى

قبل ما آت من الاعوام . وقالوا انه يدفع البلاء . ومادام قبر بهاء الدين موجود في بخارى لا يقدر الكفار على الاستيلاء عليها) والله ان بهاء الدين برىء من أقوالهم هذه لانا نعتقده من الرجال الصالحين العارفين رحمة الله عليه . فالمشرك مشرك وان صلى وصام او كان على رأسه عمامة كالقبة أو جلس في مسند المشيخة وفي يديه السبحة الكبيرة الطويلة كبودى الهنود والسيكها والخالصة ولاما المجوس) وعلق السبحة في عنقه ولو سبحة ابو الف .

ولاشك ان من جملة الانداد من يتبع في الدين من غير ان يكون مبينا للناس ما جاء عن الله ورسوله فيعمل بقوله وان لم يعرف دليله ويتخذ رأيه ديناً واجب الاتباع وان ظهر أنه مخالف لما جاء عن الله ورسوله اعتماداً على انه أعلم بالوحي ممن قلدوهم دينهم وأوسع منهم فهما فيما أنزل الله (كغالب البخاريين والافغانيين والهنديين والصينيين في إعتقادهم حرمة الاشارة بالمسبحة في تشهد الصلاة وتركهم العمل بها وزجرهم الآتى بها متمسكاً بما في كتاب خلاصة الكيداني أو صلاة المسعودي او جامع الرموز وأمثالها) وفي أمثال هؤلاء نزل قوله تعالى ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله﴾ وقد عظمت الفتنة من متخذي الانداد . ورجوعهم عند الحاجة الى قبورهم وطلب النجاة منهم واذا ذكر لهم الكتاب والسنة اذا فريق منهم معرضون وهم لا يقبلون حكم الله في كتابه . وليسكن اذا دعوا ليحكم بينهم باراء رؤسائهم اقبلوا مذعنين . ويأخذون بالشرك الصريح عملاً بأقوال الناس من الميتين منهم

من لا يعرف مطلقاً، وانما سمي ولياً عملاً ببعض الرؤيا والاحلام ، اذ الاختراع بعض الطعام ومنهم من يعرف في الجملة ولكن لا يعرف له تاريخ يوثق به ولا رواية يصح الاعتماد عليها : وانما قدم الخلف الصالح كلام هؤلاء على كلام الله ورسوله وكلام أئمة السلف . لان العامة اعتقدت صلاحهم ولايتهم ، والعامة قوة تخضع لها الخاصة في أكثر الازمان

وفيه أيضاً ، ويجب علينا ان ننظر في الحسن الذي يمدحه الله تعالى ويأمر به ونرجع الى أنفسنا لنرى هل نحن متصفون به وننظر في القبيح الذي يذمه وينهى عنه كذلك ، ثم نجتهد في تزكية أنفسنا من القبيح وتحليتها بالحسن ، فهنا يجب علينا أن نبحث وننظر هل اتخذ المسلمون الآن أننداداً كما اتخذ الذين من قبلهم أننداداً ام لا ، فان هذا أهم ما يبحث فيه قارئ القرآن . وقد اشتبه على بعض الباحثين السبب في سقوط المسلمين في الجهل العميم ؛ الا إفراداً في بعض شعوبهم

لا يكاد يظهر لهم أثر . وظن بعضهم ان التصوف من اعظم الاسباب لسقوط المسلمين في الجهل بدينهم وبعدهم عن التوحيد الذي هو أساس عقائدهم . وليس الامر عندنا كما ظنوا . لان التصوف كان ظهر في القرون الاولى للاسلام فكان له شأن كبير ، وكان الغرض منه تهذيب الاخلاق وترويض النفس باعمال الدين وتعريفها بأسرارها وحكمها بالتدريج ثم تغير حال الآخرين فحدثوا للشيخ سلطة خاصة على مريديه حتى قالوا يجب أن يكون المرید مع الشيخ كالليت بين يدي الغسال لان الشيخ يعرف أمراضه اوحية وعلاجها ، حتى ولو أمر بمعصية لكان عليه ان يعتقد

أنها نفعه له ومتعين عليه ، فصار من قواعدهم التسليم المحض والطاعة العمياء ؛ وقالوا ان الوصول الى العرفان المطلق لا يكون الا بهذا ، ثم أحدثوا اظهار قبورهم ممن يموت من شيوخهم والعناية بزيارتها لاجل تذكر سلوكهم ومجاهدتهم وهم كانوا يريدون بذلك الخير ، ولكن ما ذا كان اثر ذلك في المسلمين كان منه ما كان الى أن مقاصد الصوفية الحسنة قد انقلبت ولم يبق من رسومهم الظاهرة الا أصوات وحركات يسمونها ذكراً يتبرأ منها كل صوفي صادق ، والا تعظيم قبور مشائخهم تعظيماً دينياً مع الاعتقاد بأن لهم سلطة غيبية تعلو الاسباب التي ارتبطت بها المسببات بحكمة الله تعالى بها يدبرون الكون ويتصرفون فيه كما يشاءون وانهم قد تكفلوا بقضاء حوائج مريديهم والمستغِيثين بهم ايما كانوا وهذا الاعتقاد هو عين اتخاذ الانداد وهو مخالف لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وسيرة السلف من الصحابة وأئمة التابعين والمجاهدين رضي الله تعالى عنهم اجمعين ، وزادوا على هذا شيئاً آخر هو اظهر منه قبلاً وهما للدين وهو زعمهم ان الشريعة شيء والحقيقة شيء آخر ، فاذا اقترف أحدهم ذنباً فانكر عليه منكر قالوا في المجرم انه من اهل الحقيقة فلا اعتراض عليه ، وفي المنكر أنه من أهل الشريعة فلا التفات اليه ، كأنهم يرون أن الله تعالى أنزل للناس دينين وانه يحاسبهم بوجهين ويعاملهم معاملتين ، حاشا لله نعم جاء في كلام بعض الصوفية ذكر الحقيقة مع الشريعة وصرادهم به أن في كلام الله ورسوله ما يعلم افهام العامة بما يشير اليه من دقائق الحكم والمعارف التي لا يعرفها الا الراسخون في العلم فحسب العامة

من هذا الوقوف عند ظاهره : ومن آتاه الله بسطة في العلم ففهم منه شيئاً أعلى مما تصل إليه افهام العامة فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ممن يجد ويجتهد للزيد من العلم بالله ومنه في خلقه ، فهذا يسمح له علم الحقيقة لا سواه وإيس فيه شيء ، يخالف الشريعة أو يناقضها : ومن آتاه الله نصيباً من هذا العلم كان اتقى الله من سواه ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ ثم لما فسد التصوف وأهله وانقلب الحال وضعف الفقه وظهر المتفقه الجاهلون الجامدون والمتصوفة الجاهلون ، واذعن أولئك إلى هؤلاء ، واعترفوا لهم بالسركرامة حتى صرت ترى العالم الذي قرأ الكتاب والسنة والفقه يأخذ العهد من رجل جاهل أي ويرى أنه يوصله إلى الله تعالى فإن كان كتاب الله وسنة رسوله وما فهم الأئمة واستنبط الفقهاء منها كل ذلك لا يفيد معرفة الله تعالى المعبر عنها بالوصول إليه فلماذا شرع الله تعالى هذا الدين ، والناس أغنياء عنه بأمثال هؤلاء الأميين وأشباههم ، وهل المقصود إذاً فيما نزل الله تعالى أم في بيان الرسول وبيان الأئمة لما جاء عن الله والرسول ، حاشا لله ولكتابه ورسوله فلا طريق لمعرفته عز وجل والوصول إلى رضوانه غير ما نزل من البينات والهدى وإنما كان غرض الصوفية الصادقين فهم الكتاب والسنة مع التحقق بعمارفها والتخلق والتأدب بأدابها ، واخذ النفوس بالعمل بها من غير تقليد لأهل الظاهر ، ولا جمود على الظواهر .

ولقد تشوهت سيرة مدعى التصوف في هذا الزمان ، وصارت رسومهم أشبه بالمعاصي والاهواء ، وأظهرها في هذه البلاد الاحتفالات

التي يسمونها (التوالد) ومن العجيب ان تبع الفقهاء في استحسانها
الاغنياء ؛ فصاروا يبذلون فيها الاموال العظيمة زاعمين انهم يتقربون
بها الى الله تعالى ، ولو طلب منهم بعض هذا المال لنشر علم وازالة منكر
أو اعانة منكوب لضنوا به وبخلوا . فانظروا الى أين وصل المسلمون
بركة التصوف الحالى واعتقاد أهله بغير فهم ولا مراعاة شرع ، اتخذوا
الشيوخ أنداداً وصار يقصد بزيارة القبور والاضرحة قضاء الحوائج
وشفاء المرضى وسعة الرزق بعد أن كانت للعبرة وتذكر القدوة ونتيجة
ذلك كله أن المسلمين رغبوا عما شرع الله تعالى الى ما توهموا أنه يرضى
غيره ممن اتخذوهم انداداً له وصاروا كالاباحيين في الغالب ، فلا عجب
اذن ان يحرموا ما وعد الله المؤمنين من النصر ؛ لانهم انسلخوا من
مجموع ما وصف الله به المؤمنين ، ولم يكن في القرن الاول شىء من هذه
التقاليد والاعمال التي نحن عليها بل ولا في الثاني ، وانما سرت اليينا بالتقليد
والعدوى من الامم الاخرى .

وهنا نوع آخر هو ترك الاهتداء بالكتاب والسنة واستبدال
أقوال الناس بهما ؛ فلو دخل في الاسلام رجل عاقل أو شعب مرتقى
لحار لا يدري بم يأخذ ولا أى المذاهب والكتب في الاصول والفروع
يعتمد ، ولصعب علينا اقناعه بان هذا هو الدين القيم دون سواه او بان
هذه المذاهب كلها على اختلافها شىء واحد ، ولو وقفنا عند حدود القرآن
وما بينه من الهدى النبوى لسهل علينا أن نفهم ما هى الحنيفية السمحة
تى لا حرج فيها ولا عسر وما هو الدين الخالص الذى لا اعوجاج فيه .

ولا خلف . ولكننا اذا نظرنا في أقوال الفقهاء وتشعبها وخلافاتهم
وعملها فانا نحار في ترجيح بعضها على بعض اذ نجد بعضها يحتاج عليه
بحديث صحيح وهو ظاهر الحكمة معقول المعنى ولكنه غير معتمد
عندهم بل يقولون فيه المدرك القوى ولكنه لا يفتى به ولما ذا لان فلانا
قال كذا . فقول رجل من رجال كثيرين جداً تجهل تاريخ اكثرهم يكفى
لترك السنة الصحيحة . وان ظهر أن المصلحة فيما جاءت به السنة وبهذا
قطعت الصلة بين ما نحن فيه وبين أصل الدين وينبوعه . والحال انه لا
يجوز لاحد أن يرجع في شيء من عقائده وعباداته الا الى الله تعالى والى
رسوله الذى أنزله اليه كما يجب علينا أن نعتقد بان الحكم لله وحده لا يؤخذ
عن غيره الدين ، وبهذا نكون موحدين مخلصين له الدين ، كما أمرنا
في كتابه المبين ؛ ومن خرج عن هذا كان من متخذي الانداد ، ومن
يضل الله فماله من هاد .

وفيه أيضا ، قال الله تعالى ﴿ اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا .
ورأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب . وقال الذين اتبعوا لو أن لنا
كرة فنتبرا منهم كما تبراوا منا . كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات
عليهم وما هم بخارجين من النار ﴾ اعلم أن هذه الآية أشد زلزال على
المقلدين والمقلدين لجودهم على أقوال الناس وآرائهم في الدين ؛ سواء
كانوا من الاحياء أم من الميتين ، وسواء كان التقليد في العقائد والعبادات ،
أم في أحكام الحلال والحرام ، إذ كل هذا إنما يؤخذ عن الله ورسوله .
ليس لاحد فيه رأى ولا قول ، ويدخل فيه الأئمة المصلون ، وأما

الائمة المهديون فنع كاهم عن عبادة غير الله تعالى وعن الاعتماد على غير
وحية في الدين . ويزعم بعض المفسرين ان أمثال هذه الآيات خص
في الكفار . نعم انه خاص بالكفار كما قالوا ، ولكن من الخطأ أن يفهم
من هذا الكلام ما يفصل بين المسلمين والقرآن اذ يصرفون كل وعيد
فيه إلى المشركين واليهود والنصارى فينصرفون عن الاعتبار المقصود ،
لهذا ترى المسلمين لا يتعظون بالقرآن ، ويحسبون أن كلمة لا إله إلا الله
يتحرك بها اللسان من غير قيام بحقوقها كافية للنجاة في الآخرة ؛ على
ان كثيراً من الكافرين يقولها ، ومنهم من يهز جسده عند ذكر الله كما
يهزه جماهيرهم ، فهل هذا كل ما أراده الله من إنزال القرآن ، وبعثة
محمد ﷺ ، ليس هذا الذي يتوهم الجاهلون من مراد المفسرين فما بين
الله تعالى ضروب الشرك وصفات الكافرين وأحوالهم الا عبرة لمن
يؤمن بكتابه حتى لا يقع فيما وقعوا فيه فيكون من الهالكين ، ولكن
رؤساء التقليد حالوا بين المسلمين وبين كتاب ربهم بزعمهم أن المستعدين
للاهداء به قد انقرضوا ولا يمكن أن يوجد مثلهم لما يشترط فيهم من
الصفات التي لا تيسر لغيرهم كمعرفة كذا وكذا من الفنون ، مع أن
السلف الصالحين من الصحابة والتابعين وكذا الائمة الاربعة رضى الله
تعالى عنهم متفقون على انه لا يجوز لاحد أن يأخذ بقول أحد في الدين
ما لم يعرف دليله ، ثم جاء العلماء المقلدون وجعلوا قول المفتي للعامة بمنزلة
الدليل ، ثم خلف خلف أعرق في التقليد فتمعوا كل الناس أخذ أي حكم
من الكتاب والسنة وعدوا من يحاول فهمها والعمل بهما زائغاً ، وهذا

غاية الخذلان وعداوة الدين وقد تبعهم الناس في ذلك فكانوا لهم أنداداً من دون الله ، وسيتبرأ بعضهم من بعض كما أخبر الله تعالى .

وقد نقل عن الأئمة الاربعة رضى الله تعالى عنهم النهي عن الاخذ بقولهم من غير معرفة دليلهم ، والامر بترك أقوالهم إذا ظهر مخالفته للكتاب او السنة ، قال الفقيه ابو الليث السمرقندى الحنفى بسنده عن ابى حنيفة رحمه الله تعالى انه قال لا يحل لاحد أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم من ابن قلنا ، وقال عصام بن يوسف رحمه الله تعالى اجتمع أربعة من اصحاب ابى حنيفة رحمه الله تعالى فى مجلس زفر بن الهذيل وابو يوسف وعافية بن زيد ومحمد بن الحسن رحمهم الله تعالى فكلهم أجمعوا على انه لا يحل لاحد أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم من ابن قلناه ، وفى روضة العلماء قيل لابی حنيفة رحمه الله تعالى اذا قلت قولاً وكتاب الله يخالفه قال اتركوا قولى لكتاب الله ؛ قيل فاذا كان قول رسول الله ﷺ يخالفه قال اتركوا قولى لقول رسول الله ﷺ ، قيل فاذا كان قول الصحابة رضى الله تعالى عنهم يخالفه ، قال اتركوا قولى لقول الصحابة رضى الله تعالى عنهم ، وبعد هذا كله جاء الكرخى وقال ان الاصل قول اصحابهم فان وافقته نصوص الكتاب والسنة فذاك والا وجب ، تأويلها ، وجرى العمل على هذا ؛ فهل العامل بهذا مقلد لابی حنيفة رحمه الله أم للكرخى ، وهكذا بعينه ثبت عن الامام مالك والشافعى وأحمد رحمهم الله تعالى

وفيه ايضاً ، ومن جملة الشرك التولات والتناجيس ، جمع قولة ،
 ماتحملة المرأة ليجبها زوجها ، والسحر والتناجيس ما يحمل للعين من
 الخرز والعظام التي يعلقونها على الاطفال ، والتأمم والعزائم وختامات
 القرآت والعدد المعلوم من سورة يس ؛ او بعض الاذكار ؛ وقد بلغ
 من هزؤ هؤلاء بالدين ان كان بعض المشهورين منهم يبيع سورة
 (يس) لقضاء الحاجات او لرحمة الاموات يقرؤها مرات عديدة ،
 فاذا جاء طالب ابتياع القراءة واخذ منه الثمن اعطاها بعد حل عقدها ،
 وقد كنا نسمع عن رؤساء بعض الملل نحو هذا في بيع العبادة التي يسمونها
 القداديس ، فندخر منهم ، حتى علمنا اننا قد اتبعنا لسننهم شبراً بشبر
 حتى دخلنا حجر الضب الذي دخلوه ولا شك ان كل أجرة يؤخذ على
 عبادة فهو من أكل اموال الناس بالباطل ، وقد مضى الصدر الاول ولم
 يكن اخذ الاجر على عبادة ما معروف ، ولا يوجد في كلام اهل القرن
 الاول والثاني كلمة تشعر بذلك ؛ ثم لا يعقل ان تنحقق العبادة وتحصل
 بالاجرة ؛ لان تحققها انما يكون بالنية و ارادة وجه الله تعالى وابتغاء
 مرضاته ، ومتى شاب هذه النية شائبة من حظ الدنيا خرج العمل عن
 كونه عبادة خالصة لله ، والله تعالى لا يقبل الا من كان خالصاً من
 الحظوظ والشوائب ، وقد ورد على لسان الشارع تسمية مثل هذا
 العمل شركاً .

وفيه ايضاً في قوله تعالى ﴿ والهمك آله واحد لا آله الا هو الرحمن
 الرحيم . ان في خلق السماوات والارض ﴾ الآية ، اى فلا تشركوا به

شيئاً ، والشرك به نوعان أحدهما يتعلق بالالوهية ، وهو ان يعتقد ان في الخلق من يشاركه تعالى او يمينه في افعاله او يحمله عايتها او يصده عنها لا جل قربه منه كما يكون من بطانة الملوك الظالمين وحواشيهم وحجابهم واعوانهم ، وثانيهما يتعلق بالربوبية ، وهو ان يؤخذ حكم الدين في عبادة الله تعالى ، والتحليل والتحريم عن غيره ، اى غير كتابه ووحيه الذى بلغه عنه رسله بحجة ان من يؤخذ عنهم الدين من غير بيان الوحي اعلم بمراد الله ، فيترك الأخذ من الكتاب لرأيهم وقولهم وهو المراد بقوله تعالى ﴿ اتخذوا احبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله ﴾ فظاهر أن الواجب على العلماء بالدين أن يبينوا ما أنزله الله للناس ولا يكتمونه ، لا أن يزيدوا فيه أو ينقصوا منه ؛ كما زاد أهل الكتاب أحكاماً كثيرة . ثم هجروا الوحي اكتفاء بها . فهو الآله الواحد الحى القيوم القادر الذى بيده ملكوت كل شئ ، وكل ما تعتمدون عليه من دونه فليس محلاً للاعتماد ، بل اعتمادكم عليه من قبيل الشرك ، فيجب أن تطرحوه جانباً وتعتقدوا أن الآله الذى بيده أزمة المنافع والقادر على دفع المضار وإيقاعها هو واحد لا سلطان لاحد على ارادته ، ولا مبدل لكلمته ؛ ولا أوسع من رحمته ، وانما اكد أمر الوحدة هذا التأكيد تحذيراً من طرق الشرك الخفية ، على أنها أساس الدين وأصله .

وفيه أيضاً : واعلم أن مخالطة المشركين ومجالستهم محظور مرهوب الشر بما يخشى منه أن يسرى شئ من عقائد الشرك بضروب الشبه والتضليل التى جري عليها المشركون ، كقولهم فيمن يتخذونهم وسطاء

بينهم وبين الخلق هو هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، وما تعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴿ فهذه الشبهة هي التي فتن بها أكثر البشر ، ولم يسلم منها أهل شريعة سماوية خالطوا المشركين وعاشروهم فدخلوا في الشرك من حيث لا يشعرون ، لانهم لم يتخذوا معبودات المشركين أنفسهم شفعاء ووسطاء ، بل اتخذوا انبيائهم ورؤسائهم وظنوا أن هذا تعظيم لهم لا ينافي التوحيد الذي أمروا به ، وجعل أصل دينهم وأساس ارتقاء أرواحهم وعقولهم ، وقد اغتروا بظواهر الالفاظ ، وجعلوا تسمية الشيء بغير اسمه اخراجا له عن حقيقته ، فهم قد عبدوا غير الله ولكنهم لم يسموا عملهم عبادة بل اطلقوا عليه لفظا آخر كالاستشفاع والتوسل ، واتخذوا غير الله آلهة وربا . ومنهم من لم يسميه بذلك بل سموه شفيعا ووسيلة ، وتوهموا أن اتخاذ آلهة أو ربا هو تسميته بذلك أو اعتقاد أنه هو الخالق والرازق والحى والميت استقلالاً ، ولو رجعوا إلى عقائد الذين اتبعوا سننهم من المشركين لوجدوهم كما قال الله تعالى ﴿ ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، وإن سألهم من خلقهم ليقولن الله ﴾ .

وفيه أيضاً في قوله تعالى ﴿ وإذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان ﴾ ، فليست جيبوا لى وليؤمنوا بى لعلمهم يرشدون ﴿ أن اعرابياً جاء إلى النبي ﷺ فقال اقرب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فسكت عنه فانزل الله تعالى الآية . وهذا السؤال ليس ببعيد من العرب الذين اعتادوا أن يتخذوا وسائل بينهم وبين آلهتهم يقربونهم إلى الله

خالق السموات والأرض . وهؤلاء الوسائل أما اشخاص وأما امثلة أشخاص كالتماثيل والاصنام ، ولم يهتموا بانفسهم إلى التجرد لمعرفة ذلك الآله العظيم بأنه لا يتقيد بشئ حتى هدام اليه القرآن بآية البينات فكانوا أهل التوحيد الخالص ، والله تعالى قريب من عباده فلا حاجة إلى رفع الصوت ولا إلى الواسطة بينه وبين عباده في الدعاء وطلب الحاجات كما كان عليه المشركون في التوسل بالشفعاء والوسطاء إلى الله تعالى ﴿ أجيب دعوة الداع ﴾ منهم بنفسى من غير واسطة ﴿ إذا ﴾ هو ﴿ دعانى ﴾ وتوجه إلى وحدى في طلب حاجته ، أى يجب أن يدعى وحده بدون واسطة ، لأنه هو الذى خلق الانسان ، ويعلم ما توسوس به نفسه ، وهو الذى يجيب دعوته وحده بدون واسطة تعينه أو تساعده ، أو تكون نائباً عنه فى الاجابة وقضاء الحاجة الخ .

وفيه أيضاً قوله تعالى ﴿ الله لا إله إلا هو الحى القيوم ﴾ الآية ، الآله هو المعبود بالحق ، والحى الدائم ، والقيوم المبالع بالقيام بتدبير خلقه ، والعبادة استعباد الروح واخضاعها لسلطان غيبى لا تحيط به علماً ؛ وهذا هو معنى التأليه فى نفسه وكل ما آله البشر من جماد ونبات وحيوان وانسان فقد اعتقدوا فيه هذا السلطان الغيبى بالاستقلال أو بالتبع لآله آخر أقوى منه ساططاً ، ومن ثمة تعددت الآلهة المنتحلة ، وكل تعظيم واحترام ودعاء ونداء يصدر عن هذا الاعتقاد فهو عبادة حقيقية ، وان كان المعبود غير آله حقيقة ؛ أى ليس له هذا السلطان الذى اعتقده العابده لا بالذات ولا بالواسطة إلى ما هو أعظم منه ، فالله الحق هو الذى يعبد

بحق وهو واحد : والآلهة التي تعبد بغير حق كثيرة جداً . وهي غير آلهة في الحقيقة . ولكن في الدعوى الباطلة التي يثيرها الوهم ، ذلك أن الانسان إذا رأى أو سمع أو توهم أن شيئاً غريباً صدر عن موجود بغير علة معروفة ولا سبب مألوف يتوهم أنه لو لم يكن له تلك السلطة العليا والقوة الغيبية لما صدر عنه ذلك ؛ حتى ان الذي يعتقدون النفع ببعض الشجر والجماد كشجرة الحنفي ونعل الكاشني بمصر يعدون عابدين لها حقيقة . والحاصل أن معنى لا إله إلا الله ، ليس في الوجود صاحب سلطة غيبية حقيقية إلا الله تعالى وحده ﴿ فن يكفر بالطاغوت ﴾ من مخلوق يعبد ورئيس يقلد وهوى يتبع ﴿ ويؤمن بالله ﴾ فلا يعبد إلا إياه ، ولا يرجو غيره ولا يخشى سواه ؛ يرجوه ويخشاه لذاته . وبما سنه من الاسباب والسنن في عبادته ﴿ فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ﴾

وقوله تعالى ﴿ إن الدين عند الله الاسلام ﴾ ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه ﴿ فاعلم أن الله تعالى شرع الدين لأمرين أصليين : أحدهما تصفية الارواح وتخليص العقول من شوائب الاعتقاد بالسلطة الغيبية للمخلوقات وقدرتها على التصرف في الكائنات ، لتسلم من الخضوع والعبودية لمن هم من امثالهم ، أو لما هو دونها في استعدادها وكما لها . وثانيهما اصلاح القلب بحسن القصد في جميع الاعمال ، واخلاص النية لله وللناس ، فتي حصل هذان الأمران انطلقت الفطرة من قيودها العائقة لها عن بلوغ كمالها . وهذان الأمران هما روح المراد من كلمة الاسلام . هوأما أعمال العبادات فانما شرعت لتربية هذا الروح الاصرى في الروح

الخلق ، ولذلك شرط فيها النية والأخلاص ، ومتى تربى سهل على صاحبه القيام بسائر التكاليف الأدبية والمدنية . ولما كان آه ألف آه من غفلة الناس عن حقيقة الاسلام والدين حجبت عنها الرسوم العملية ، والتقاليد المذهبية ، والنزغات النظرية .

وقوله تعالى ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ﴾ فهذه الآية قررت وحدانية الألوهية ووحدانية الربوبية فاما وحدانية الألوهية فهي قوله تعالى ﴿ أن لا نعبد إلا الله ﴾ وأكدته بقوله ﴿ ولا نشرك به شيئاً ﴾ والاله هو المعبود الذي توله العقول في معرفته وتدعوه وتصمد اليه لاعتقادها ان السلطة الغيبية له وحده ، وأما وحدانية الربوبية فهي قوله ﴿ ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ﴾ فالرب هو السيد الربى الذى يطاع فيما يأمر وينهى ، والمراد هنا من له حق التشريع والتحليل والتحرير ، كما فى حديث عدى بن حاتم وحذيفة رضى الله تعالى عنهما ﴿ فان تولوا ﴾ وأعرضوا عن هذه الدعوة وأبوا إلا أن يعبدوا غير الله باتخاذ الشركاء الذين يسمونهم وسطاء وشفعاء . واتخاذ الأرباب الذين يحلون لهم ويحرمون ﴿ فقولوا اشهدوا بانا مسلمون ﴾ نعبد الله وحده مخلصين له الدين لاندعوا سواه ولا نتوجه الى غيره فى طلب نفع ولا دفع ضرر ، ولا نحل الاماأحله ولا نحرّم الاماأحرمه ، والآية حجة على انه لا يجوز لاحد أن يأخذ بقول احد مالم يسنده الى المعصوم يعنى فى مسائل الدين البحتة ، العبادات والحلال والحرام

وفي قوله تعالى ﴿ ليس لك من الامر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون ﴾ نزلت هذه الآيات في واقعة احد وأصاب على النبي ﷺ ما أصاب ، فأي نصيب من هذا الدين للذين يجعلون امر العباد وتدير شئون السكون لطائفة من أصحاب القبور أو الاحياء الذين يلقبون بالمشائخ والاولياء فيزعمون انهم ينصرون ويخذلون ويسعدون ويشقون ويميتون ويحيون ويعفون ويفقرون ، ويمرضون ويشفون ويفعلون كل ما يشاؤون ، هل يعد هؤلاء من أهل الاسلام ، واتباع القرآن فهل كان أهل بخارى مهتدين به عند ما كانوا يقولون : وقد علموا بعزم روسيا على الاستيلاء على بلادهم ، ان شاه نقشبند هو حامي هذه البلاد فلن يستطيعها احد ، هل كان أهل فاس مهتدين به عند ما لجأوا الى قبر (إدريس) يستغيثونه ويستفتحون به على الفرنسيين ، هل كان المسلمون على شيء من هذا الدين عندما كانوا يستنصرون بقراءة البخارى أو يستغيثون بالاولياء في بلاد كثيرة ، أيزعمون ان تلك النزعات الوثنية تعد من الدعاء المشروع . الم يعتبروا بهذه الآية ، وما جرى على سيد البشر ﷺ .

وفي قوله تعالى ﴿ لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ﴾ تركيته ايام هي تطهيرهم من العقائد الزائفة ووساوس الوثنية وادراجها والعقائدهى أساس المكات ، فمن لم يترك عقله ويتطهر من خرافات الوثنية وجميع العقائد الباطلة لا تركى نفسه بالتخلي عن الاخلاق الذميمة ، والتخلي

بالمسكات الفاضله . فان الوثني من يعتقد ان وراء الاسباب الطبيعية التي ارتبطت بها المسببات منافع ترجى ومضار تخشى من بعض المخلوقات ؛ وانه يجب تعظيم هذه المخلوقات والالتجاء اليها ليؤمن ضررها . ويتألم خيرها ، ويتقرب بها الى خالقها ، وان من يعتقد هذا يكون دائماً أسيراً الاوهام واخيراً خرافات ؛ يخاف في موضع الامن ، ويرجو احيث يجب الحذر والخوف ، وتعمد قذارة عقله الى نفسه فتفسد أخلاقها ، وتدنس آدابها . فتزكية النفس لاتتم الا بتزكية العقل ، ولا تتم تزكية العقل الا بالتوحيد الخالص

وفي قوله تعالى ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ﴾ الآيات ؛ والشرك هو الخضوع لسلطة غيبية وراء الاسباب والسنن المعروفة في الخلق بان يرجى صاحبها ويخشى منه . وهذه السلطة لاتكون لغيره تعالى فلا يرجى غيره ولا يخشى سواه في أمر من الأمور التي هي وراء الاسباب المقدورة للمخلوقين عادة . لان هذا خاص به تعالى فمن اعتقد ان غيره يشركه فيه كان مؤمناً مشركاً ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون ﴾ وأما التعطيل فهو انكار الألوهية البتة ، والاشراك قد ذكر في القرآن بعض ضروبه عند مشركي العرب . وهو عبادة الاصنام باتخاذهم أولياء وشفعاء ووسطاء عند الله تعالى يقربون المتوسل بهم اليه ويقضون الحاجات عنده ، والآيات في ذلك كثيرة . والشرك أنواع وضروب أدناها ما يتبادر الى أذهان المسلمين انه العبادة لغير الله كالركوع والسجود لله ، وأشدّها وأقواها هو ما سماه الله تعالى دعاء وإستشفاعاً وهو التوسل

بهم الى الله وتوسطهم بينهم وبينه تعالى . فالقرآن ناطق بهذا . وهو المشهور في كتب السير والتاريخ ، فهذا المعنى هو أشد أنواع الشرك ، وأقوى مظاهره التي يتجلى فيها معناه أتم التجلي ، وهو الذي لا ينفع معه صلاة ولا صيام ولا عبادة أخرى ، ولا يخفى ان هذا الشرك قد فشى في المسلمين اليوم ؛ كالمعتقدين الغالين في البدوى ، وشيخ العرب . والدسوقي ، وغيرهم ؛ لا يحتمل التأويل (قلت وكالمعتقدين في عبد القادر الجيلاني ، وبهاء الدين النقشبند ، ومعين الدين الجشتي وغيرهم) وليس هو من الشرك الخفى الذى وردت الاحاديث بالاستعاذة منه الذى لا يكاد يسلم منه الا الصديقون .

وقد قال العلامة العارف بالله تعالى الشيخ ولى الله عبد الرحيم الدهلوى رحمه الله تعالى فى كتابه (حجة الله البالغة) يجب الايمان بان العبادة حق الله تعالى على عباده ، لانه منعم عليهم مجاز لهم بالارادة ، فاعلم ان من أعظم أنواع البر ان يعتقد الانسان بجماع قلبه بحيث لا يحتمل نقيض هذا الاعتقاد عنده ان العبادة حق الله تعالى على عباده . وانهم مطالبون بالعبادة من الله تعالى ، بمنزلة سائر ما يطالبه ذووا الحقوق من حقوقهم قال النبي ﷺ يا معاذ هل تدري ما حق الله على عباده وما حق العباد على الله قال معاذ الله ورسوله أعلم قال فان حق الله على عباده ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وحق العباد على الله تعالى ان لا يعذب من لا يشرك بالله شيئاً فمن لا يعتقد هذا فهو دهري لا تقع عبادته وان باشرها بجوارحه بموقع من قلبه ولا تفتح باباً بينه وبين ربه . وكانت عادة كسائر عاداته .

بدأ الله تعالى سورة آل عمران بقوله ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم
وان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء﴾. هو الذي يصوركم
في الارحام كيف يشاء . لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴿فالموحدون يقولون
﴿ربنا لا ترغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك
انت الوهاب﴾ ﴿وشهد الله انه لا إله إلا هو والملائكة واولوا العلم قائما
بالقسط . لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾ ﴿ان الدين عند الله الاسلام
فان حاجوك فقلت اسأمت وجهي لله ومن اتبعني﴾
وقال عيسى عليه السلام داعيا الى توحيد الربوبية وتوحيد العبادة
﴿ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم . وما من إله إلا الله .
وان الله هو العزيز الحكيم . قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا
وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا . ولا يتخذ بعضنا اربابا
من دون الله . فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون﴾
ومن علامة الشرك الايمان بالجبت والطاغوت واطاعة الرؤساء
في كل ما يأمرون به . قال الله تعالى ﴿الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب
يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى
من الذين آمنوا سبيلا . اؤلك الذين لعنهم الله﴾ قال الراغب في غريب
القرآن الجبت الجبس الغسل الذي لا خيره فيه . ويقال لكل ما عبد من
دون الله جبت . وسمى الساحر والكاهن جبتا . والطاغوت عبارة عن
كل متعبد . وكل معبود من دون الله ﴿الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا
بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت

وقد أمروا أن يكفروا به . ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً * أن
الإنسان إذا غلبت عليه الشهوة وثورات الغضب فارتكب معصية ربما
يعود ويتوب فهذا قد تناله المغفرة . وأما إذا مال عن التوحيد الذي هو
أساس الدين إلى ضرب من ضروب الشرك فلا يغفر عنه . إكده الله للناس
أنه لا يغفر لأحد شركه به البتة . وقد يغفر لمن يشاء من المذنبين ما دون
الشرك من الذنوب فلا يعذبهم عليه . والشرك يشبه في أفساده للارواح
ما يصيب القلب أو الدماغ من سهم نافذ أو رصاصة قاتلة . فلا مطلق للنجاة
من العقاب عليه بخلاف ما إذا أصاب السهم في سائر الأطراف فانه يرجى البرء
ذلك بأن الشرك في نفسه هو منتهى فساد الارواح وسفاهة الانفس وضلال
العقول فكل خيراً وحق يقارنه لا يقوى على إضعاف شروره ومفاسده .
والعروج إلى جوار الله تعالى بروح صاحبه فان روحه تكون في الآخرة
على ما كانت في الدنيا متعلقة بشركاء يحولون بينها وبين الخلوص إليه
عز وجل ، والله لا يقبل إلا ما كان خالصاً له ، والمذنب قد يكون في إيمانه
وسريته خالصاً لله عبداً له وحده ، فالعبد المملوك قد يعصى وقد يأبى
فلا العصيان ولا الأباق يخرجانه عن كونه عبداً لسيده واحد ، ولسيده
أن يعاقبه وأن يعفو عنه ، ولا يغفر له أن يجعل نفسه عبداً لغيره لا قنفاً
ولا مبعوضاً ، ومن الناس من يسمون أنفسهم موحدين ، وهم يفعلون
مثل ما يفعل جميع المشركين ولكنهم يفسدون في اللغة كما يفسدون في الدين
فلا يسمون أعمالهم هذه عبادة . وقد يسمونها توسلاً وشفاعة . ولا يسمون من
يدعونهم من دون الله أو مع الله شركاء . ولكن لا يأتون أن يسموهم أولياء .

وشفعاء وانما الحساب والجزاء على الحقائق لاعلى الاسماء . ولو لم يكن منهم الادعاء غير الله ونداؤه لقضاء الحاجات وتفريج الكربات لكفى ذلك عبادة له . وشركا بالله عز وجل فقد قال النبي ﷺ « الدعاء هو (هو العبادة) رواه ابوداود والترمذى وقال حسن صحيح . وهو يفيد حصر العبادة الحقيقية فى الدعاء وهو حصر على سبيل المبالغة . كان ماعدا الدعاء لا يعد عبادة بالنسبة اليه وهذا الحديث مثل (الحج عرفة) أى هو الركن الاعظم الذى لا يعتد بغيره عند تركه . ومن تأمل تعبير الكتاب العزيز عن العبادة بالدعاء فى أكثر الآيات الواردة فى ذلك وهى كثيرة جداً يعلم كما يعلم من اختبار أحوال البشر فى عباداتهم ان الدعاء هو العبادة الحقيقية الفطرية التى يثيرها الاعتقاد الراسخ من أعماق النفس لاسيما عند الشدة ، وان ماعدا الدعاء من العبادات فى جميع الأديان فكله أو جله تعليمى تكليفى يفعل بالتكلف وبالقدوة ، وقد يكون فى الغالب خالياً عن الشعور الذى به يكون القول أو العمل عبادة وهو الشعور بالسلطة الغيبية التى هى وراء الأسباب العادية ، حتى ان الادعية التعليمية فى جميع الأديان قد تكون خالية عن معنى العبادة وروحها الذى ذكرناه ، فان كثيراً من الادعية الراتبة فالحافظ لها يحرك بها لسانه فى الوقت المعين وقلبه مشغول بشيء آخر ، انما العبادة جد العبادة فى الدعاء الذى يفيض على اللسان من سويداء القلب وقرارة النفس عند وقوع الخطب وشدة الكرب والشعور بشدة الحاجة الى الشيء واستعصاء الوسائل اليه وتقطع الأسباب دونه ، ذلك الدعاء الذى تسمعه

من أصحاب الحاجات وذوى السكرات عند حدوث المهمات ، وفي هياكل العبادات ، ولدى قبور الاموات . ذلك الدعاء الذى يغشاها جلال الاخلاص ويتل كل حرف من حروفه معنى الخشوع التام ، وتاهيل بما يفجره هذا الخشوع . من يتابع الدعاء ، ذلك الدعاء الذى يستغله سنده ولهياكل ، يستثمره خدمة المقابر ، ويضن به ويدافع عنه رؤساء الاديان ، لانه أشد أركان رياستهم على العوام ، وهذا أشد أنواع الشرك ﴿ ومن يشرك بالله فقد ضل ضللاً بعيداً ﴾ فانه قد تنكب عن سبيل الرشاد وبعد عن سبيل الهداية . موعلاً فى مهامة الغواية ولانه ضلال يفسد العقل ، ويجعله يخضع لعبد مثله فيطيع من لا يطاع ، ويرجو ولا موضع للرجاء ، ويخاف ولا موطن للخوف ، ويكون عبداً للالوهام اعرضة للخرافات .

وقد قال الله تعالى فى سورة المائدة ﴿ وقال المسيح يا بنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم ، انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ، وماواه النار ، وما للظالمين من انصار ، لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة ، وما من إله إلا إله واحد ، قل أتعبدون من دون ما لا يملك لكم ضرراً ولا نفعاً ، والله هو السميع العليم ، وإذا قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذونى وأبى إلهين من دون الله ، قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق ، إن كنت قلته فقد علمته ، تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك ، إنك أنت علام الغيوب ، ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به ان اعبدوا الله ربى وربكم ﴾ الآية .

وفي سورة الانعام ﴿ قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله ، قل لا اتبع أهواءكم ، قد ضللت اذاً وما أنا من المهتدين ﴾ وفيها أيضاً بعد أن عدد الله تعالى بانه فالق الحب والنوى ، ومخرج الميت من الحى ومخرج الحى من الميت وفالق الاصباح ، وجاعل الليل سكناً والشمس والقمر حسباناً ، والنجوم علامات ، ومنزل الامطار ومخرج الحبوب والنخيل والاعناب ، وبديع السموات والارض قال ﴿ ذلکم الله ربکم لا إله إلا هو خالق كل شئ فاعبدوه ، وهو على كل شئ وكيل ، ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ، وإلى عاد أخاهم هوداً ، قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ، أفلا تتقون ، قالوا أجبثنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا ، فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين ، وإلى ثمود أخاهم صالحاً ، قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ، قد جاءكم بينة من ربكم ﴿ الآية . وهكذا سائر الرسل والانبياء عليهم الصلاة والسلام ، انما دعوا الناس الى توحيد الله بالعبادة .

وفي سورة الزمر ﴿ قل اني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين وأمرت لأن أكون أول المسلمين ، قل اني أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم ، قل الله اعبد مخلصاً له ديني ، فاعبدوا ما شئتم من دونه ، قل ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ، الا ذلك هو الخسران المبين ، ذلك يخوف الله به عباده ، يا عباد فاتقون ، والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وانا بوا الى الله لهم البشرى فبشر عباد

الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم الأولياء ﴿١﴾

وفي سورة الجن ﴿٢﴾ وإن المساجد لله فلا تدعوا مع أحداً ، وإنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبداً ، قل إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحداً ، قل انى لا أملك لكم ضرراً ولا رشداً ، قل انى لن يحيرنى من الله أحد ، ولن أجد من دونه ملتحداً ، الا بلاغا من الله ورسالاته ، ومن يعصى الله ورسوله فان له نارجهم خالدين فيها أبداً ﴿٣﴾ .

وقد ذكر الاستاذ العلامة السيد محمد رشيد رضا رحمه الله تعالى في سورة التوبة من تفسيره ﴿٤﴾ اتخذوا احبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله والمسيح بن مريم ﴿٥﴾ الاحبار جمع حبر ، وهو العالم من أهل الكتاب ، والرهبان جمع راهب ومعناه فى اللغة الخائف ، وهو عند النصارى المتبتل المنقطع للعبادة ، والرهبانية فى النصرانية بدعة ، كما قال الله تعالى ﴿٦﴾ ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم ﴿٧﴾ وكانت نيتهم فيها صالحة ، كما قال تعالى ﴿٨﴾ الا ابتغاء رضوان الله ﴿٩﴾ ذلك بان الاصل فيها تأثير مواعظ المسيح عليه السلام فى الزهد والاعراض عن لذات الدنيا ، ثم صار أكثر متحلّينها من الجاهلين والكسالى فكانت عبادتهم صورية اعقبتهم رياء وعجباً وغروراً بانفسهم وبتعظيم العامة لهم ولذلك قال تعالى ﴿١٠﴾ فما رعوها حق رعايتها ﴿١١﴾ ولما صارت النصرانية ذات تقاليد منظمة فى القرن الرابع وضع رؤساؤهم نظماً وقوانين للرهبانية ولعيشتهم فى الاديار ، وصار لها عندهم فرق كثيرة يشكو بعض احرارهم من مفسادهم فيها . فكان ذلك .

مصداقا لقوله تعالى في سلفهم الصالحين ﴿فَاتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾
وفي خلفهم المرائين ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ وهذه الآية من تحرير
القرآن للحقائق في المسائل الكبيرة بعبارة وجيزة هي الحق المفيد فيها.
وقد نهى النبي ﷺ عن الرهبانية في الاسلام .

والمعنى اتخذ كل من اليهود والنصارى رؤساء الدين فيهم اربابا
فاليهود اتخذوا اُحبارهم ، وهم علماء الدين فيهم اربابا بما أعطوهم من حق
التشريع فيهم وأطاعوهم فيه ، والنصارى اتخذوا رهبانهم أى عبادهم
الذين يخضع العوام لهم اربابا كذلك . والاظهر أن يكون المراد من
الاحبار والرهبان جملة رجال الدين من الفريقين ، أى من العلماء والعباد
فذكر من كل فريق ما حذف مقابله من الآخر على طريقة الاحتباك
أى اتخذ اليهود احبارهم وربانهم والنصارى قسوسهم ورهبانهم اربابا
غير الله ، وبدون اذنه باعطائهم حق التشريع الدينى لهم وبغير ذلك مما هو
حق الرب تعالى ، وهم يتوسلون بهم ، ويتخذون لهم الصور والتمائيل في
كنائسهم ، ولكنهم لا يسمون هذا عبادة في الغالب . وأما اتخاذهم اربابا
بالمعنى المأثور في تفسير الآية فقد كان عاما عند الفريقين ، فان اليهود لم يقتصر وا
في دينهم على احكام التوراة بل لم يلتزموها بل اضافوا اليها من الشرائع اللسانية
عن رؤسائهم ما كان خاصا ببعض الاحوال من قبل أن يدونوه في المشنة
والتلمود ، ثم دونوه فكان هو الشرع العام وعليه العمل عندهم . وأما النصارى
فقد نسخ رؤسائهم جميع أحكام التوراة الدينية والدينيوية على إقرار
المسيح لها ، واستبدلوا بها شرائع كثيرة في العقائد والعبادات والمعاملات .

جميعاً ، وزادوا على ذلك انتعالهم حق مغفرة الذنوب من شاءوا وحرمان من شاءوا من رحمة الله وملكوته ، وهذا حق الله تعالى وحده ﴿ ومن يغفر الذنوب إلا الله ﴾ أى لا أحد ؛ والقول بعصمة البابا رئيس الكنيسة في تفسير الكتب الإلهية ووجوب طاعته في كل ما يأمر به من العبادات وتحريم المحرقات .

وروى الترمذى وحسنه وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقى في سننه وغيرهم عن عدى بن حاتم رضى الله تعالى عنه قال أتيت النبي ﷺ وهو يقرأ ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ﴾ فقال اما انهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه ، وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه ، كذا في الدر المنثور ، وفي رواية دخل عدى على رسول الله ﷺ وهو يقرأ ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ﴾ قال فقلت انهم لم يعبدوهم ، فقال بلى انهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم ، وقال رسول الله ﷺ يا عدى ماتقول ، أضررك أن يقال الله أكبر ، فهل تعلم شيئاً أكبر من الله ، ما يضررك ، أضررك أن يقال لا إله إلا الله فهل تعلم إلهاً غير الله ، ثم دعاه الى الاسلام فأسلم وشهد شهادة الحق ، قال فلقد رأيت وجهه استبشر ، ثم قال ان اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون ؛ وهكذا قال حذيفة اليماني وابن عباس وغيرهما رضى الله تعالى عنهم في تفسير هذه الآية .

ولبعض المفسرين أقوال في الآية جديدة بأن تنقل بنصها لما فيها

من العبرة لاهل هذا العصر ، قال العلامة الشيخ سايان بن عبد القوى الطوفي الحنبلى فى تفسير هذه الآية من كتابه (الاشارات الالهية ، الى المباحث الاصولية) أى ما يتعلق بحول العقائد واصول الفقه فى القرآن ، مانصه .

أما المسيح فاتخذوه رباً معبوداً بالحقيقة ، وأما الاحبار والرهبان فانما اتخذوهم أرباباً مجازاً ، لانهم أمروهم بأشياء وطاعوهم فيه فصاروا كالارباب لهم بجامع الطاعة ، والنصارى يزعمون أن المسيح قال لتلاميذه عند صعوده عنهم ؛ ما حللتموه فهو محلول فى السماء ، وما ربطتموه فهو مربوط فى السماء ، فمن ثم اذا أذنب أحدهم ذنباً جاء بالقربان الى البطرك أو الراهب وقال يا ابونا اغفر لنا بناء على أن خلافة المسيح مستمرة فيهم وانهم أهل الحل والعقد فى السماء والارض على ما نقلوه عن المسيح ، وهو من ابتداعاتهم فى الدين ﴿ وما أمروا الا ليعبدوا إلهاً واحداً ﴾ الآية . بدليل قول المسيح ﴿ يا بنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وماواه النار ﴾

وقال الامام الرازى فى تفسيره مفاتيح الغيب ، الاكثرون من المفسرين قالوا ليس المراد من الارباب انهم اعتقدوا انهم آلهة العالم ؛ بل المراد انهم أطاعوهم فى أوامرهم ونواهيهم ، نقل ابن عدى بن حاتم رضى الله تعالى عنه كان نصرانياً فانتفى الى رسول الله ﷺ وهو يقرأ سورة برآة فرصل الى هذه الآية ، قال فقلت لسنا نعبدهم ؛ فقال أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ، ويحلون ما حرم الله

فتستحلونه ، قات بلى ، قال فتلك عبادتهم ، وقال الربيع قلت لابي
العاليه كيف كانت تلك الربوبية في بنى اسرائيل ، فقال انهم ربما وجدوا
في كتاب الله ما يخالف أقوال الاحبار والرهبان فكانوا يأخذون بأقوالهم
وما كانوا يقبلون حكم كتاب الله تعالى ، ثم قال الرازى قال شيخنا
ومولانا خاتمة المحققين والمجتهدين ؛ يعنى والده عمر ضياء الدين وشيخه
محي السنة البغوى رحمها الله تعالى ؛ قد شاهدت جماعة من مقلدة الفقهاء
قرأت عليهم آيات كثيرة من كتاب الله تعالى في بعض مسائل وكانت
مذاهبهم بخلاف تلك الآيات فلم يقبلوا تلك الآيات ولم يلتفتوا اليها
وبقوا ينظرون الى كالتعجب ، يعنى كيف يمكن العمل بظاهر هذه
الآيات مع أن الرواية عن سلفنا وردت على خلافها ؛ ولو تأملت حق
التأمل وجدت هذا الداء ساريا في عروق الاكثرين من أهل الدنيا انتهى .
فان قيل انه تعالى كما كفرهم بسبب انهم أطاعوا الاحبار والرهبان
فالفاسق يطيع الشيطان فوجب الحكم بكفره كما هو قول الخوارج ،
والجواب أن الفاسق وان كان يقبل دعوة الشيطان الا انه لا يعظمه
لكن يلعنه ويستخف به ، أما اولئك الاتباع كانوا يقبلون قول الاحبار
والرهبان ويعظمونهم فظهر الفرق .

واعلم ان تفسير هذه الربوبية ان الجهال والحشوية اذا بالغوا في
تعظيم شيخهم وقدوتهم فقد يميل طبعهم الى القول بالحلول والاتحاد ؛
وذلك الشيخ اذا كان طالباً للدنيا بعيداً عن الدين فقد يلقي اليهم أن
الامر كما يقولون ويعتقدون ، وشاهدت بعض المزورين ممن كان بعيداً

عن الدين كما كان يأمر اتباعه واصحابه بان يسجدوا له ، وكان يقول
لهم انتم عبيدى ، فكان يلقي اليهم من حديث الحلول والاتحاد اشياء ،
ولو خلا ببعض الحقى من اتباعه فربما ادعى الألوهية ، فإذا كان هذا
مشاهداً فى هذه الامة فكيف يبعد ثبوته فى الامة السالفة . وحاصل
الكلام ان تلك الربوبية يحتمل ان يكون المراد منها انهم اطاعوهم فيما
كانوا فيه مخالفين لحكم الله ، وان يكون المراد منها انهم قبلوا منهم
انواع الكفر فكفروا بالله ، فصار ذلك جارياً مجرى انهم اتخذوهم
ارباباً من دون الله ، ويحتمل انهم أثبتوا فى حقهم الحلول والاتحاد وكل
هذه الوجوه الاربعة مشاهد وواقع فى هذه الامة : انتهى كلام الرازى
يقول محمد رشيد رحمه الله تعالى ، اننا أوردنا هذا عن هذين
المفسرين من اشهر مفسرى القرون الوسطى

وا كبر نظارها ليعتبر به مسلموا هذا العصر الذين يقلدون شيوخ مذاهبهم
الموروثة بغير علم فى العبادات والحلال والحرام بدون نص من كتاب
الله قطعى الدلالة او سنة رسوله المتبعة بالعمل المتواتر ولا من حديث
صحيح ظاهر الدلالة أيضاً . بل فيما يخالف النصوص وكذا اصول أئمتهم
ايضاً . والذين يتبعون مشائخ الطرق فى بدعهم وغلوهم وضلالهم ويوجد
فيهم فى هذا الزمان من هم مثل من ذكر الرازى ومن هم شر منهم . وقد
بلغنى عن معاصر من الدجالين المنتحلين للتصوف فى مصر انه قال
لبعض الزائرين له ممن يظن انه لا يقول بالخرافات ان مريدى واتباعى
يعتقدون انى اعلم الغيب فماذا افعل وبلغنى عن رجلين لا يعرف احدهما

الآخران كلامهما رأى في المسجد الحرام احد تلاميذ هذا الدجال يقول
نويت ان أصلي ركعتين لسيدى الشيخ فلان او قال لوجه الشيخ فلان.
واما المقلدون لمنتحلي الفقه المذهبي في كل ما يقولون بأرائهم
وتقاليدهم انه حلال وحرام . وان خالف السنة ونص القرآن فهذا داء
عام فلما كنت تجد قبل هذه السنين الاخيرة في البلد الكبير احدا يخالفه
فيؤثر ما صح في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ على قول مشائخ
مذهبهم الا أفرادا غير مجاهرين ونحمد الله تعالى ان رأينا تأثيراً كبيراً
لدعوتنا المسلمين الى هداية الكتاب والسنة فصار يوجد في مصر
وغيرها الوف من الناس على هذه الطريقة والهداية . ومنهم الدعاة اليها
وأولوا الجمعيات التي استتست للتعاون على نشرها .

وقال السيد صديق حسن في تفسيره (فتح البيان في مقاصد القرآن)
وفي هذه الآية ما يزجر من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد عن
التقليد في دين الله . واينار ما يقوله الاسلاف على ما في الكتاب العزيز
والسنة المطهرة . فان طاعة المذهب لمن يقتدى بقوله ويسن بسنته
من علماء هذه الامة مع مخالفته لما جاءت به النصوص . وقامت به حجج
الله وبراهينه ونطقت له كتبه وانبياءؤه . هو كالتخاذ اليهود والنصارى
للاحبار والرهبان ارباباً من دون الله . للقطع بانهم لم يعبدوهم . بل اطاعوهم
وحرموا ما حرموا . وحلوا ما حلوا . وهذا هو صنيع المقلدين من هذه
الامة . وهو اشبه به من شبه البيضة بالبيضة والتمر بالتمر والماء بالماء
فيا عباد الله ويا اتباع محمد بن عبد الله (رسول الله) ما بالكم تركتم الكتاب

والسنة جانباً وعمدتم الى رجالهم مثلكم في تعبد الله اياه وطلبه للعمل
منهم بما دلى عليه وافاداه فعملتم بما جاؤا به من الآراء التي لا تعمد بعماد
الحق ولم تعضد بمعضد الدين ونصوص الكتاب والسنة بل تنادى بأبلغ
نداء وتصوت بأعلى صوت بما يخالف ذلك ويباينه . فاعرتوها آذان صما
وقلوباً غلفاً وافهام مريضة وعقولا مهیضة . واذهاناً كلیلة . وخواطر
عليلة فدعوا ارشدكم الله واياي كتبها لكم الاموات من اسلافكم :
واستبدلوا بها كتاب الله خالقكم وخالقهم ومتعبدكم ومتعبدكم . ومعبودهم
ومعبودكم . واستبدلوا باقوال من تدعونهم بأئمتكم ، وما جاؤكم به من الراى
اقوال امامهم وامامكم : وقدوتهم وقدوتكم وهو الامام الاول محمد بن عبد الله
رسول الله المعصوم (ﷺ) .

« دعوا كل قول عند قول محمد » فما آمن في دينه كمخاطر
اللهم هادى الضال . مرشد التائه . موضح السبيل . اهدنا الى
الحق . وارشدنا الى الصواب . وأوضح لنا منهج الهداية انتهى .
والنقحيق ان اتخاذ الارب غير اتخاذ الالهة . وانها يجتمعان
ويفترقان . فان رب العالمين هو خالقهم وصر بهم بنعمه ومدير أمورهم
يسنته الحكيمية . وشارع الدين لهم . واما الاله فهو المعبود بالفعل . اى
الذي تتوجه اليه قلوب العباد . بالاعمال النفسية والبدنية والتروك للقربة
ورجاء الثواب ومنع العقاب عن اعتقاد انه صاحب السلطان الاعلى
والقدرة على النفع والضر بالاسباب المعروفة وغير المعروفة اذ هو
مسخرها وبغيرها ان شاء ، والحقيق بالعبادة هو الرب الخالق

المدير وحده . ولكن من البشر من يترك عبادته . ومنهم من يعبد غيره معه او من دونه . وكانت العرب تتخذ اصناما تعبدوها ولكنهم لم يتخذوها اربابا . بل شهد القرآن بانهم كانوا يعتقدون ويصرحون بان الله الخالق لكل شيء هو رب كل شيء ومليكه ومدير أمره . وهو يحتاج عليهم بان الرب هو الحقيق بالعبادة وحده دون غيره فلا ينبغي لهم ان يعبدوا احداً من دونه لا بشراً ولا ملكاً ولا شيئاً اسفلها ولا علوها . فمن اعتقد ان انساناً او ملكاً او غيرها من الموجودات يخلق كما يخلق الله او يقدر على تدبير شيء من امور الخلق والتصرف فيها بقدرته الذاتية غير مقيد بسنن الله تعالى العامة في الاسباب والمسببات كامثاله من ابتداء جنسه فقد اتخذ ربا . وكذلك من اعطى اى انسان حق التشريع الدينى بوضع العبادات كالايراد المبتدعة التى تتخذ شعائر موقوتة كالفرائض . وبالتحريم الدينى الذى يتبع خوفاً من سخط الله ورجائه فى ثوابه . فقد اتخذ ربا . واما اذا دعاه فيما لا يقدر عليه المخلوقون بالله من الكسب فى دائرة السنن الكونية والاسباب الدنيوية او سجد له او ذبح القرابين له وذكر عليها اسمه او طاف بقبره وتمسح وقبله تقرباً اليه وابتغاء مرضاته وعطفه وارضائه الله عنه وتقريبه اليه زلفى كما يطوف بالكعبة ويستلم الحجر الاسود ويقبله . ولم يعتقد مع هذا انه يخلق ويرزق ويدبر امور العباد فقد اتخذها لهما ربا . فان جمع بين الامرين فهو المشرك فى الربوبية والالوهية معاً كما بينا هذا مرارا كثيرة

وقد ثبت في الآيات المحكمة القطعية الدلالة ان الله تعالى هو شارع الدين وان رسوله ﷺ هو المبلغ عنه (ان عليك الا البلاغ . ما على الرسول الا البلاغ . فانما عليك البلاغ) فهذه أنواع الحصر التي هي اقوى الدلالات وأركان الدين التي لا تثبت الا بنص كتاب الله تعالى أو بيان رسوله ﷺ لم يراده منه ثلاث (١) العقائد و (٢) (العبادات المطلقة والمقيدة بالزمان أو المكان أو الصفة أو العدد لكلمات الأذان . والاقامة المعدودة المشروطة فيها رفع الصوت و (٣) التحريم الديني . وما عدا ذلك من أحكام الشرع فيثبت باجتهاد الرأي فيما ليس فيه نص . ومداره على إقامة المصالح ودفع المفاسد ؛ ونصوص الكتاب وهدى السنة وعمل السلف الصالح وكلامهم كثير في هذا الباب . ولا سيما التحريم الديني الذي هو موضوعنا هنا ، وكونه لا يثبت الا بدليل قطعي الدلالة والرواية :

ونقل ابن مفلح عن شيخ الاسلام تقي الدين ابن تيمية ان السلف الصالح لم يطلقوا الحرام الا على ما علم تحريمه قطعاً ، وروى الامام الشافعي في الام عن القاضي أبي يوسف رحمه الله تعالى انه قال أدركت مشائخنا من أهل العلم يكرهون في الفتيا أن يقولوا هذا حلال وهذا حرام . الا ما كان في كتاب الله عز وجل بينا بلا تفسير ؛ قلت ان كثيراً من المؤلفين المقلدين ومن بعدهم وتبعهم العوام قالوا بحرمة كثير من الأمور حتى عسروا ما يسره الله من دينه ، وأوقعوا أنفسهم والناس في أشد الحرج مما نهى الله تعالى قليله وكثيره بقوله ﴿ وما جعل عليكم في الدين من

خرج ، ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ، يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴿ وما نقل الامام ابو يوسف وابن تيمية رحمهما الله تعالى عن السلف هو الثابت عن النبي ﷺ وأصحابه وكبار علماء التابعين وأئمة الامصار ، فاما السنة وعمل الصحابة فاقوى الحجج فيهما ما علم نصاً وعملاً من عدم تحريم الخمر والميسر تحريماً عاماً تشريعياً بآية البقرة التي تدل عليه دلالة ظنيّة بقوله تعالى ﴿ وانما أ كبر من نعمهما ﴾ بل ترك الامر فيها لاجتهاد الافراد ، فمن فهم من الآية التحريم تركهما ، ومن لم يفهم ذلك ظل على الاخذ بالاباحة إعتقاداً وعملاً أو إعتقاداً فقط كعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الذي ظل يراجع النبي ﷺ في ذلك ويدعوا الله تعالى (أن يبين لهم في الخمر بياناً شافياً) الى أن نزلت آيات المائدة القطعية الدلالة وهذا هو الاصل فان كان الامر هكذا لا تثبت الحرمة بالدليل الظني . فبالاقتين يقولون ان قول الامام الفلاني أكرهه او لا يعجبني او لا أحبه او لا استحسنه يدل على الكراهة التحريمية مع العلم بان إجتهد العالم حجة عليه لا على غيره . وجملة القول ان الله تعالى انكر في كتابه على من يقول برأيه وفهمه هذا حلال وهذا حرام . وسماه كذاباً وسمى اتباعه شركاً . واعلم ان التحريم على العباد انما هو حق ربهم عليهم ، وكونه تشريعاً دينياً . وانما شارع الدين هو الله تعالى . فاذا انيط التشريع الديني بغيره تعالى كان ذلك اشراكاً بنص قوله تعالى ﴿ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ﴾ .

فليتق الله تعالى من يظنون يجهلهم أن جرأتهم على تحريم ما لم يحرمه الله تعالى على عباده من كمال الدين ، وقوة اليقين ، سواء حرموا ما حرموا بأرائهم واهوائهم ، او بقياس في غير محله ، مع كونهم من غير أهله او بالنقل عن بعض مؤلفي الكتب الميتين ؛ وان كبرت القابهم ، وكذا ان كان أخذاً من نص شرعي لا يدل عليه دلالة قطعية ، على ما تقدم بيانه في الحزب والميسر ، وليتق الله من يضعون للناس الاوراد والاحزاب الكثيرة ، ويعملون لهم شعاراً كشعار الدين المنصوصة يحملهم عليها في الاجتماعات ، واشتراكهم فيها برفع الاصوات ، او توقيتها لهم كالصلوات ، فكل ذلك حق لله وحده ؛ ولم يكن عند أكمل البشر في الدين من أهل القرون الاولى شئ من ذلك ، ووالله ان المأثور في كتاب الله وسنة رسوله من الاذكار والدعوات ، خير من حزب فلان وورد فلان ، وأمثال دلائل الخيرات ، فليراجعوا في كتاب الاذكار للمحدثين ، كاذكار النووى والحصن الحصين للجزرى ، ففيهما ما يكفيهم من الاذكار والادعية المطلقة والمقيدة بالعبادات المختلفة ؛ وبالازيمة والامكنة وحدث الحوادث .

وقد يقول نصير للبدعة ؛ خذول السنة ، ان هذه الاوراد والاحزاب والصلوات التي وضعها شيوخ الطريقة العارفين وكبار العلماء العاملين ، من البدع الحسنة التي جربت فائدتها ؛ وثبتت منفعتها بمواظبة الالوف من المسلمين عليها وخشوعهم بتلاوتها ؛ دون غيرها من الصلوات والاذكار والادعية المأثورة . فكيف يصح لاحد أن

يأفكم عنهم ، والجواب ان كاتب هذا ممن جربوها باخلاص وحسن اعتقاد ، وكان يبكي لقراءة ورد السحر ولا يبكي لتلاوة القرآن ؛ ثم رفعه الله تعالى بعلم الكتاب والسنة ، فعلم ان ذلك كان من الجهل وضعف الايمان ؛ وانه عين ماوقع لمن قبلنا من العباد والرهبان ، وانا نكشف الغطاء عن هذه الشبهة القوية التي قد تعد عذراً للجاهل ما ذكرنا من الآيات القرآنية وسيرة السلف الصالح المرضية ؛ دون من تقوم عليه حجة العلم ونكتفي في ذلك ببيان الحقائق الآتية .

(١) ان الله تعالى ورسوله أعلم بما يرضيه عز وجل من عبادته ، وما يتزكى به عابده منها ، ولا يبيح الايمان لاحد من أهله أن يقول أو يعتقد أن أحداً من شيوخ الطريق والاولياء يساوى علمه علم الله تعالى أو علم رسوله ﷺ بذلك ، دع الظن بانهم يعلمون ما لا يعلم الله ورسوله أو فوق مايعلمان من ذلك فانه أصرح في الكفر بقدر ماتدل عليه صيغة اعمل في الموضوع .

(٢) انه تعالى يقول ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾ فكل من يزيد في الاسلام عبادة أو شعاراً من شعائر الدين فهو منكر لكمال مدع لاتمامه ، وانه أكل في الدين من محمد ﷺ وآله وصحبه رضي الله تعالى عنهم والله در الامام مالك رحمه الله تعالى القائل من زعم أنه يأتي في هذا الدين بما لم يأت به رسول الله ﷺ فقد زعم أن محمداً ﷺ خان الرسالة ، والقائل لا يصلح آخر هذه الامة إلا بما صلح به أولها .

(٣) أنه تعالى يقول ﴿ اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ، ولا تتبعوا من دونه أولياء ﴾ وكان رسول الله ﷺ يقول على المنبر وغير المنبر « وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة » وقد بين العلماء المحققون أن هذه القضية الكلية عامة في الامور الدينية المحضة كالعبادات كما مر مراراً ، وإن البدعة التي تنقسم الى حسنة وسيئة هي البدعة اللغوية التي موضوعها المصالح العامة من دينية ودنيوية كوسائل الجهاد وتأليف الكتب وبناء المدارس والمستشفيات وتنوير المساجد .

ان قيل أن هذه الزيادة التي اتى بها الصالحون هي من المشروع باطلاقات الكتاب والسنة العامة ، كقوله تعالى ﴿ اذكروا الله ذكراً كثيراً ، وصلوا عليه وسلموا تسليماً ﴾ فلا تنافي ما تقدم ، قلنا في الجواب . (٤) أن حقيقة الاتباع المأمور به أن يلتزم اطلاق ما اطلقته النصوص من الكتاب والسنة وتقييد ما قيدته ؛ ولذلك قال الفقهاء : وصلاة رجب وشعبان بدعتان قبيحتان مذمومتان . كما في المنهاج (قال المعصومي وكذا في رد المحتار لابن عابدين الشامي) وما ذلك الا أنها قيدتا بعدد معين وكيفية مخصوصة وزمن مخصوص . وهذا حق الشارع لا المكلف . والا فهما من الصلاة التي هي أفضل العبادات . وقد فصل هذا الموضوع الامام الشاطبي في كتابه الاعتصام .

(٥) أن الزيادة على المشروع في العبادة كالنقص منه ، وإن التكلف والبالغة في المشروع منها غلو في الدين ، وهو مذموم شرعاً بالاجماع ؛ وصح عن النبي ﷺ النهي عنه ، والامر بالمستطاع منه .

(٦) أن الزيادة لا تتحقق كونها زيادة الا مع الاتيان بالاصل ، فمن ترك شيئاً من المأثور المشروع واتى بشئ من هذه العبادات المبتدعة فهو مفضل له على ماشرعه الله تعالى أرسنه رسول الله ﷺ . وكفى بذلك ضلالا واتباعا للهوى ، ولا يمكن لأحد أن يدعى أنه يأتي بشئ منها الا بعد اتيانه بجميع ما صح في الكتاب والسنة في ذلك وأكثر المتعبدین بهذه الاوراد والاحزاب لا يعنون بحفظ المأثور ولا يعلمونه الا قليلا من المشهور بين العامة كالوارد عقب الصلوات ، وهم يبتدعون فيه بالاجتماع له ورفع الصوت به . كما بينه الشاطبي وسماه البدعة الاضافية .
ورد بحق على من تساهل فيه من المتفقهة .

(٧) أن هذه الاوراد والاحزاب لا يخلو شئ منها فيما أطلعنا عليه من أمور منكرة في الشرع ، وأمور لا يجوز فعلها إلا بتوقيف منه كوصف الله تعالى بما لم يصف به نفسه ولا وصفه به رسول الله ﷺ ، أو القسم عليه بخلقه أو بحقوقهم عليه يدون اذنه ، أو القسم بغيره ، وقد سماه الرسول ﷺ شركا . وكذا وصف رسوله ﷺ بما لا يصح وصفه به ، واسناد افعال اليه لم تصح بها رواية وكذا الغلو فيه ﷺ بما لا يليق الا بربه وخالقه وخالق كل شئ ، ومنها ما هو كفر صريح ، ولبعض الدجالين صلوات واوراد فيها من هذه المنكرات مالا يوجد في غيرها من امثالها والذين يعرفون سيرة هؤلاء الدجالين يعلمون انهم وضعوها للتجارة بالدين واكتساب المال والجاه عند العوام ، ومن لم يجعل الله له نورا فخاله من نور . زعم بعض هؤلاء الجاهلين ان المتبوع من اطرائه ﷺ

هو ادعاء الالهوية له كما فعلت النصراني ، وكل ما عدا هذا جائز . ومن هذا الجائز عندهم ما هو مخالف للقرآن كقولهم انه كان يعلم الغيب مطلقاً ومتى تقوم الساعة ، ويزعمون ان الآيات الصريحة في خلاف ذلك نزلت قبل اعلام الله له به ، جاهلين ان الآيات الخاصة بالعقائد لا تنسخ ، وان النسخ فيما يصح نسخه لا يكون الا بنص متأخر في التاريخ عن المنسوخ يبطل الاول ؛ ومنهم من يحتاج ببعض الاحاديث الموضوعة والمنسوبة لترويج هذا الغلو الذي يفتن العوام ، كحديث جابر المنسوب الى عبد الرزاق في خلق النبي ﷺ قبل كل شيء من نور الله تعالى ؛ وهو ان الملائكة وغيرهم خلقوا من ذلك النور ، بل خلق منه كل شيء ، وانه ﷺ أصل هذا الوجود ؛ ومنه خلق كل موجود ؛ وقد يقال فيه من جهة المعقول ان كان ذلك النور الذي خلق منه هو ذات الله تعالى فهو كما يقول النصراني أو أقطع ؛ وان كان نورا مخلوقا وضافته الى الله تعالى بالتشريف فهو المخلوق الاول والمخلوق منه هو الثاني . وقد بينا بطلان هذا الحديث رواية ودراية وكذا ما في معناه في المجلد الثامن من المنار .

(٨) اذا بحث العالم البصير عن سبب عناية كثير من العوام بهذه الاوراد والاحزاب والصلوات المبتدعة وايقارها على التعبد بالقرآن المجيد وبالاذكار والادعية الماثورة عن النبي ﷺ مع ايمانهم بان تلاوة القرآن واذاكاره وادعيته أفضل من كل شيء ، وان ما ثبت في السنة هو الذي يليها في الفضيلة ، وفي كون كل منهما حقا في درجته . لا يجد بعد حجة البحت الا ما ارشدت اليه الآية الكريمة من شرك أهل الكتاب

بأخذ رؤسائهم ربابا من دون الله باعطائهم حق التشريع للعبادات والتحليل والتحریم غوياً في تعظيمهم . ومضاهاة مبتدعة المسلمين لهم في ذلك كما هو ام من قبلهم من الوثنيين كما أنبأنا عن ذلك رسول الله ﷺ بقوله المروى في الصحيحين وغيرهما ﴿ لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه ﴾ قالوا يارسول الله اليهود والنصارى ؛ قال فمن . وما قص الله علينا ما قص من كفرهم الا تحذيراً لنا من مثله ، فانت اذا بحثت عن عبادات هؤلاء النصارى من جميع الفرق تجد في أيديهم اوراداً واحزاباً كثيرة ، منظومة ومنثورة كلها من وضع رؤسائهم ، ولكنها ممزوجة بشئ من كتب انبيائهم كصيغة ؛ الصلاة الربانية ؛ وبعض عبارات زامير عند النصارى وأننى لاهل الكتاب بسور كسور القرآن أو بادية وأذكار نبوية كالاذكار والادعية الحمدية في وصف جلال الله وعظمته وأسمائه الحسنى ؛ وطلب أفضل ما يطلب منه تعالى من خير الآخرة والدنيا ، وهل كان أهل العصر الاول من المسلمين سادة للامم كلها في فتوحهم وأحكامهم الا بهداية الكتاب والسنة ، وهل صارت الشعوب تدخل في دين الله أفواجا إلا اهتداء بهم ثم هل صارت الشعوب الاسلامية بعد ذلك الى ما صارت اليه من الذل والصغار ، وتنفير الامم عن الاسلام إلا بترك هدايتها الى البدع والالحاد ﴿ ومن يضل الله فما له من هاد ﴾ والغلاة المبتدعون لهذه الاوراد والصلوات يخدعون العوام بما

يمزجونه فيها من الآيات مع تحريفهم لها عن مواضعها التي نزلت فيها أو لاجلها ، ومن الأحاديث وكلام الأئمة والصلحاء ؛ ومنها ما هو كذب صراح ؛ وما ليس له سند يعتقد به ؛ ويردون على دعاة الكتاب والسنة بانهم لا يعظمون النبي ﷺ ، أو يكرهون تعظيمه ﷺ لانهم يقفون فيه عند الحد الشرعى ، وبانهم يكرهون الأولياء ، وينكرون مكاشفاتهم وكراماتهم ، والعوام يقبلون هذا منهم لجهلهم بعقيدة الاسلام ، وباجماع المسلمين على انه لا يحتاج بقول أحد معين ولا بفضله في دين الله تعالى الا رسول الله ﷺ إلا الشيعة الامامية فانهم يقولون بعصمة (١٢) رجلا من آل البيت رضى الله عنهم أيضاً .

ان في بعض كتب الصوفية كثيراً من المعارف والفوائد والمواعظ المؤثرة ولكن أكثرها قد أفسدت في دين هذه الامة ما لم تبلغ إلى مثله شبهات الفلاسفة وآراء مبتدعة المتكلمين ، لان هذين النوعين لا ينظر فيهما الا بعض المشتغلين بالعلم العقلى ، وأما كتب الصوفية فينظر فيها جميع طبقات الناس وان كانت أدق عبارة وأخفى إشارة من كتب الفلاسفة ، ولا شك ان خير صوفية هذه الامة السابقون الذين كانوا لا يتصوفون إلا بعد تحصيل علم الكتاب والسنة والفقه والاعتصام بالعمل على طريقة السلف كالامام الجنيد وطبقته ، ثم ظهر فيهم الغلاة ، ومن يسمون صوفية الحقائق فابتدعوا ما أنكره عليهم الأئمة حتى قال الامام الشافعى رحمه الله تعالى ، من تصوف أول النهار لا يأتى آخره إلا وهو مجنون .

وأنت ترى ان الحارث المحاسبي من أجل علماء الصوفية ، وقد روى عنه الجنيد ، وكان من التمسك بالسنة بحيث لم يأخذ مما خلفه والده من المال الكثير دانقاً واحداً على شدة فقره ، وعلى ذلك بانه لا توارث مع اختلاف الدين ، وما كان والده إلا واقفياً ، أى لا يقول أن القرآن غير مخلوق كما انه لا يقول هو مخلوق ، وقد ألف الحارث في أصول الديانات والزهد على طريق الصوفية ، فسئل الامام ابو زرعة عنه وعن كتبه ؛ فقال للسائل ، إياك وهذه الكتب بدع وضلالات ، عليك بالاثر فانك تجد فيه ما يغنيك عن هذه الكتب ؛ قيل له في هذه الكتب عبرة ، فقال من لم يكن له في كتاب الله عبرة فليس له في هذه عبرة ، هل بلغكم ان مالكا أو الثوري أو الاوزاعي أو ابو حنيفة أو الائمة صنفوا كتباً في الخطرات والوساوس وهذه الاشياء ، هؤلاء قوم قد خالفوا أهل العلم ؛ يأتوننا صرة بالمحاسبي ، وصرة بعبد الرحيم الديلمي ، وصرة بحاتم الاصم ، ما أسرع الناس إلى البدع ، وطريقة الصوفية مبتدعة في الدين ، يشغل الناظر فيه عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

فجاء بعدهم هؤلاء القائلون بوحدة الوجود وغير ذلك من البدع المصادمة للنصوص كحى الدين ابن عربي يقول في خطبة فتوحاته .

الرب حق والعبد حق ياليت شعري من المكلف

إن قلت عبد فذاك ميت أو قلت رب أنى يكلف

وغير هذا مما ينقض أساس التكليف ، ويصرح بان الخالق والمخلوق

واحد في الحقيقة ، وانما الاختلاف في الصورة ، ومن شعره في ديوانه .
« وما الكلب والخنزير إلا إلهنا »

فهل يجوز لمسلم أن يجعل كلامه وكلام أمثاله حجة ، ويتخذ قدوة في عقيدته وعبادته ويدعوا العامة الى ذلك ، ونحن نرى المفتونين به من المتصوفة والمتفقهين يقولون انه لا يجوز النظر في أمثال هذه الكتب إلا لاهلها من العارفين برموز الصوفية و اشاراتهم الخفية مع العلم بالكتاب والسنة ، قلت ومن كان من أهل العلم والفهم وأحب أن يستفيد من كلام خيار الصوفية في الحقائق مع التزام السنة وسيرة السلف في العبادة فعليه بكتاب (مدارج السالكين) للمحقق ابن القيم شرح (منازل السائرين) لشيخ الاسلام الهروي الانصارى ، فان فيه خلاصة معارف الصوفية التي لا تخالف الكتاب والسنة مع الرد على ما خالفها .

وفي هذا الزمان لا تجد في علماء مصر حافظاً ، ولا من يصح أن يسمى محدثاً ، دع متصوفته الذين يستحوذ على اكثرهم الجهل ، ويوجد فيهم المنافقون الذين يتخذهم الاجانب جواسيس ودعاة للاستعمار محتجين بشبهة الرضا بالاقدار ، وهم اكبر مصائب الاسلام في المستعمرات الفرنسية الافريقية ، ومن شيوخهم من يأخذ الرواتب المالية من حكامها ، ومن نال بعض أوسمتها الشرفية ، قلت كبعض علماء بخارى والتركستان ومشائخها ، وكذا بلاد الصين والهند وغيرها ؛ فانهم هم الذين أفسدوا الملوك والرعية وصاروا سبباً لاستيلاء الاوروبيين هناك ، وانا كنت أعرف أنفاراً منهم ، نعوذ بالله من علم لا ينفع وقلب لا يخشع

فهذا نموذج من كلام أئمة الاسلام ندعم به ما ذكرناه من الحجج والنصوص في دعوة المسلمين الى فهم القرآن والاهتداء به . وبما ورد في السنة من بيانه . والاكتفاء بعباداتها وأذكارها ، والاستغناء بها عن كل ما عداها من غير غلو ولا تعصب ولا تكلف لما لا يسهل المواظبة عليه . والتفرغ بعد ذلك الى القيام بفروض الكفايات من الدفاع عن الاسلام وتعزيزه . ودفع الاذى والاستعباد والظلم عن أهله ، وإعزاز الامة بالقوة والثروة بالطرق المشروعة المبينة على الفنون الصحيحة والنظام . وانفاقها في سبيل الله ، فهذا أفضل من تلك الاوراد التي لم تبلغ أن تكون من نوافل العبادات على ما فيها من البدع والضلالات ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم قوله تعالى ﴿ وما أمروا الا ليعبدوا الها واحداً ﴾ دون إتخاذ الرؤساء أرباباً من دون الله تعالى ، والربوبية تستلزم الالهوية بالذات . اذ الرب هو الذي يجب أن يعبد وحده . واتخذ النصارى للمسيح رباً وإلهاً . والحال انهم ما أمروا على لسان موسى وعيسى عليهما السلام فيما جاء به عن الله تعالى الا أن يعبدوا ويطيعوا في الدين الهاً واحداً بما شرعه هو لهم وهو ربهم ورب كل شيء . ومليكه (لا إله الا هو) هي تعليل للاصر بالعبادة له وحده بانه لا وجود لغيره في حكم الشرع ، ولا في نظر العقل ، وانما اتخذ المشركون آلهة من دونه بمحض الهوى والجهل ، اذ ظن هؤلاء الجاهلون ان لبعض المخلوقات من السلطان الغيبي والقدرة على النفع والضرر من طريق الاسباب المسخرة للخلق مثل ما لله أما بالذات أو بالواسطة عنده

تعالى والشفاعة لديه ، وهي الشفاعة الشريكة المنفية بنصوص القرآن ﴿سبحانه عما يشركون﴾ أى تنزيهه عن شركهم فى الوهيته بدعاء غيره معه أو من دونه ؛ وفى ربوبيته بطاعة الرؤساء فى التشريع الدينى بدون اذنه انتهى .

قال العبد الضعيف محمد ساطان المعصومى الخجندى المكي وفقه الله تعالى لما فيه رضاه ، وانما اكثر النقل وطولت الكلام فى هذه المسألة لكونها مهمة جداً ، ولابتلاء اكثر الناس بهذه الورطة ، فاوضحت وشرحت وبينت ما استطعت وما توفىقى الا بالله عليه توكلت واليه أُنِيب ، وهو حسبي ونعم الوكيل والتصير .

تكملة . نذكر هنا ما يخص ما ذكره العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى فى مدارج السالكين فى منازل إياك نعبد وإياك نستعين قال ان فاتحة الكتاب تتضمن المطالب العالية . والرد على جميع طوائف أهل الضلال والبدع ، وبنيت هذه السورة على الالهية . والربوبية والرحمة ، فايك نعبد مبنى على الهية وإياك نستعين على الربوبية وطلب الهداية الى صراط مستقيم بصفة الرحمة ، وما يعبد به تعالى لا يكون الا على ما يحبه ويرضاه وعبادته هي شكره وحبه وخشيته . فطرى ومعقول للعقول السليمة لكن طريق التعبد وما يعبد به لاسبيل الى معرفته الا برسله ؛ وفى هذا بيان ان ارسال الرسل أمر مستقر فى العقول ويستحيل تعطيل العالم عنه كما يستحيل تعطيله عن الصانع ، فمن أنكر الرسول فقد أنكر المرسل ولم يؤمن به ولهذا جعل سبحانه الكفر برسله كفراً به .

ونحن محتاجون إلى الهداية التامة . وهي الموصلة إلى طريق الجنة . فمن هدى في هذه الدار إلى صراط الله المستقيم الذي أرسل به رسله وأنزل به كتبه هدى هناك إلى الصراط المستقيم الموصل إلى جنته ودار ثوابه ، وعلى قدر ثبوت العبد على هذا الصراط الذي نصبه الله تعالى لعباده في هذه الدار . يكون ثبوت قدمه على الصراط المنصوب على متن جهنم . وعلى قدر سيره على هذا الصراط يكون سيره على ذاك الصراط . فمنهم من يمر كالبرق ، ومنهم من يمر كالطرف ومنهم من يمر كالريح ، ومنهم من يمر كاشد الركاب ، ومنهم من يسعى سعياً ، ومنهم من يمشى مشياً ، ومنهم من يحبوا حبواً ، ومنهم المخدوش المسلم ، ومنهم المكدوش في النار . فلينظر العبد سيره على ذلك الصراط من يره على هذا حذو القذة بالقذة جزاءً وفاقاً ﴿ هل تجزون إلا ما كنتم تعملون ﴾ ولينظر الشبهات والشهوات التي تعوقه عن سيره على هذا الصراط المستقيم فانها الكلاليب التي يجنبتي ذاك الصراط ، تخطفه وتعوقه عن المرور عليه . فان كثرت هنا وقويت فكذلك هي هناك ﴿ وما ربك بظلام للعبيد ﴾ فسؤال الهداية متضمن لحصول كل خير والسلامة من كل شر .

والله تعالى ذكر الصراط المستقيم منفرداً معرفاً تعريفيين تعريفاً باللام وتعريفاً بالاضافة ، وذلك يفيد تعيينه واختصاصه وانه صراط واحد . وأما طرق أهل الغضب والضلال : فانه سبحانه يجمعها ويفردها كقوله ﴿ وان هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾ فوحد لفظ الصراط وسبيله ، وجمع السبل المخالفة له . وقال ابن :

مسعود رضى الله تعالى عنه خط لنار رسول الله ﷺ خطأ وقال « هذا سبيل الله » ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن يساره وقال « هذه سبيل وعلى كل سبيل شيطان يدعو اليه » ثم قرأ قوله تعالى ﴿ وان هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾ وهذا لأن الطريق الموصل إلى الله واحد . وهو ما بعث به رسله وأنزل به كتبه . لا يصل اليه أحد الا من هذه الطريقة . ولو أتى الناس من كل طريق واستفتحوا من كل باب . فالطرق عليهم مسدودة والابواب عليهم مغلقة إلا من هذا الطريق الواحد . فانه متصل بالله موصل إلى الله . قال الله تعالى ﴿ هذا صراط على مستقيم ﴾ أى صراط موصل إلى .

ولما كان طالب الصراط المستقيم طالباً أصراً أكثر الناس ناكبونه عنه ، يريد لسلوك طريق مرافقه فيها فى غاية العزّة ، والنفوس مجبولة على وحشة التفرد وعلى الانس بالرفيق . نبه الله سبحانه على الرفيق فى هذه الطريق . وانهم هم الذين انعم الله عليهم من النبیین والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ، فاضاف الصراط إلى الرفقاء السالكين له ، وهم الذين انعم الله عليهم ايزول عن الطالب للهداية وسلوك الصراط وحشته تفرده عن أهل زمانه وبنى جنسه . وليعلم أن رفيقه فى هذا الصراط هم الذين انعم الله عليهم ، فلا يكثر بمخالفة الناكبين عنه له . فانهم هم الاقلون قدراً ، وان كانوا الاكثرين عدداً . كما قال بعض السلف عليك بطريق الحق ولا تستوحش لقلة السالكين ، واياك وطريق الباطل ولا تغتر بكثرة الهالكين وكلما استوحشت فى تفردك فانظر

إلى الرفيق السابق وأحرص على اللحاق بهم، وغض الطرف عن سواهم فإنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً . وإذا صاحوا بك في طريق سيرك فلا تلتفت إليهم ، فإنك متى التفت إليهم أخذوك وعاقوك .

وقد ضربت لك مثالين فليكونا منك على بال . المثال الاول : رجل خرج من بيته إلى الصلاة لا يريد غيرها فعرض له في طريقه شيطان من شياطين الانس فالتقى عليه كلاماً يؤذيه فوقف فرد عليه وتماسكا فربما كان شيطان الانس أقوى منه فقهر ومنعه عن الوصول إلى المسجد حتى فاتته الصلاة . وربما كان الرجل أقوى من ذلك الشيطان ولكن اشتغل بها وشغله عنها وشغله عن الصف الاول وكال ادراك الجماعة . فان التفت إليه اطعمه في نفسه وربما فترت عزيمته . فان كان له معرفة وعلم زاد في السعى والجمز بقدر التفاته أو أكثر . فان اعرض عنه واشتغل بما هو بصدده وخاف فوت الصلاة أو الوقت لم يبلغ عدوه منه ما يشاء . (الثاني) الظبي أشد سعياً من الكلب ولكنه إذا أحس به التفت إليه فيضعف سعيه فيدركه الكلب فيأخذه . والقصد أن في ذكر هذا الرفيق ما يزيل وحشة التفرد . ويحث على السير والتشمير للحاق بهم .

وهذه اهدي الفوائد في دعاء القنوت ﴿ اللهم اهديني فيمن هديت ﴾ أي ادخليني في هذه الزمرة واجعلني رفيقاً لهم ومعهم . والفائدة الثانية : أنه توسل إلى الله بنعمه واحسانه إلى من انعم عليه بالهداية . أي قد أنعمت بالهداية على من هديت . وكان ذلك نعمة منك ؛ فاجعل لي نصيباً من هذه النعمة ؛ واجعلني واحداً من هؤلاء المنعم عليهم ، فهو توسل إلى الله

باحسانه . والفائدة الثالثة : كما يقول السائل للكریم ، تصدق علىّ في جملة من تصدقت عليه وعامنى في جملة من علمته ؛ واحسن إلى في جملة من شملته باحسانك .

ولما كان سؤال الهداية الى الصراط المستقيم اجل المطالب ، ونيله أشرف المواهب ، علم الله عباده كيفية سؤاله وأمرهم أن يقدموا بين يديه حمده والثناء عليه وتمجيده . ثم ذكر عبوديتهم وتوحيدهم . فهاتان وسيلتان الى مطلوبهم توسل اليه باسمائه وصفاته ، وتوسل اليه بعبوديته . وهاتان الوسيلتان لا يكاد يرد معهما الدعاء . ويؤيدها الوسيلتان المذكورتان في حديثي الاسم الاعظم اللذين رواهما ابن حبان في صحيحه والامام احمد والترمذى — احدهما — حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه رضى الله عنه قال سمع النبي ﷺ رجلا يدعو ويقول « اللهم انى أسألك بانى أشهد أنك الله الذى لا اله الا أنت الاحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد » فقال والذى نفسى بيده لقد سأل الله باسمه الاعظم الذى إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى » قال الترمذى حديث صحيح .

فهذا توسل الى الله بتوحيده وشهادة الداعى له بالوحدانية وثبوت صفاته المدلول عليها باسم الصمد . وهو كما قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما العالم الذى كمل علمه ؛ القادر الذى كملت قدرته ، والسيد الذى قد كمل فيه جميع أنواع السوود وقال سعيد بن جبیر رضى الله تعالى عنه هو الكامل فى جميع صفاته وأفعاله وأعماله . وينفى التمثيل والتشبيه عنه بقوله ﴿ ولم يكن له كفوا احد ﴾ وهذه ترجمة عقيدة أهل السنة ، والتوسل

بالإيمان بذلك والشهادة به هو الاسم الأعظم . والثاني حديث أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ سمع رجلا يدعو « اللهم اني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم » . فقال لقد سألت الله باسمه الأعظم ، فهذا توسل إليه بأسمائه وصفاته ، وقد جمعت الفاتحة الوسيلتين وهما التوسل بالحمد والثناء عليه وتمجيده ، والتوسل إليه بعبوديته وتوحيده ، ثم جاء سؤال أهم المطالب وأنجح الرغائب وهو الهداية بعد الوسيلتين ؛ فالداعي به حقيق بالاجابة .

ونظير هذا دعاء النبي ﷺ الذي كان يدعو به إذا قام يصلي من الليل ، رواه البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ؛ اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن . ولك الحمد أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والنبیون حق والساعة حق ومحمد حق ، اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت واليک أنبت وبك خاصمت واليک حاکمت فاغفر لی ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت . أنت الهی لا إله إلا أنت . فذكر للتوسل إليه بحمده والثناء عليه وبعبوديته له ثم سأله المغفرة .

والفاتحة مشتملة على شفاعتين . شفاء القلوب وشفاء الأبدان فاما اشتغالها على شفاء القلوب فانها اشتملت عليه أتم اشتغال ، فان مدار اعتلال القلوب وأسقامتها على أصلين ؛ فساد العلم وفساد القصد . ويترتب عليها داءان

قاتلان، وهما الضلال والغضب. فالضلال نتيجة فساد العلم والغضب نتيجة فساد القصد وهذان المرضان هما ملاك امراض القلوب جميعها، فهداية الصراط المستقيم تتضمن الشفاء من مرض الضلال، ولهذا كان سؤال هذه الهداية افرض دعاء على كل عبد وأوجبه عليه كل يوم وليلة في كل صلاة لشدة ضرورته وفاقته الى الهداية المطلوبة، ولا يقوم غير هذا السؤال مقامه، والتحقيق بآياك نعبد و آياك نستعين علما ومعرفة وعملا وحالا يتضمن الشفاء من مرض فساد القلب والقصد فان فساد القصد، يتعلق بالغايات والوسائل فمن طلب غاية منقطعة مضمحلة فانية وتوصل اليها بأنواع الوسائل الموصل اليها كان كلاً نوعي قصده فاسداً، وهذا شأن كل من كان غاية مطلوبة غير الله وعبوديته من المشركين ومتبعي الشهوات الذين لا غاية لهم وراءها وأصحاب الرياسات الذين متبعين لاقامة رياستهم بأي طريق كان من حق أو باطل، فاذا جاء الحق معارضاً في طريق رياستهم طحنوه وداسوه بارجلهم، فان عجزوا عن ذلك دفعوه دفع الصائل؛ فان عجزوا عن ذلك حبسوه في الطريق وحادوا عنه إلى طريق اخرى، وهم مستعدون لدفعه حسب الامكان، فيألهم من خسارة.

وكذلك من طلب الغاية العليا والمطلب الأعلى؛ ولكن لم يتوصل اليه بالوسيلة الموصلة اليه، بل توصل اليه بوسيلة ظنها موصلة اليه، وهي من أعظم القواطع عنه، فحاله أيضاً كحال هذا وكلاهما فاسد القصد، ولا شفاء من هذا المرض إلا بدواء ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ فان هذا الداء مركب من ستة اجزاء (١) عبودية الله لا

لغيره (٢) يصره وشرعه (٣) لا بالهوى (٤) ولا بآراء الرجال وأوضاعهم ورسومهم وأفكارهم (٥) والاستعانة على عبوديته به (٦) لا بنفس العبد وقوته وحوله ولا بغيره ، فهذه هي أجزاء ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾
 فاذا ركبها الطبيب اللطيف العالم بالمرض واستعملها المريض حصل بها الشفاء التام ؛ وما نقص من الشفاء فهو لفوات جزء من اجزائها .
 ثم ان القلب يعرض له مرضان عظيمان إن لم يداركهما تراميا به إلى التلف ولا بد ؛ وهما الرياء والكبر ، فدواء الرياء بإياك نعبد ، وداء الكبر بإياك نستعين ، فاذا عوفي من مرض الرياء بإياك نعبد ، ومن مرض الكبر والعجب بإياك نستعين ، ومن مرض الضلال والجهل باهدنا الصراط المستقيم ، عوفي من امراضه وأسقامه ، ورفل في اتواب العافية وتمت عليه النعمة ، وكان من المنعم عليهم ، غير المغضوب عليهم ؛ وهم أهل فساد القصد الذين عرفوا الحق وعدلوا عنه ، والضالين وهم أهل فساد العلم الذين جهلوا الحق ولم يعرفوه ، وحق لسورة تشتمل على هذين الدوائين والشفائين أن يستشفى بها من كل مرض ، ولهذا لما اشتملت على هذا الشفاء الذي هو أعظم الشفائين كان حصول الشفاء الأدنى بها أولى ؛ كما سنبينه ، فلا شيء أشقى منها للقلوب التي عقلت عن الله وكلامه وفهمت عنه فهما خاصا ، وهذه السورة تبين الرد على جميع أهل البدع والضلال باوضح البيان وأحسن الطرق .
 وأما تضمنها لشفاء الابدان فنذكر منه ما جاءت به السنة وما شهدت به قواعد الطب ودلت عليه التجربة ، وأما ما دلت عليه السنة في الصحيح

عن أبي سعيد الخدري رضى الله تعالى عنه أن ناساً من أصحاب النبي ﷺ صرّوا بحى من للعرب فلم يقرّوهم ولم يضيفوهم فلدغ سيد الحى فأتوهم فقالوا هل عندكم من رقية ، أو هل فيكم من راق ، فقالوا نعم ، ولكنكم لم تقرّونا فلا نفعل حتى تجعلوا لنا جعلاً ، فصالحوا على قطع من الغنم ، فجعل رجل منا يقرأ عليه بفاتحة الكتاب ، فقام كأن لم يكن به قلبه ، فقلنا لا تعجلوا حتى نأتى النبي ﷺ فأتيناه فذكرنا له ذلك ، فقال ما يدريك أنها رقية ، كلوا واضربوا لى بسهم ، فقد تضمن هذا الحديث حصول شفاء هذا اللدغ بقراءة الفاتحة عليه فاغنته عن الدواء ، وربما بلغت من شفاؤه ما لم يبلغه الدواء ، مع كون هذا الحل غير قابل اما لكون هذا الحى غير مسلمين ، أو اهل بخل ولؤم ، فكيف إذا كان الحل قابلاً .

وأما شهادة قواعد الطب بذلك فاعلم ان اللدغة تكون من ذوات الحيات والسموم ، وهى ذوات الانفس الخبيثة التى تتكيف بكيفية غضبية تثير فيها سمية نارية يحصل بها اللدغ ، وهى متفاوتة بحسب تفاوت خبث تلك النفوس وقوتها وكيفية هذه النفوس الغضبية الخبيثة إذا اتصلت بالحل القابل أثرت فيه ، ومنها ما يؤثر فى الحل بمجرد مقابله له وان لم يمسه ، فتنها ما يطمس البصر ويسقط الحبل ، ومن هذا نظر العائن ، فانه إذا وقع بصره على المعين حدثت فى نفسه كيفية سمية أثرت فى المعين بحسب عدم استعداده ، وكونه أعزل من السلاح فاذا قابلت النفس الزاكية العلوية الشريفة التى فيها غضب

وحمية للحق هذه النفوس الخبيثة السمية ؛ وتكيفت بحقائق الفاتحة
واسرارها ومعانيها وما تضمنته من التوحيد والتوكل والثناء على الله
وذكر أصول اسمائه الحسنی دفعت هذه النفس بما تكيفت به من ذلك
أثر تلك النفس الخبيثة الشيطانية فحصل البرء ، فان مبنى الشفاء والبرء ،
على دفع الضد بضده ، وحفظ الشيء بمثله ، فالصحة تحفظ بالمثله
والمرض يدفع بالضد ، أسباب ربطها بمسبباتها الحكيم العليم خلقاً
وأمرأً ، ولا يتم هذا إلا بقوة من النفس الفاعلة وقبول من الطبيعة
المتفعلة فلو لم تنفعل نفس المدوغ لقبول الرقية ولم تقو نفس الراقى
على التأثير لم يحصل البرء ، فهنا أمور ثلاثة ؛ موافقة الدواء للداء ،
وبذل الطبيب له وقبول طبيعة العليل ، فتى تخلف واحد منها لم يحصل
الشفاء ، وإذا اجتمعت حصل ولا بد بإذن الله ؛ ومن عرف هذا كما
ينبغي تبين له أسباب الرقى ، وميز بين النافع منها وغيره ، ورقى الداء
بما يناسبه من الرقى ، وتبين له أن الرقية براقبها وقبول المحل ، كما أن
السيف بضاربه مع قبول المحل للقطع والله تعالى أعلم .
وأما شهادة التجربة بذلك فهي أكثر من أن تذكر ، وذلك في كل
زمان ، وقد جربت أنا من ذلك في نفسى وفي غيرى أموراً عجيبة ،
والامر أعظم من ذلك ، ولكن بحسب قوة الايمان وصحة اليقين والله
المستعان .

قال الجامع المعصومى عنى الله تعالى عنه كما جربت انا حينما حبستنى
البلاشفة اللادينية ، وحكمت على بالاعدام فنجانى الله تعالى بفضله ،

كما ذكرت نبذة منه في مختصر ترجمة حالى الذى كنت كتبته مقدمة لتف سير
أم القرآن هذا ؛ فليراجع الطالب فانه فيه الكفاية مع عبر كثيرة ، وقد
طبع في مصر عام (١٣٥٦) .

وأما اشتمال الفاتحة على الرد على جميع المبطلين من أهل الملل والنحل
والرد على أهل البدع والضلال من هذه الامة ، وهذا يعلم بطريقتين . مجمل
ومفصل ، أما المجمل فهو أن الصراط المستقيم متضمن لمعرفة الحق
وإيثاره وتقديمه على غيره ومحبيه والانقياد له والدعوة اليه وجهاد أعدائه
بحسب الامكان ، والحق هو ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه رضى الله
تعالى عنهم ، وما جاء به علما وعملا في باب صفات الرب سبحانه وأسمائه
وتوحيده وأمره ونهيه ووعدته ووعدته . وفي حقائق الايمان التى هى منازل
السائرين الى الله تعالى . وكل ذلك مسلم الى رسول الله ﷺ دون آراء
الرجال وأوضاعهم وأفكارهم وإصطلاحاتهم . فكل علم أو عمل أو حقيقة
أو حال أو مقام خرج من مشكاة نبوته وعليه السكة الحميدة بحيث يكون
من ضرب المدينة فهو من الصراط المستقيم ، وما لم يكن كذلك فهو من
صراط أهل الغضب والضلال .

وأما المفصل فمعرفة المذاهب الباطلة ، وإشتمال كلمات الفاتحة على
إبطالها فنقول الناس قسمان مقر بالحق تعالى وجاحدله . فتضمن الفاتحة
لأثبات الخالق تعالى والرد على من جحده بأثبات ربوبيته تعالى العالمين
وتأمل حال العالم كله علوية وسفلية بجميع أجزائه تجده شاهداً بأثبات
صانعه وفاطره ومليكه ، فانكار صانعه وجحده في العقول والفطر بمنزلة
إنكار العلم بوجود نفسه وجحده لافرق بينهما .

والمثبتون للخالق تعالى نوعان ، أهل توحيد وأهل اشراك ، وأهل
الاشراك نوعان أحدهما أهل الاشراك في ربوبيته وآلهيته كالمجوس ومن
ضاهاهم من القدرية ، فانهم يثبتون مع الله خالقاً آخر وإن لم يقولوا انه
مكافئ له ، فربوبيته العالم كله تبطل أقوال هؤلاء كلهم . لانها تقتضى
ربوبيته لجميع ما فيه من الذوات والصفات والحركات والافعال .
وقد قال تعالى ﴿ وما تشاؤون الا أن يشاء الله ﴾ وفي قوله ﴿ وإياك
نستعين ﴾ رد ظاهر عليهم اذ استعانتهم به انما تكون عن شيء هو بيده .
وتحت قدرته ومشيتته و﴿ إهدنا الصراط المستقيم ﴾ أيضاً رد عليهم فان
الهداية هي المستلزمة لحصول الاهتداء . ولولا انها بيده تعالى دونهم لما
سألوه إياها . وهي المتضمنة للارشاد والبيان والتوفيق والاقدار وجعلهم
مهيئين . وليس مطلوبهم مجرد البيان والدلالة كما ظنته القدرية . لان
هذا القدر وحده لا يوجب الهدى ، ولا يتجى من الردى ، وهو حاصل
لغيرهم من الكفار الذين استحبوا العمى على الهدى وأشتروا الضلالة
بالهدى .

والنوع الثانى أهل الاشراك به فى آلهيته ، وهم المقرون بانه وحده رب
كل شيء ومليكه وخالقه ، وأنه ربهم ورب آبائهم الاولين ، ورب السموات
السبع ورب العرش العظيم ، وهم مع هذا يعبدون غيره ويعدلون به سواه
فى المحبة والطاعة والتعظيم ، وهم الذين اتخذوا من الله انداداً هؤلاء لم
يوفوا ﴿ إياك نعبد ﴾ حقه . وان كان لهم نصيب من نعبدك ؛ ولكن
ليس لهم نصيب من ﴿ إياك نعبد ﴾ المتضمن معنى لا نعبد الا اياك حباً

وخوفاً ورجاء وطاعة وتعظيماً. فإياك نعبد لتحقيق لهذا التوحيد، وإبطال للشرك في الآلهية. كما أن إياك نستعين لتحقيق لتوحيد الربوبية وإبطال للشرك به. وكذلك قوله ﴿اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم﴾ فإنهم أهل التوحيد، وهم أهل تحقيق ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾. وأهل الإشراك هم أهل الغضب والضلال.

واعلم أن الله تعالى قسم الناس إلى ثلاثة أقسام: منعم عليهم وهم أهل الصراط المستقيم الذين عرفوا الحق واتبعوه، ومغضوب عليهم وهم الذين عرفوا الحق ورفضوه، وضالون وهم الذين أخطأوه وجعلوه. فكل من كان اعرف للحق واتبع له كان أولى بالصراط المستقيم. ولا ريب أن أصحاب رسول الله ﷺ ورضي عنهم أولى بهذه الصفة من الروافض ومن شاكلهم من أهل البدع. فإنه من المحال أن يكون أصحاب رسول الله ﷺ ورضي عنهم جهلوا الحق وعرفه الروافض ونحوهم. ثم إننا رأينا آثار الفريقين تدل على أهل الحق منهما فرأينا أصحاب رسول الله ﷺ فتحوا بلاد الكفر وقلبوها بلاد الإسلام، وفتحوا القلوب بالقرآن والعلم والهدى. فآثارهم تدل على أنهم أهل الصراط المستقيم ورأينا الروافضة والابتدعة بالعكس في كل زمان ومكان. فإنه قط مآل للمسلمين عدو من غيرهم إلا كانوا أعوانهم على الإسلام. وكم جروا على الإسلام وأهله من بلية، فأى الفريقين أحق بالصراط المستقيم، وأيهما أحق بالغضب والضلال إن كنتم تعلمون. ولهذا فسر السلف الصراط المستقيم وأهله بابي بكر وعمر وأصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم. وهو كما

فسروه فانه صراطهم الذي كانوا عليه . وهو عين صراط نبيهم ، وهم الذين أنعم الله عليهم ، وغضب على اعدائهم وحكم لهم بالضلال .

وسر الخلق والامر والكتب والشرائع والثواب والعقاب انتهى الى هاتين الكلمتين ﴿ اياك نعبد واياك نستعين ﴾ وعليهما مدار العبودية والتوحيد ، والعبادة تجمع أصليين غاية الحب بغاية الدل والخضوع . قلت وانما العبادة عبارة عن الاعتقاد والشعور بان للمعبود سلطة غيبية فوق الاسباب يقدر بها على النفع والضرر . فكل دعاء وثناء أو تعظيم يصاحبه هذا الاعتقاد والشعور فهو عبادة . ومشركوا العرب كانوا يقرون بكونه تعالى رباً للعالمين وخالقاً لهم . وهذا هو غاية توحيدهم وهو توحيد الربوبية . ولم يخرجوا به عن الشرك كما قال الله تعالى ﴿ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ﴾ الآيات . ولهذا يحتاج عليهم به على توحيد آلهيته . وانه لا ينبغي أن يعبد غيره كما أنه لا خالق غيره ولا رب سواه .

والاستعانة تجمع أصليين . الثقة بالله والاعتماد عليه ، والتوكل معنى يلتئم من اصليين ، من الثقة والاعتماد وهو حقيقة ﴿ اياك نعبد واياك نستعين ﴾ وهذا من الاصلان وهو التوكل والعبادة قد ذكر في القرآن في عدة مواضع قرن بينهما فيها هذا احدها (الثاني) قول شعيب عليه السلام ﴿ وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت واليه انيب ﴾ (الثالث) قوله تعالى ﴿ ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه ﴾ الرابع قوله تعالى حكاية عن المؤمنين ﴿ ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير ﴾ الخامس قوله تعالى ﴿ واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلاً رب المشرق

والمغرب لا إله إلا هو فاتخذوه وكيلاً ﴿ السادس قوله تعالى ﴿ قل هو
ربي لا إله إلا هو عليه توكلت واليه انيب ﴾

وتقديم العبادة على الاستعانة في الفاتحة من باب تقديم الغايات على
الوسائل اذ العبادة غاية العباد التي خلقوا لها والاستعانة وسيلة اليها
ولان إياك نعبد متعلق بالوحيته واسمه الله ، وإياك نستعين متعلق
بربوبيته واسمه الرب . فقدم إياك نعبد على إياك نستعين كما تقدم اسم
الله على الرب في أول السورة .

اذا عرف هذا فالناس في هذين الاصلين وهما العبادة والاستعانة
اربعة اقسام أجلها وأفضلها اهل العبادة والاستعانة بالله عليها . فعبادة
الله غاية مرادهم وطلبهم منه أن يعينهم عليها ويوفقهم للقيام بها ولهذا كان
من أفضل ما يسأل الرب تعالى الاعانة على مرضاته ، وهو الذي علمه
النبي ﷺ لحبه معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه فقال يا معاذ اني لاحبك
فلا تنس أن تقول في دبر كل صلاة اللهم اعني على ذكرك وشكرك
وحسن عبادتك . فانفع الدعاء طلب العون على مرضاته وافضل المواهب
اسعافه بهذا المطلوب وجميع الادعية الماثورة مدارها على هذا وعلى دفع
ما يضاده . وعلى تكميله وتيسير أسبابه فتأملها في ﴿ إياك نعبد وإياك
نستعين ﴾ ومقابل هؤلاء القسم الثاني وهم المعرضون عن عبادته والاستعانة
به فلا عبادة ولا استعانة بل ان سأله انخدم واستعان به فعلى حظوظه
وشهواته لا على مرضات ربه وحقوقه فانه سبحانه يسأله من في السموات
والارض ، يسأله أوليائه وأعدائه ويعد هؤلاء وهؤلاء ، وأبغض خلقه

عدوه ابليس ومع هذا فسأله حاجة فاعطاه إياها وامتعه بها ولكن لما لم يكن عوناً له على مرضاته كانت زيادة له في شقوته وبعده عن الله وطرده عنه ، وهكذا كل من استعان به على أمر وسأله إياه ولم يكن عوناً على طاعته كان مبعداً له عن مرضاته قاطعاً له عنه ولا بد وليتأمل العاقل هذا في نفسه وفي غيره ، وليعلم أن اجابة الله لسائله ليست لكرامة كل سائل عليه ، بل يسأله عبده الحاجة فيقضيها له وهي فيها هلاكه وشقوته ويكون قضاءؤها له من هوانه عليه وسقوطه من عينه ويكون منعه منها لكرامته عليه ومحبتة له فيمنعه حماية وصيانة وحفظاً لا بخلا وهذا انما يفعله بعبده الذي يريد كرامته ومحبتة ويعامله بلطفه فيظن يحبه أن الله لا يحبه ولا يكرمه ويراه يقضى حوائج غيره فيسيء ظنه بربه وهذا حشو قلبه ولا يشعر به والمعصوم من عصمه الله ولا يظن أن عطائه كل ما أعطى لكرامة عبده عليه . ولا منعه كل ما يمنعه لهوان عبده عليه ، ولكن عطائه ومنعه ابتلاء وامتحان يمتحن بهما عباده ، قال الله تعالى ﴿ فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربى اكرمنى واما اذا ما ابتلاه فقد رزقه فيقول ربى اهاننى كلاً ﴾ أى ليس كل من أعطيته ونعمته وخولته فقد اكرمته ، وما ذاك لكرامته على ، ولكنه ابتلاء منى وامتحان له ، أيشكرنى فاعطيه فوق ذلك . أم يكفرنى فاسلبه إياه واخول فيه غيره ، وليس كل من ابتليته فضيقت عليه رزقه وجعلته بقدر لا يفضل عنه فذلك من هوانه على ، ولكنه ابتلاء ومحنة وامتحان منى له أيصبر فاعطيه أضعاف مافاته من سعة الرزق

أَمْ يتسخط فيكون حظه السخط ، فرد الله سبحانه على من ظن ان سعة الرزق اكرام وان الفقر اهانة ؛ فقال لم ابتل عبيدى بالغنى لكرامته على ، ولم ابتليه بالفقر لهوانه على ، فاخبر ان الاكرام والاهانة لا يدوران على المال وسعة الرزق وتقديره ، فانه يوسع على الكافر لا لكرامته ، ويقتصر على المؤمن لالاهائته له ، وانما يكرم من يكرمه بمعرفته ومحبته وطاعته ، ويهين من يهينه بالاعراض عنه ومعصيته ، فله الحمد على هذا وهذا وهو الغنى الحميد ، فعادت سعادة الدنيا والآخرة الى اياك نعبد واياك نستعين ﴿

والعبد لا يكون متحققا باياك نعبد الا باصلين عظيمين ، أحدهما متابعة الرسول ﷺ والثانى الاخلاص للمعبود ، فهذا تحقيق اياك نعبد والناس منقسمون بحسب هذين الاصلين أيضا الى أربعة اقسام أحدها أهل الاخلاص للمعبود والمتابعة وهم أهل اياك نعبد حقيقة ، فاعمالهم كلها لله وأقوالهم لله وعطاؤهم لله ومنعهم لله وحبهم لله وبغضهم لله فمعاملتهم ظاهرة أو باطنا لوجه الله وحده ؛ لا يريدون بذلك جزاء من الناس ولا شكورا ولا ابتغاء الجاه عندهم ؛ ولا طلب المحمدة والمنزلة فى قلوبهم ؛ ولا هربا من ذمهم . بل قد عدوا الناس بمنزلة اصحاب القبور ، لا يملكون لهم نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ؛ فالعمل لاجل هؤلاء وابتغاء الجاه والمنزلة عندهم ورجاؤهم للنفع والضرر منهم . لا يكون من عارف بهم باليتته ، بل من جاهل بشأهم وجاهل بربه فن عرف الناس انزلهم منازلهم ومن عرف الله اخلص له اعماله واقواله وعطاءه ومنعه وحبه وبغضه ؛

ولا يعامل أحد الخلق دون الله إلا لجهله بالله وجهله بالخلق ، والا فاذا عرف الله وعرف الناس أثر معاملة الله على معاملتهم ؛ ويكون أعمالهم كلها وعباداتهم موافقة لأمر الله ولما يحبه ويرضاه . وهذا هو العمل الذى لا يقبل الله من عامل سواه ؛ وهو الذى بلى عباده بالموت والحياة لأجله . قال الله تعالى ﴿ الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا ﴾ قال الفضيل ابن عياض رحمه الله تعالى هو اخلاصه واصوبه . قالوا ياأبا على ما اخلاصه واصوبه . قال ان العمل اذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل ؛ واذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل . حتى يكون صوابا خالصا والخالص ما كان لله والصواب ما كان على السنة ، وهذا هو المذكور فى قوله تعالى ﴿ فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾ ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن ﴿ فلا يقبل الله من العمل الا ما كان خالصاً لوجهه على متابعة أمره ؛ وما عدا ذلك فهو مردود على عامله ، وفى الصحيح عن النبي ﷺ « كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد » وكل عمل بلا إقتداء فانه لا يزيد عامله من الله الا بعداً ، فان الله تعالى انما يعبد بأمره لا بالآراء والاهواء

والثانى من لا اخلاص له ولا متابعة فليس عمله موافقاً للشرع ولا هو خالصاً للمعبود ، كاعمال المتزينين للناس المرائين لهم بما لم يشرعه الله ورسوله ، وهؤلاء هم شرار الخلق وأمقتهم الى الله عزوجل ؛ ولهم أوفر نصيب من قوله تعالى ﴿ لا تحسين الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يمحوا بما ساءلوا فلا تحسينهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب اليم ﴾

يفرحون بما أوتوا من البدعة والضلالة والشرك ، ويحبون أن يحمدا
باتباع السنة والاخلاص ، وهذا الضرب يكثر فيمن انحرف من المنتسبين
الى العلم والفقر والعبادة عن الصراط المستقيم ؛ فانهم يرتكبون البدع
والضلالات والرياء والسمعة ، ويحبون أن يحمدا بما لم يفعلوه من الاتباع
والاخلاص والعلم ، فهم أهل الضلال والغضب ،

والثالث من هو مخلص في أعماله لكنها على غير متابعة الامر كجهال
العباد والمنتسبين الى طريق الزهد والفقر ، وكل من عبد الله بغير أمره
واعتقده قربة الى الله فمذهبه حاله ، كمن يظن ان سماع المكاء والتصدية
قربة ، وان الخلوة التي يترك فيها الجمعة والجماعة قربة ؛ وان مواصلة صوم
النهارين قربة ، وأمثال ذلك

والرابع من أعماله على متابعة الامر لكنها لغير الله كطاعات
المرائين ، وكالرجل يقاتل حمية ورياء وشجاعة ويحج ليقال ويقرأ القرآن
ليقال ، فهو لأعمالهم أعمال صالحة مأمور بها لكنها غير خالصة فلا
تقبل ﴿ وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ﴾ فكل احد لم
يؤمر الا بعبادة الله بما أمر ، والاخلاص له في العبادة ، وهم أهل ﴿ إياك
نعبد وإياك نستعين ﴾

واعلم ان الكفر الاكبر خمسة أقسام ، كفر تكذيب وكفر إباء
وإستكبار مع التصديق . وكفر إعراض وكفر شك ، وكفر نفاق ،
فاما كفر التكذيب فهو إعتقاد كذب الرسل ، وهذا القسم قليل في
الكفار فان الله أيد رسوله وأعظم من البراهين والآيات على صدقهم

ما أقام به الحجة وأزال بها المعضدة قال الله تعالى عن قوم فرعون (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً) وقال لرسوله ﷺ فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون وان سمي هذا كفر تكذيب أيضاً فصحيح اذ هو تكذيب باللسان

وأما كفر الأبناء والاستكبار فنحو كفر ابليس فانه لم يجحد أمر الله ولا قابله بالانكار ، وإنما تلقاه بالاباء والاستكبار . ومن هذا كفر من عرف صدق الرسول وانه جاء بالحق من عند الله ، ولم ينقل له اباء واستكباراً . وهو الغالب على كفر اعداء الرسل . كما حكى الله تعالى عن فرعون وقومه ﴿ أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون ﴾ وقول الامم لرسولهم ﴿ ان أنتم الا بشر مثلنا ﴾ وقوله ﴿ كذبت ثمود بطغواها ﴾ وهو كفر اليهود ﴿ فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ، ويعرفونه كما يعرفون أبناءهم ﴾ وهو كفر أبي طالب أيضاً فانه صدقه ولم يشك في صدقه ولكن أخذته الحمية وتعظيم آباءه ان يرغب عن ملتهم ويشهد عليهم بالكفر .

وأما كفر الاعراض فان يعرض بسمعه وقلبه عن الرسول لا يصدقه ولا يكذبه ولا يواليه ولا يعاديه ولا يصفى الى ما جاء به البتة . كما قال أحد بني ياليل للنبي ﷺ : والله أقول لك كلمة ، ان كنت صادقاً فانت أجل في عيني من ان أرد عليك ، وان كنت كاذباً فانت أحقر من ان اكلمك .

وأما كفر الشك فان لا يجوز بصدقه ولا بكذبه ، بل يشك في أمره . وهذا لا يستمر شكه الا اذا لزم نفسه الاعراض عن النظر في

آيات صدقه ﷺ جملة فلا يسمعها ولا يلتفت اليها . وأما مع التفاته اليها ونظره فيها فانه لا يبغي معه شك ، لانها مستلزمة للصدق ولا سيما بجموعها فان دلالتها على الصدق كدلالة الشمس على النهار .

وأما كفر النفاق فهو ان يظهر بلسانه الايمان وينطوى بقلبه على التكذيب ، نعوذ بالله منه ومن جميع انواع الشرك والكفر والضلال . وكفر الجحود ونوعان : كفر مطلق عام ، ومقيد خاص ، فالمطلق ان يحدد جملة ما انزل الله وارساله الرسل ، والخاص المقيد ان يحدد فرضاً من فروض الاسلام ، أو محرماً من محرماته ، أو صفة وصف الله تعالى بها نفسه ، أو خبراً أخبر الله به ، عمداً أو تقديماً لقول من خالفه عليه بغرض من الأغراض . وأما جحد ذلك جهلاً أو تأويلاً يعذر فيه صاحبه ، فلا يكفر صاحبه كحديث الذي جحد قدرة الله عليه وأمر أهله ان يحرقوه ويذروه في الريح ، ومع هذا فما تلاقاه ان غفر الله له ورحمه بجهله ، اذ كان ذلك الذي فعله مبلغ عامه لم يحدد قدرة الله على اعادته عناداً أو تكديباً . وأما الشرك فنوعان : اكبر واصغر ، فالاكبر لا يغفره الله الا بالتوبة منه ، وهو ان يتخذ من دون الله نداً يحبه كما يحب الله ، وهو الشرك الذي تضمن تسوية آلهة المشركين برب العالمين ولهذا قالوا لا الهتهم في النار ﴿تالله ان كنا لفي ضلال مبين﴾ ، اذ نسويكم برب العالمين ﴿مع اقرارهم بان الله وحده هو خالق كل شيء وربهم ومليكه﴾ . وان آلهتهم لا تخلق ولا ترزق ولا تحي ولا تميت ، وانما كانت هذه التسوية في المحبة والتمظيم والعبادة كما هو حال أكثر مشركي العالم بل كلهم يحبون

معبوديههم ويعظمونها ويوالونها من دون الله ، وكثير منهم بل أكثرهم يحبون آلهتهم أعظم من محبة الله ، ويستبشرون بذكرهم أعظم من محبة استبشارهم اذا ذكر الله وحده ، ويغضبون لانتقص معبوديههم وآلهتهم من المشائخ اعظم مما يغضبون اذا انتقص أحد رب العالمين ؛ واذا انتهكت حرمة من حرمت آلهتهم ومعبوديههم غضبوا غضب الليث اذا حرد ، واذا انتهكت حرمت الله لم يغضبوا لها ؛ وقد شاهدنا غير مرة جهرة ، وترى أحدهم قد اتخذ ذكر الهه ومعبوده من دون الله على لسانه ان قام وان قعد وان عثر وان صرض وان استوحش فذكر معبوده والهه من دون الله هو الغالب على قلبه ولسانه ؛ وهو لا ينكر ذلك ، ويزعم انه باب حاجته الى الله وشفيعه عنده ووسيلته اليه ؛ وهكذا كان عباد الاصنام سواء ، وهذا هو القدر الذى قام بقلوبهم ؛ وتوارثه المشركون بحسب اختلاف آلهتهم فأولئك كانت آلهتهم من الحجر . وغيرهم اتخذوها من البشر قال الله تعالى حاكيا عن اسلاف هؤلاء المشركين ﴿ والذين اتخذوا من دونه أولياء . ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى . ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه مختلفون ﴾ والذى فى قلوب هؤلاء المشركين وسلفهم ان آلهتهم تشفع لهم عند الله وهذا عين الشرك ، وقد انكر الله عليهم ذلك فى كتابه وابطله ؛ واخبر ان الشفاعة كلها له ، وانه لا يشفع عنده أحد الا لمن اذن الله أن يشفع فيه ورضى قوله وعمله ، وهم أهل التوحيد الذين لم يتخذوا من دون الله شفعاء ؛ والشفاعة التى أثبتها الله ورسوله هى الشفاعة الصادرة عن اذنه لمن وخدم

والتي نفاهها الله الشفاعة الشركية التي في قلوب المشركين المتخذين من دون الله شفعاء فيعاملون بنقيض قصدهم من شفاعتهم ويفوز بها الموحدون ، فتأمل قول النبي ﷺ لابي هريرة رضى الله تعالى عنه وقد سأله ، من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله . قال أسعد الناس بشفاعتي من قال لا اله الا الله خالصا من قلبه كيف جعل أعظم الاسباب التي تنال بها شفاعته تجريد التوحيد عكس ما عند المشركين ان الشفاعة تنال باتخاذهم شفعاء وعبادتهم وموالاتهم من دون الله ، فقلب النبي ﷺ ما في زعمهم الكاذب ، واخر ان سبب الشفاعة تجريد التوحيد ؛ فينشد يأذن الله للشافع أن يشفع .

ومن جهل المشرك اعتقاده ان من اتخذه ولياً أو شفيعا انه يشفع له وينفعه عند الله كما يكون خواص الملوك والولاة تنفع شفاعتهم من والاهم ، ولم يعلموا ان الله لا يشفع عنده أحد الا باذنه ، ولا يأذن في الشفاعة الا لمن رضى قوله وعمله ؛ كما قال الله تعالى في الفصل الاول ﴿ من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه ﴾ وفي الفصل الثاني ﴿ ولا يشفعون الا لمن ارتضى ﴾ وبقى فصل ثالث وهو انه لا يرضى من القول والعمل الا التوحيد واتباع الرسول ؛ وعن هاتين الكلمتين يسأل الاولين والآخرين كما قال أبو العالية رحمه الله تعالى كلمتان يسأل عنهما الاولون والآخرون . ماذا كنتم تعملون وماذا أجبتكم المرسلين فهذه ثلاثة أصول تقطع شجرة الشرك من قلب من وعاهها وعقلها .

وترى المشرك يكذب حاله وعمله لقوله فانه يقول لا نحجب كعب

الله ولا نسويهم بالله ثم يغضب لهم ولحرمتهم اذا انتهكت اعظم مما يغضبه الله ويستبشر بذكرهم ويتبشش به لاسيما اذا ذكر عنهم مالم يس فيهم من اغاثة اللهفات وكشف الكربات وقضاء الحاجات وانهم باب بين الله وبين عبادهم . ترى المشرك يفرح ويسر ويحن قلبه ويهيج منه لواعج التعظيم والخضوع لهم والموا الالة . واذا ذكرت الله وحده وجدت توحيدة لحقته وحشة وضيق وخرج قلت كما أخبر الله تعالى عن شأنهم في سورة الزمر ﴿ واذا ذكر الله وحده اشمازت قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون ﴾ فرماك بانك تنقص الالهة التي له وربما عاداك رأينا والله منهم هذا عيانا ، ورمونا بعداوتهم وبغوا لنا الغوائل (قال المعصومي نحمد الله ان كان في المصنف وأمثاله من الدعاة الى توحيد الله لنا اسوة . فقد رأينا ما رأينا من الابطلى) وهؤلاء يقولون تنقصتم مشائخنا وابواب حوائجنا الى الله وقالت النصارى للنبي ﷺ لما قال لهم . ان المسيح عبد الله قالوا تنقصت المسيح وعيبته وهكذا قال أشباه المشركين لمن منع اتخاذ القبور أو تانا تعبد وتسجدوا امر بزيارتها على الوجه المشروع قالوا تنقصت اصحابها فانظر الى هذا التشابه بين قلوبهم وقد قطع الله تعالى الاسباب التي تعلق بها المشركون جميعها قطعاً يعلم من تأمله وعرفه أن من اتخذ من دون الله أولياء أو شفيعاً فهو كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وان أو هن البيوت لبیت العنكبوت ﴿ فقال تعالى ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيها من شرك وماله لديهم من ظهير

ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له ﴿فالمشرك انما يتخذ معبوده لما يحصل له به من النفع والنفع لا يكون الا بمن فيه خصلة من هذه الاربعة اما مالك لما يريد عابده منه . فان لم يكن مالكا لكان شريكا للمالك فان لم يكن شريكا له كان معينا له وظهيرا فان لم يكن معينا ولا ظهيرا كان شفيعا عنده فتفى سبحانه المراتب الاربعة نقياً مترتباً متنقلاً من الاعلى الى ما دونه . فتفى الملك والشركة والمظاهرة والشفاعة التي يظنها المشرك وأثبت شفاعته لا نصيب فيها للمشرك وهي الشفاعة باذنه فكفى بهذه الآفة نورا وبرهاناً ونجاة وتجريداً للتوحيد وقطعاً لاصول الشرك ومواده لمن عقلها والقرآن مملوء من أمثالها ونظائرها ولكن اكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحته وتضمنه له ويظنه في نوع وقوم قد خلوا من قبل ولم يعقبوا وارثا وهذا هو الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن ولعمرك ان كان اولئك قد خلوا فقد ورثهم من هو مثلهم أو شر منهم او دونهم ، وتناول القرآن لهم كتناوله لاولئك ، ولكن الامر كما قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ، انما تنقض عرى الاسلام عروة عروة إذا نشأ في الاسلام من لا يعرف الجاهلية ، وهذا لانه لم يعرف الجاهلية والشرك ، وما عابه القرآن وذمه ، وقع فيه وأقره ؛ ودعا اليه وصوبه وحسنه وهو لا يعرف انه هو الذي كان عليه اهل الجاهلية او نظيره او شر منه او دونه فينقض بذلك عرى الاسلام ، ويعود المعروف منكراً والمنكر معروفاً والبدعة سنة والسنة بدعة ؛ ويكفر الرجل بمحض الايمان وتجريد التوحيد ويبذع بتجريد

متابعة الرسول ومفارقة الاهواء والبدع ، ومن له بصيرة وقلب حي يرى ذلك عيانا ، والله المستعان .

واما الشرك الاصغر فكثير ، كيسير الرياء والتصنع للخلق والحلف بغير الله وقول الرجل للرجل ، ما شاء الله وشئت ، وهذا من الله ومنك ، وانا بالله وبك ، ومالى إلا الله وانت ، وانا متوكل على الله وعليك ، ولولا انت لم يكن كذا ؛ وقد يكون هذا شركا اكبر بحسب حال قائله ومقصده ، ومن انواع الشرك سجود المرید للشيخ فانه شرك من الساجد والمسجود له ؛ ومن انواعه ركوع المتعممين بعضهم لبعض عند الملاقاة ؛ وهذا سجود فى اللغة وبه فسر قوله تعالى ﴿ ادخلوا الباب سجدا ﴾ اى منحنين وإلا فلا يمكن الدخول بالجبهة على الارض ، ومن انواعه حلق الرأس للشيخ فانه تعبد لغير الله ؛ ولا يتعبد بحلق الرأس إلا فى الذنك لله خاصة ، ومن انواعه التوبة للشيخ فانه شرك عظيم فان التوبة لا تكون إلا لله كالصلاة والصيام والحج والذنك فهى خالص حق الله ، وفى المسند ان النبى ﷺ أتى بأسير فقال اللهم انى اتوب اليك ولا اتوب إلى محمد . فقال النبى ﷺ عرف الحق لاهله ، فالتوبة عبادة لا تنبغى إلا لله كالسجود والصيام ، ومن انواعه النذر لغير الله فانه شرك ؛ وهو أعظم من الحلف بغير الله ؛ ومن انواعه الخوف من غير الله والتموكل على غير الله والعمل لغير الله والاناة والخضوع والذل لغير الله ؛ وابتغاء الرزق من عند غيره .

ومن انواعه طلب الحوائج من الموتى والاستعانة بهم والتوجه

اليهم ، وهذا اصل شرك العالم فان الميت قد انقطع عمله ، وهو لا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً ، فضلاً لمن استغاث به وسأله قضاء حاجته أو سأله ان يشفع له إلى الله فيها ، وهذا من جهله بالشافع والمشفوع له عنده ؛ فانه لا يقدر ان يشفع له عند الله إلا باذنه ، والله لم يجعل استعانته سؤاله سبباً لاذنه ، إنما السبب لاذنه كمال التوحيد ، فجاء هذا المشرك بسبب يمنع الاذن . وهو بمنزلة من استعان في حاجة بما يمنع حصولها ، وهذه حالة كل مشرك ، والميت محتاج الى من يدعوله ويترحم عليه ويستغفر له ، كما أوصانا النبي ﷺ اذا زرنا قبور المسلمين أن تترحم عليهم ونسأل العافية والمغفرة فعكس المشركون هذا وزارهم زيارة عبادة وإستقضاء الحوائج ، الاستعانة بهم ، وجعلوا قبورهم أوثاناً تعبد وسموا قصدها حجاً ، وهؤلاء هم أعداء الرسل والتوحيد في كل زمان ومكان وما اكثر المستجيدين لهم .

وأما النفاق فالداء العضال الباطني الذي يكون الرجل مملئاً منه وهو لا يشعر ، فانه أمر خفي على الناس . وكثيراً ما يخفى على من تلبس به فيزعم انه مصلح وهو مفسد . وهو نوعان أكبر وأصغر فالأكبر يوجب الخلود في النار في دركها الاسفل ، وهو أن يظهر للمسلمين ايمانه بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وهو في الباطن منسلخ من ذلك مكذب به ، وقد هتك الله تعالى أستار المنافقين وكشف أسرارهم في القرآن ، وجلى لعباده أمورهم ليكونوا عنها وعن أهلها على حذر . وذكر

طوائف العالم الثلاثة في أول سورة البقرة المؤمنين والكفار والمنافقين
فذكر في المؤمنين أربع آيات ، وفي الكفار آيتين ، وفي المنافقين ثلاث
عشرة آية لكثرتهم وعموم الابتلاء بهم . وشدة فتنهم على الاسلام
وأهله : فان بلية الاسلام بهم شديدة جداً . فانهم منسوبون اليه ، الى
نصرته وموالياته وهم أعداؤه في الحقيقة يخرجون عداوته في كل قالب
يظن الجاهل انه علم واصلاح ، وهو غاية الجهل والافساد انتهى ملخصاً
ما ذكره ابن القيم في منازل السائر .

قال الجامع المصموم حفظه الله تعالى ورزقه حسن الخاتمة ، انما
أكثرنا الكلام في شأن ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ لانه أهم ما بحث
به المرسلون عموماً . وسيدنا محمد ﷺ خصوصاً . وفيه قد زلت الافكار
وأشتبه على الأكثر حقيقته ، لهذا زاغوا وطاغوا فضلوا وأضلوا ولذا أتينا
بما استطعنا من البيان والتوفيق والهداية من الله الوهاب . فياربنا أرنا
الحق حقاً وارزقنا اتباعه ؛ وأرنا الباطل باطلا وارزقنا إجتنابه ، فلذلك
أردف الله تعالى ذلك بالامر بطلب الهداية فها نحن نطلب من الله تعالى الهداية
اى الصراط المستقيم ﴿ صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

قال الله تعالى ﴿ اهتدوا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت
عليهم ﴾ أى انه تعالى قد وضع لنا صراطاً سيبيده ويوضحه ويحدده ،
وتكون الصلوة في الاستقامة عليه ، والشقاء في الانحراف عنه . وهذا

الاستقامة عليه هي روح العبادة . ويشبه هذا قوله تعالى ﴿ والعصر ان
الانسان لفي خسر ۚ الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق
وتواصوا بالصبر ﴾ فالتواصي بالحق وبالصبر هو كمال العبادة بعد التوحيد .
والهداية لغة الدلالة بلفظ على ما يوصل الى المطلوب وقد منح الله
تعالى الانسان أربع هدايات يتوصل بها إلى سعادته . أولها : هداية
الوجدان الطبيعي والالهام الفطري ، وتكون الاطفال منذ ولادتهم ،
فان الطفل بعد ما يولد يشعر بألم الحاجة إلى الغذاء فيصرخ طالبا بفطرتة
وعندما يصل إلى الثدي فيه يلهم امتصاصه ، الثانية هداية الحواس والمشاعر
وهي متممة للهداية الاولى في الحياة الحيوانية ، ويشارك الانسان فيها
الحيوان الاعجم ، بل هو فيها اكمل من الانسان ، فان حواس الحيوان
والهامه يكملان له بعد ولادته بقليل ، بخلاف الانسان فان ذلك يكمل فيه
بالتدريج في زمن غير قصير . الا تراه عقب الولادة لا تظهر عليه علامات
إدراك الاصوات والمرئيات . ثم بعد مدة يبصر ، ولكنه لقصر نظره
يجهل تحديد المسافات فيحسب البعيد قريبا فيمد يديه اليه ليتناولة ، وان
كان قمر السماء ، ولا يزال يغاط حسه حتى في طور الكمال . الثالثة هداية
العقل ، خلق الانسان ليعيش مجتمعا ولم يعط من الالهام والوجدان
ما يكفي مع الحس الظاهر لهذه الحياة الاجتماعية كما أعطى النحل والنمل
فان الله قد منحها من الالهام ما يكفيها لان تعيش مجتمعة يؤدي كل واحد
منها وظيفة العمل لجميعها ، ويؤدي الجميع وظيفة العمل الواحد وبذلك
قامت حياة التواضع كلها هو مشاهد : أمما الانسان فلم يكن من خاصة نوعه .

أن يتوفر له مثل ذلك الالهام . فبإيه الله تعالى هداية هي أعلى من هداية
الحس والالهام : وهي العقل الذي يصح غلط الحواس والمشاعر ويبين
أسبابه . وذلك أن البصر يرى الكبير على البعيد صغيراً ، ويرى العود
المستقيم في الماء معوجاً . والصفراوي يذوق الحلو مرراً ، والعقل هو الذي
يحكم بفساد هذه الادراك .

الرابعة هداية الدين ، قد يغلط العقل في ادراكه كما تغلط الحواس
وقد يهمل الإنسان استخدام حواسه وعقله فيما فيه سعادته الشخصية
والنوعية ، ويسلك بهذه الهدايات مسالك الضلال فيجعلها مسخرة
لشهواته ولذاته حتى توردته موارد الهلكة ، فاذا وقعت المشاعر في مزلق
الزلل واسترقت الحظوظ والاهواء العقل فصار يستنبط لها ضروب
الحيل ، فكيف الإنسان مع ذلك أن يعيش سعيداً ، وهذه الحظوظ
والاهواء ليس لها حد يقف الإنسان عنده ، وما هو بعائش وحده ،
وكثيراً ما تتطاول به إلى ما في يد غيره ، فهي لهذا تقتضي أن يعدو بعض
أفرادهم على بعض فيتنازعون ويتدافعون ويتجادلون ويتجادلون
ويتواثبون ويتناهبون حتى يفنى بعضهم بعضاً . ولا تغنى عنهم
تلك الهدايات شيئاً فاحتاجوا إلى هداية ترشدهم في ظلمات أهوائهم إذا هي
غلبت على عقولهم . وتبين لهم حدود أعمالهم ليقفوا عندها . ويكفوا أيديهم
عما وراءها . ثم ان مما أودع في غرائز الإنسان الشعور بسلطة غيبية متسلطة
على الأكيوان ينسب إليها كل ما لا يعرف له سبب لأنها هي الواهبة كل

موجود ما به قوام وجوده . وبأن له حياة وراء هذه الحياة المحدودة . فهل يستطيع أن يصل بتلك الهدايا الثلاث الى تحديد ما يجب عليه لصاحب تلك السلطة الذى خلقه وسواه ووهبه هذه الهدايا وغيرها . وما فيه سعادته فى تلك الحياة الثانية . كلا انه فى أشد الحاجة الى هذه الهداية الرابعة . الدين . وقد منحه الله تعالى إياه .

أشار القرآن الى انواع الهداية التى وهبها الله تعالى للانسان فى آيات كثيرة . منها قوله تعالى ﴿ وهديناه النجدين ﴾ أى طريق السعادة والشقاوة والخير والشر . وهذه تشمل هداية الحواس الظاهرة والباطنة وهداية العقل وهداية الدين . ومنها قوله تعالى ﴿ وأما ثمود فهديناهم فاستجبوا لعمى على الهدى ﴾ أى دللناهم على طريق الخير والشر فسلكوا سبيل الشر المعبر عنه بالعمى ، وهنا هداية أخرى وهى المعبر عنها بقوله تعالى ﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ﴾ ليس المراد من هذه الهداية ما سبق ذكره فالهداية فى الآيات السابقة بمعنى الدلالة وهى بمنزلة إيقاف الانسان على رؤس الطريقين : المهلك والمنجى مع بيان ما يؤذى كل منهما . وهى ما تفضل الله به على جميع أفراد البشر . وأما هذه الهداية فهى أخص من تلك . والمراد بها إعادتهم وتوفيقهم للسير فى طريق الخير والنجاة مع الدلالة : وهى لم تكن ممنوحة لكل احد كالحواس والعقل وشرع الدين :

ولما كان الانسان عرضة للخطأ والضلال فى فهم الدين . وفى استعمال الحواس والعقل كما قدمنا كان محتاجاً الى المعونة الخاصة . فامرنا الله تعالى

بطلبها منه تعالى في قوله ﴿ إهدنا الصراط المستقيم ﴾ فعني إهدنا الصراط المستقيم دلالة تصحبها معونة غيبية من لدنك تحفظنا بها من الضلال والخطأ . وما كان هذا أول دعاء علمنا الله تعالى إياه إلا لان حاجتنا اليه اشد من حاجتنا الى كل شيء سواه

ويجاء عن التناقض الظاهري في قوله تعالى ﴿ وانك تهدي الى صراط مستقيم ﴾ وقوله تعالى ﴿ انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وليس عليك هدام ولكن الله يهدي من يشاء ﴾ فالهداية التي أثبتها النبي ﷺ هي الدلالة على الخير والحق . والتي نفاها عنه هي الثانية بمعنى الاعانة والتوفيق .

والصراط هو الطريق . والمستقيم هو ضد المعوج . وقد قالوا ان المراد بالصراط المستقيم الدين او الحق أو العدل والحدود ، ونحن نقول انه جملة ما يوصلنا الى سعادتي الدنيا والآخرة من عقائد وآداب وأحكام وتعاليم . ولكن الشهوات تتلاعب ، فلهذا صرنا محتاجا أشد الاحتياج إلى العناية الالهية الخاصة لاجل الاستقامة ، ولهذا نبهنا الله عز وجل أن نلجأ اليه ونسأله الهداية ليكون عوناً لنا بنصرنا على أهوائنا وشهواتنا ، وأن تكون استعانتنا به في ذلك لا بسواه ، بعد أن نبذل ما نستطيع من الفكر والجهاد في معرفة ما أنزل إلينا من الشريعة والاحكام وأخذ أنفسنا بما نعلم من ذلك . كما في تفسير الشيخ محمد عبده رحمه الله تعالى . ولما طلب العبد الاستعانة بالله كأنه قيل له ما أهم ما تستعين به ، خفيال العبد ﴿ إهدنا الصراط المستقيم ﴾ والهداية الدلالة بلطف ؛

والصراط المستقيم يراد به هنا الطريق الوسط ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾ من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين ، وهم عظماء كل ملة أى سماوية وأشرفها ، أو الذين أنعمت عليهم من الأمم وهم المسامون ، وعمدته علوم الاخلاق ؛ العفة التى هى وسط بين الوقوع فى الشهوات والفسق والفجور ؛ وبين الجمود والبخل والامساك والشح ، والشجاعة التى هى الوسط بين التهور والطيش والظلم وبين الجبن والخوف والحزن والجزع ، والحكمة وهى الوسط بين الجهل والغباوة والبلادة ، وبين المكر والخداع والاحتيال والطيش فى الآراء ، والعدل وهو المساواة بين هذه الامور ، وفرع العلماء على هذه الامور فروعا شتى تربو على المائة ، وكلها داخلية فى الصراط المستقيم وهو الوسط ، وما جاوز الوسط فاما إلى زيادة فهو التهور والطيش والتبذير وما أشبهها ، وأما إلى النقص كالجبن والبخل والخوف وما أشبهها ، والاسلام وسط فى كل ذلك ، أفاده الجوهري الطنطاوي عافاه الله .

قال العلامة ابن كثير فى تفسيره الشهير ، لما تقدم الثناء على المسئول تبارك وتعالى ناسب أن يعقب بالسؤال كما قال « فنصفها لى ونصفها لعبدى ولعبدى ما سأل » وهذا أكمل احوال السائل ان يمدح مسئوله ثم يسأل حاجته وحاجة إخوانه المسلمين بقوله ﴿ إهدنا الصراط المستقيم ﴾ لانه انجح للحاجة وانجح للإجابة ، ولهذا أرشد الله اليه لانه الاكمل ، والهداية ههنا الارشاد والتوفيق ، وقد تعدى الهداية بنفسها كما هنا ﴿ إهدنا الصراط المستقيم ﴾ فتضمن معنى الهما او وفقنا او

ارزقنا او اعطنا ﴿وهديناه النجدين﴾ أى يبيناله الخير والشر، وقد تعدى
بإلى كقوله تعالى ﴿اجتباها وهداه إلى صراط مستقيم﴾ ﴿فاهدوهم
إلى صراط الجحيم﴾ وذلك بمعنى الارشاد والدلالة ؛ وكذلك قوله تعالى
﴿انك لتهدى إلى صراط مستقيم﴾ وقد تعدى باللام كقول اهل
الجنة ﴿الحمد لله الذى هدانا لهذا﴾ أى وفقنا لهذا واجعلنا له اهلا .

واما الصراط المستقيم فقد قال الامام ابو جعفر بن جرير رحمه الله
تعالى اجعت الامة من اهل التأويل جميعاً على ان الصراط المستقيم هو
الطريق الواضح الذى لا اعوجاج فيه ؛ وذلك فى لغة جميع العرب ، واختلفت
عبارات المفسرين من السلف والخلف فى تفسير الصراط ، وان كان يرجع
حاصلها الى شىء واحد، وهو المتابعة لله ولرسوله ، فروى انه كتاب الله ،
قال ابن ابي حاتم بسنده عن على بن ابي طالب رضى الله تعالى عنه قال قال رسول
الله ﷺ الصراط المستقيم كتاب الله ، وكذلك رواه ابن جرير ، وروى أحمد
والترمذى عن على رضى الله تعالى عنه مرفوعاً ﴿وهو حبل الله المتين . وهو
الذ كر الحكيم ؛ وهو الصراط المستقيم﴾ وقيل هو الاسلام ، قال الضحاك
عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال قال جبريل لمحمد عليهما السلام . قل
يا محمد اهدنا الصراط المستقيم . يقول الهمنا الطريق الهادي وهو دين
الله الذى لا اعوجاج فيه وقال ميمون بن مهران عن ابن عباس رضى الله
تعالى عنهما ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ قال ذاك الاسلام ؛ وعن ابن
مسعود وعن اناس من أصحاب الرسول ﷺ ﴿اهدنا الصراط المستقيم
قالوا هو الاسلام ، وقال جابر رضى الله تعالى عنه ﴿اهدنا الصراط

المستقيم ﴿ قال هو الاسلام أوسع مما بين السماء والارض وقال محمد بن الحنفية رضي الله تعالى عنه في قوله تعالى ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ قال هو دين الله الذي لا يقبل من العباد غيره ، وروى الامام احمد في مسنده بسنده عن النواس بن سيمان رضي الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ قال ضرب الله مثلا صراطا مستقيما ؛ وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما ابواب مفتحة ، وعلى الابواب ستور مرخاة وعلى باب الصراط داع يقول يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعا ولا تعوجوا ، وداع يدعو من فوق الصراط ، فاذا أراد الانسان ان يفتح شيئا من تلك الابواب قال ويحك لا تفتحه ؛ فانك ان تفتحه تلجه ، فالصراط الاسلام والسوران حدود الله والابواب المفتحة محارم الله ، ذاك الداعي على رأس الصراط كتاب الله ، والداعي من فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم وهكذا رواه ابن ابي حاتم والترمذي وابن جرير والنسائي جميعا باسناد حسن صحيح والله اعلم .

وقال مجاهد رحمه الله تعالى ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ قال الحق . وهذا أشمل ، وعن ابي العالية ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ قال هو النبي ﷺ وصاحباؤه من بعده وقال عاصم فذكرت ذلك للحسن فقال صدق ابو العالية ونصح وكل هذه الاقوال صحيحة ، وهي متلازمة . فان من اتبع النبي ﷺ واقتدى بالذين من بعده أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما فقد اتبع الحق ومن اتبع الحق فقد اتبع الاسلام ، ومن اتبع الاسلام فقد اتبع القرآن وهو كتاب الله وحبله المتين ، وصراطه المستقيم ، فكلها صحيحة يصدق بعضها بعضا ، والله الحمد .

وقال الامام الطبراني بسنده عن عبد الله رضى الله تعالى عنه قال الصراط المستقيم الذى تركنا عليه رسول الله ﷺ ولهذا قال الامام أبو جعفر بن جرير: والذى هو أولى بتأويل هذه الآية عندى اعنى اهدنا الصراط المستقيم أن يكون معنياً به وفقنا للثبات على ما ارتضيته ووفقت له من أنعمت عليه من عبادك من قول وعمل ، وذلك هو الصراط المستقيم لأن من وفق لما وفق له من انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين فقد وفق للاسلام وتصديق الرسل والتمسك بالكتاب والعمل بما أمر الله به والانزجار عما زجره عنه ، واتباع منهاج النبي ﷺ ومنهاج الخلفاء الاربعة وكل عبد صالح ، وكل ذلك من الصراط المستقيم .

فان قيل كيف يسأل المؤمن الهداية فى كل وقت من صلاة وغيرها ، وهو متصف بذلك . فهل هذا من باب تحصيل الحاصل أم لا ؟ فالجواب ان لا ؛ ولولا احتياجه ليلاً ونهاراً إلى سؤال الهداية لما أرشده الله تعالى إلى ذلك ، فان العبد مفتقر فى كل ساعة وحالة إلى الله تعالى فى تثبيته على الهداية ورسوخه فيها وتبصره وازدياره منها واستمراره عليها ، فان العبد لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً إلا ما شاء الله ، فارشده الله تعالى إلى أن يسأله فى كل وقت أن يمدّه بالمعونة والثبات والتوفيق ، فالسعيد من وفقه الله تعالى لسؤاله ، فانه تعالى قد تكفل باجابة الداعى إذا دعاه ، ولا سيما المضطر المحتاج المفتقر اليه آتاء الليل واطراف النهار . وقد قال الله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله ، والكتاب الذى أنزل من قبل ﴾ الآية . فقد أمر الذين آمنوا بالآمان

وليس ذلك من باب تحصيل الحاصل لأن المراد الثبات والاستمرار والمداومة على الاعمال المعينة على ذلك . وقال تعالى آمراً لعباده المؤمنين أن يقولوا ﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ﴾ وقد كان الصديق رضى الله تعالى عنه يقرأ بهذه الآية في الركعة الثالثة من صلاة المغرب بعد الفاتحة سرّاً . فمعنى قوله تعالى ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ أى استمر بنا عليه ولا تعدل بنا إلى غيره .

قال الامام البغوى فى تفسيره ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ اهدنا أرشدنا . وقال على وأبى بن كعب رضى الله تعالى عنهما ثبتنا ، كما يقال للقائم قم حتى أعود اليك . أى دم على ما أنت عليه . وهذا الدعاء من المؤمنين مع كونهم على الهداية بمعنى التثبيت ، وبمعنى طلب مزيد الهداية لأن اللطف والهدايات من الله تعالى لا تنتهى . الخ .

وقال العلامة ناصر الدين البيضاوى فى تفسيره : والهداية دلالة بلطف ، وهداية الله تعالى تتنوع أنواعاً لا يحصىها عد ، ولكنها تنحصر فى اجناس مترتبة ، الأول افاضة القوى التى بها يتمكن المرء من الاهتداء الى مصالحه كالقوة العقلية والحواس الباطنة والمشاعر الظاهرة والثانى نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل والصالح والفساد واليه اشار حيث قال ﴿ وهديناك النجدين ﴾ ﴿ واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى ﴾ والثالث الهداية بارسال الرسل وانزال الكتب واياها عنى بقوله ﴿ وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا . وان هذا القرآن

يهدى للتي هي اقوم ﴿ الرابع ان يكشف على قلوبهم السرائر ويريهم
الاشياء كما هي بالوحي والالهام والمنةمات الصادقة وهذا قسم يختص
بنبيه الانبياء والاولياء واياه عنى بقوله ﴿ اولئك الذين هدى الله
فبداهم اقتده ﴾ ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ﴾

وان قالوا ان المغضوب عليهم اليهود والضالين النصارى ولكن
المتجه ان يقال المغضوب عليهم العصاة والضالون الجاهلون بالله لان
المنعم عليه من جمع بين معرفة الحق لذاته والخير للعمل به وكان المقابل له
من اخل احدى قوته العاقلة والعاملة والخل بالعمل فاسق مغضوب عليه
لقوله تعالى فى القاتل عمداً ﴿ وغضب الله عليه ﴾ والخل بالعقل جاهل
ضال لقوله تعالى ﴿ فماذا بعد الحق الا الضلال ﴾

وقال العلامة الراغب الاصفهاني فى كتابه مفردات غريب القرآن
هداية الله تعالى للانسان على اربعة اوجه . الاول الهداية التى عم
بجنسها كل مكلف من العقل والفطنة والمعارف الضرورية التى اعم منها
كل شىء بقدر فيه حسب احتماله كما قال ﴿ ربنا الذى اعطى كل شىء
خلقه ثم هدى ﴾ الثانى الهداية التى جعل للناس بدعائه اياهم على السنة
الانبياء وانزال القرآن ونحو ذلك وهو المقصود بقوله تعالى ﴿ وجعلناهم
امة يهدون بامرنا ﴾ الثالث التوفيق الذى يختص به من اهتدى وهو
المعنى بقوله تعالى ﴿ والذين اهتدوا زادهم هدى ﴾ ومن يؤمن بالله يهد
قلبه ﴿ وان الذين امنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم . والذين
جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ﴾ ويزيد الله الذين اهتدوا هدى فهدى الله

الذين امنوا . والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ﴿ الرابع الهداية في الآخرة الى الجنة المعنى بقوله تعالى ﴿ الحمد لله الذي هدانا لهذا ﴾ وهذه الهدايات الاربع مرتبة . فان من لم تحصل له الاولى لا تحصل له الثانية بل لا يصح تكليفه ومن لم تحصل له الثانية لا تحصل له الثالثة والرابعة . ومن حصل له الرابع فقد حصل له الثلاث الى قبلها . ومن حصل له الثالث فقد حصل له اللذان قبله . ثم ينعكس فقد تحصل الاولى ولا يحصل له الثانى ولا الثالث . والانسان لا يقدر ان يهدي احداً الا بالدعاء وتعريف الطرق دون سائر انواع الهدايات والى الاولى اشار بقوله تعالى ﴿ وانك لتهدى الى صراط مستقيم يهدون بامرنا . ولكل قوم هاد ﴾ اى داع والى سائر الهدايات اشار بقوله تعالى ﴿ انك لا تهدي من احببت ﴾ وكل هداية ذكر الله تعالى انه منع الظالمين والكافرين فهي الهداية الثالثة . وهي التوفيق الذى يختص به المهتدون . والرابعة التى هى الثواب فى الآخرة وإدخال الجنة نحو قوله تعالى ﴿ كيف يهدي الله قوماً الى قوله : والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ وكل هداية نفاها الله تعالى عن النبي ﷺ وعن البشر وذكر انهم غير قادرين عليها فهي ماعدا المختص من الدعاء وتعريف الطريق ، وذلك كاعطاء العقل والتوفيق وإدخال الجنة كقوله عز وجل ﴿ ليس عليك هدام ولكن الله يهدي من يشاء ، ولو شاء الله لجمعهم على الهدى . وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم ان تحرص على هدام فان الله لا يهدي من يضل ومن يضل الله فماله من هاد . ومن يهد الله فماله من مضل ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار ﴾

الكاذب الكفار هو الذى لا يقبل هدايته ؛ فمن لم يقبل هدايته لم يهده
كقولك ؛ من لم يقبل هديتى لم اهده ومن لم يقبل عطيتى لم أعطه ، ومن
رغب عني لم ارغب فيه ، وعلى هذا النحو ﴿ والله لا يهدى القوم الظالمين
ولما كانت الهداية والتعليم يقتضى شيئين تعريفاً من المعرف وتعرفاً
من المعرف وبهما تم الهداية والتعليم ، فانه متى حصل البذل من الهادى والمعلم
ولم يحصل القبول صح ان يقال لم يهد ولم يعلم إعتباراً بعدم القبول .
وصح ان يقال هدى وعلم إعتباراً ببذله ؛ فاذا كان كذلك صح ان يقال
ان الله لم يهدى الكافرين والفساقين من حيث لم يحصل القبول الذى
هو تمام الهداية والتعليم ؛ وصح أن يقال هدام وعلمهم من حيث أنه
حصل البذل الذى هو مبدأ الهداية ، فعلى الاعتبار الاول صح أن يحمل
قوله تعالى ﴿ والله لا يهدى القوم الظالمين والكافرين ﴾ وعلى الثانى
قوله عز وجل ﴿ وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى ﴾ وقوله
تعالى ﴿ إهدنا الصراط المستقيم ﴾ فقد قيل عني به الهداية العامة التى هى
العقل وسنة الانبياء . وأمرنا أن نقول ذلك بالسنتنا ، وان كان قد فعل
ليعطينا بذلك ثواباً كما أمرنا أن نقول : اللهم صل على محمد ، وان كان قد
صلى عليه بقوله ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي ﴾ وقيل ان ذلك دعاء
بمحفظنا عن استغواء الغواية واستهواء الشهوات ، وقيل هو سؤال التوفيق
وقيل سؤال للهداية إلى الجنة فى الآخرة . وقوله تعالى ﴿ وانى لغفار
لمن تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً ثم اهتدى ﴾ ومعناه تم أدام طلب الهداية
ولم يفر عن تحريه ولم يرجع إلى المعصية . الخ .

وقد قال الله تعالى ﴿قلنا اهبطوا منها جميعاً﴾ ، فاما يأتينكم . نى هدى
فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ؛ والذين كفروا وكذبوا
بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴿ قال أبو العالية الهدى الانبياء
والرسل والبيدات والبيان . قال مقاتل بن حيان الهدى محمد ﷺ . وقال
الحسن الهدى القرآن . وهذان القولان صحيحان . وقول أبى العالية
اعم . كما افاده العلامة ابن كثير فى تفسيره .

وفى المجلد الرابع من مجموعة التوحيد النجدية : صراط الذين انعمت
عليهم ، وهم أصحاب رسول الله ﷺ وهم السابقون الأولون من المهاجرين
والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله تعالى عنهم ورضوا عنه وهم الذين
بأيهم اقتديتم اهتديتم .

وقال العلامة ابن تيمية فى رسالة المعجزات ، قال ابو على الجوزجاني
رحمه الله تعالى ، كن طالباً للاستقامة لا طالباً للكرامة ، فان نفسك
منجبة على طلب الكرامة ، وربك يطلب منك الاستقامة ، قال
الشيخ السهروردي فى عوارفه ، وهذا اصل عظيم كبير فى الباب ،
وسر غفل عن حقيقة كثير من اهل السلوك والطلاب .

وقال الحافظ زين الدين ابو الفرج ابن رجب الحنبلى فى كتابه ،
المحجة فى سير الدجة ، قال ذوالنون (وهو من اكابر الزاهدين) السفلة
من لا يعرف الطريق إلى الله ولا يتعرفه ، والطريق إلى الله هو سلوك
صراطه المستقيم الذى بعث الله به محمداً ﷺ وانزل به كتابه وامر
الخلق كلهم بسلوكه والسير فيه ؛ وقال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه

الصراط المستقيم ، ما تركنا عليه محمد ﷺ فيه طرفه في الجنة ؛ وعن
يمينه طرق وعن يساره طرق فمن سلك في أحد منها انتهت به إلى
النار ، ثم قرأ ﴿ وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل
فتفرق بكم عن سبيله ﴾ خرج به بن جرير وغيره ؛ فالطريق الموصل إلى
الله واحد وهو صراطه المستقيم ؛ وبقية السبل كلها سبل الشيطان .

وقد نبه الله تعالى في أول سورة البقرة أن الكتاب الحق الذي
﴿ لا ريب فيه ﴾ وهو ﴿ هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون
الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ﴾ قال العلامة الامام الفخر الرازي في
مفاتيح الغيب ﴿ الصراط المستقيم وهو الحق وهو التوسط والاقتصاد
في الاعتقادات وفي الاعمال ، لان من توغل في التنزيه وقع في التبعطيل
ونفى الصفات ، ومن توغل في الاثبات وقع في التشبيه وإثبات الجسمية
والمكان ، فهما طرفان معوجان ؛ والصراط المستقيم الاقرار الخالي عن
التعطيل والتشبيه ، ولان من قال أن فعل العبد كله منه فقد وقع في
القدر ، ومن قال لا فعل للعبد فقد وقع في الجبر ، وهما طرفان معوجان
والصراط المستقيم إثبات الفعل للعبد مع الاقرار بان الكل بقضاء الله ،
وأما في الاعمال فمن وقع وبالع في الاعمال الشهوانية وقع في الفجور
ومن بالغ في تركها وقع في الجمود ، والصراط المستقيم هو الوسط وهو
العفة ، وأيضا من بالغ في الاعمال الغضبية وقع في التهور ، ومن بالغ
تركها وقع في الجبن ، والصراط المستقيم هو الوسط وهو الشجاعة

والله عز وجل وصف الصراط المستقيم بصفتين ايجابية وسلبية. اما الايجابية فكون ذلك الصراط صراط الذين انعم الله عليهم من النبيين. والصديقين والشهداء والصالحين ، وأما السلبية فهي ان تكون بخلاف. صراط الذين فسدت قواهم العملية بارتكاب الشهوات حتى استوجبوا غضب الله عليهم ، وبخلاف صراط الذين فسدت قواهم النظرية حتى ضلوا عن العقائد الحقة والمعارف اليقينية ، قال المعصومي كغالب من يعتقد أن الارواح متصرفة أو إنها عالمة للغيب ، وكن ينذر الى المشائخ أو ضرائحهم ويستمد منهم في قضاء حوائجهم كأكثر من يبتدع في الدين بدعة كمن يجهر مجنمعا بالاذكار الغنائية ، أو اداء فرض صلاة الظهر بعد اداء صلاة الجمعة احتياطا ، أو منع المريد من النفي والاثبات (لا إله إلا الله) وتلاوة القرآن وطلمب العلم ، التفسير والحديث في أوائل حاله ، وأمره بتكرار كلمة الجلالة مفردة (الله الله) وأمره بتصور صورة الشيخ عند الذكر والمراقبة ويسمونه مرابطة ، وأمثال ذلك .

قال بعضهم انه لما قال ﴿ اهدنا الصراط المستقيم لم يقتصر عليه بل قال ﴿ صراط الذين انعمت عليهم ﴾ وهذا يدل على ان المريد لا سبيل له الى الوصول إلى مقامات الهداية والمكاشفة الا اذا اقتدى بشيخ يهديه الى سواء السبيل ويعلمه ويجنبه عن مواقع الاغاليط والاضاليل وذلك لان النقص غالب على اكثر الخلق ؛ وعقولهم غير وافية بادراك الحق وتمييز الصواب عن الغلط ؛ فلا يد من كامل يقتدي به الناقص حتى يتقوى عقل ذلك الناقص بنور عقل ذلك الكامل فينشد يصل الى

مدارج السعادات ومعارج الكمالات .

واعلم ان أهل الدنيا فريقان ، أحدهما الذين لا يعبدون الا الله ولا يستعينون الا بالله ، ولا يطلبون الاغراض والمقاصد الا من الله ؛ والفرقة الثانية : الذين يخدمون الخلق ويستعينون بهم ويطلبون الخير منهم ، فلا جرم يقول العبد إلهي اجعلني في زمرة الفرقة الأولى وهم الذين انعمت عليهم بهذه الانوار الربانية ، ولا تجعلني من زمرة الفرقة الثانية وهم المغضوب عليهم والضالون ، وهم الفساق والكفرة فان متابعة هذه الفرقة لا تفيد الا الخسار والهلاك . كما قال ابراهيم عليه السلام ﴿ لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئاً ﴾

وقد بين العلماء والحكماء ان في كل خلق من الاخلاق طرفي افراط وتفريط وهما مذمومان ، والحق هو الوسط ، ويتأكد ذلك بقوله تعالى ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً ﴾ وذلك الوسط هو العدل والصواب فالؤمن بعد ان عرف الله بالادلة صار مؤمناً مهتدياً . أما بعد حصول هذه الحالة فلا بد من معرفة العدل الذي هو الحد بين طرفي الافراط والتفريط في الاعمال الشهوانية والغضبية وفي كيفية انفاق المال فالؤمن يطلب من الله تعالى أن يهديه إلى الصراط المستقيم الذي هو الوسط . والله تعالى يقول ﴿ وإنا أنزلناه في صراط مستقيم ، صراط الذي له ما في السموات وما في الارض ﴾ وقال أيضاً ﴿ وإن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ﴾ وذلك الصراط المستقيم هو أن يكون الانسان معرضاً عما سوى الله عز وجل مقبلاً بكلية قلبه وفكره وذكركه إلى الله فأمرنا الله تعالى ان نطلبه قائلاً

﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ وللإنسان يكون أعداء وأحباب والشيطان في طرف فيتحير فيطلب عند ذلك من الله الهداية إلى الصراط المستقيم . وهو الذي لا غلظ فيه ، بل هو بين التعطيل والتشبيه والجبر والقدر والارجاء والوعيد والرفض والخروج ، والصراط المستقيم هو الاسلام ودليله القرآن ، وإنما قال الصراط ولم يقل الطريق أو السبيل وإن كان معنى الكل واحداً ليكون لفظ الصراط مذكراً اصراط جهنم ، فيكون الإنسان على مزيد خوف وخشية ، واهدنا أى ثبتنا على الهداية التي وهبتها منا . ونظيره قوله تعالى ﴿رَبَّنَا لَا تَزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ أى ثبتنا على الهداية . فكم من عالم وقعت له شبهة ضعيفة في خاطره فزاعغ وضل وانحرف عن الدين القويم والمنهج المستقيم .

أنا نرى أهل العالم مختلفين في النفي والاثبات في جميع المسائل الإلهية . وفي جميع مسائل النبوات وفي جميع مسائل المعاد ، والشبهات غالبية والظلمات مستوابة . ولم يصل إلى كنه الحق إلا الأقل القليل وقد حصلت هذه الحالة مع استواء الكل في القول والأفكار والبحث الكثير والتأمل الشديد . فلو لاهداية الله تعالى وعنايته وإعانتة ، وأنه يزين الحق في عين عقل الطالب ويقبح الباطل في عينه كما قال ﴿ولكن الله يحب اليكم الإيمان وزينه في قلوبكم﴾ وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان ﴿ فاهدنا الصراط المستقيم إشارة إلى هذه الحالة ، ويدل أيضاً أن المبطل لا يرضى بالباطل . وإنما طلب الحق والدين المتين والقول الصحيح . فلو كان الأمر باختياره (ومقتضى عقله) لوجب أن لا يقع أحد في الخطأ . ولما

رأينا الا كثيرين غرقوا في بحر الضلالات ؛ علمنا أن الوصول إلى الحق ليس إلا بهداية الله تعالى . ومما يقوى ذلك ان كل الملائكة والانبياء اطبقوا على ذلك . كما قال ابراهيم عليه السلام ﴿ ائن لم يهدنى ربى لا كونن من القوم الضالين ﴾

قال العلامة ولي الله الدهلوى فى كتابه حجة الله البالغة : ان من أسباب الزيع والخروج عن الصراط المستقيم التشدد ، وحقيقته اختيار عبادات شاقة لم يأمر بها الشارع كدوام الصيام والقيام والتبتل وترك الزوج . وان يلتزم السنن والآداب كالنزام الواجبات . وهو حديث نهى النبي ﷺ عبد الله بن عمر وعثمان بن مظعون رضى الله تعالى عنهما عما قصدا من العبادات الشاقة وهو قوله ﷺ « لن يشاد الدين أحد إلا غلبه » فاذا صار هذا المتشدد أو المتعمق معلم قوم ورئسهم ظنوا أن هذا أمر الشرع ورضاه . وهذا داء رهبان اليهود والنصارى . ومنها تقليد غير المعصوم ، اعنى غير النبي الذى ثبتت عصمته واعتقاد أنه على الاصابة قطعاً أو غالباً فيردوا به حديثاً صحيحاً . وهذا التقليد غير ما اتفق عليه الأئمة المرحومة ؛ فانهم اتفقوا على جواز التقليد للمجتهدين مع العلم بان المجتهد يخطئ ويصيب . فاذا ظهر حديث صحيح خلاف ما قلده ترك التقليد واتبع الحديث . ومنها خلط ملة بملة حتى لا تتميز واحدة من الاخرى ، وذلك أن يكون الانسان في دين من الاديان تعلق بقلبه علوم تلك الاديان ، ثم يدخل في الملة الاسلامية فيبقى ميل قلبه إلى ما تعلق به من قبل ، فيطلب لاجله وجهاً في هذه الملة ولو ضعيفاً أو موضوعاً ، ويرى

جوز الوضع رواية الموضوع لذلك وهو قوله ﷺ « لم يزل أمر بني إسرائيل معتدلاً حتى نشأ فيهم المولّدون وابناء سبايا الأمم فقالوا بالرأى فضلوا وأضلوا » ومما دخل في ديننا علوم بني إسرائيل وتذكير خطباء الجاهلية وحكمة اليونان ودعوة البابليين وتاريخ الفارسيين والنجوم والكلام والرمل . وهو سر غضب رسول الله ﷺ حين قرئ بين يديه نسخة من التوراة ؛ وضرب عمر رضى الله تعالى عنه من كان يطلب كتب دانيال . والله أعلم .

قال العبد الضعيف محمد سلطان المعصومي الخجندی ثم المكي حفظه الله تعالى . ومن هذا الباب دخلت خرافات الصوفية في الاسلام . مثل رابطة صورة الشيخ والتزام الطريقة الفلانية والاستمداد من الارواح والتوجه إلى القبور وبناء القباب عليها والقاء الستور والسراج السرج لديها والنذر لها والاذكار والغنائية بضرب المزامير والطبول والنائى وامثالها . فانها لا شك من رسوم الوثنيين والمشركين والبوديين كما هو غير خفى على البصير المتأمل . واني قد شاهدت بعيني رأسى في بلاد الروس والصين والهند والتبت ان من يينت حالهم من الكفرة يفعلون ذلك . فالحذر الحذر .

والحاصل أن التبرى من الشرك وعن المشركين وعن ما يخصهم من الاعمال والعبادات شرط صحة الاسلام الصحيح . وان تخصيص الله تعالى بالعبادة اية عبادة كانت من فرائض الايمان . فهذا هو الصراط المستقيم كما قال الله تعالى عن نبيه عيسى عليه السلام أن توحيد الربوبية والالوهية

والعبادة هو الصراط المستقيم ﴿ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ، هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ سورة آل عمران .

وفيهما أيضاً ، ان كل من تمسك بكتاب الله وعمل به فهو قد سلك على الصراط المستقيم ﴿ وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هَدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنْ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ . وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ، وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ وفي سورة الانعام ﴿ وَأَنْ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ . وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْرُقَ بَيْنَكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ . ذَلِكَمُ وَصَايَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ . وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا . وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . لَا شَرِيكَ لَهُ . وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ . قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغَى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ . وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ﴾

وفي سورة الاعراف ﴿ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ . قَلِيلًا مِمَّا تَذْكُرُونَ ﴾ ﴿ وَقُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا . الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ . لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يَحْيِي وَيُمِيتُ . فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأَمِيِّ الَّذِي يَتُومِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ فخلاص ما تقرّر من هذه الآيات أن الصراط المستقيم الذي نطلب من الله تعالى أن يهدينا إليه إنما هو دين الاسلام ، ودستوره

وقانونه القرآن وإمامه سيدنا محمد ﷺ . فمن اتبعه فقد هدى إلى صراط مستقيم ، ونال السعادة في الدنيا والدين ، فندسلك اللهم اهدنا الصراط المستقيم آمين .

ثم بين الله تعالى ذلك الصراط وقال ﴿ صراط الذين أنعمت عليهم ﴾ وهذا الصراط المستقيم هو الموصل إلى الحق ، وقد أنعم الله ذلك على عباده الصالحين وأوليائه الفالحين فهداهم به إلى أعلى عليين ، وقد فسر بعضهم المنعم عليهم بالمسلمين كما فسر المغضوب عليهم باليهود والضالين بالنصارى ، ونحن نقول أن المراد من الذين أمرنا الله أن نهتدي بهداهم كما قال تعالى ﴿ فبهدهم اقتده ﴾ وهم الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين من الأمم السالفة ؛ فقد أحال الله تعالى على معلوم اجملة في الفاتحة وفصله في سائر القرآن بقدر الحاجة ، فثلاثة أرباع القرآن تقريباً قصص وتوجيه للنظر إلى الاعتبار بأحوال الأمم في كفرهم وإيمانهم وشقاوتهم وسعادتهم ، ولا شيء يهدي للإنسان كالأمثلة والوقائع ، فإذا امثلنا الأمور والأرشاد ونظرنا في أحوال الأمم السالفة وأسباب علمهم وجهلهم وقوتهم وضعفهم وعزهم وذلتهم وغير ذلك مما يعرض للأمم كانت لهذا النظر أثر في أنفسنا يحملنا على حسن الأسوة والافتداء باختيار تلك الأمم فيما كان سبب السعادة والتمكن في الأرض ، واجتناب ما كان سبب الشقاوة أو الهلاك أو الدمار ؛ ومن هنا ينجلي للعاقل شأن علم التاريخ وما فيه من الفوائد والثمرات . وتأخذه الدهشة والحيرة إذا سمع أن كثيراً من رجال الدين من أمة هذا كتابها

يعادون التاريخ باسم الدين ويرغبون عنه . ويقولون انه لا حاجة اليه ولا فائدة له
وهنا سؤال وهو كيف يأمرنا الله تعالى باتباع صراط من تقدمنا
وعندنا أحكام وإرشادات لم تكن عندهم . وبذلك كانت شريعتنا أكمل
من شرائعهم وأصلح لزماننا وما بعده . والقرآن يبين لنا الجواب وهو
انه يصرح بان دين الله في جميع الامم واحد . وانما تختلف الاحكام
بالفروع التي تختلف باختلاف الزمان . وأما الاصول فلا خلاف فيها أصلاً
قال الله تعالى ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم
ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ﴾ الآية ﴿ وأنا أوحينا اليك كما أوحينا
الى نوح والنبيين من بعده ﴾ الآية . فالاعتقاد بالله وبالنبوة وبترك الشر
وبعمل البر والتخلق بالاخلاق الفاضلة مستوفى للجميع . وقد أمرنا الله
تعالى بالنظر فيما كانوا عليه والاعتبار بما صاروا اليه فنقتدى بهم في القيام
على وصول الخير وهي ثلاثة . وهي الاعتقاد الصحيح ولو بالتسليم .
وعبادة الله تعالى وحده وحسن المعاملة مع الناس فهي لاخلاف فيها . كما
قرره الاستاذ الشيخ محمد عبده رحمه الله تعالى في تفسيره .

وقال العلامة الجوهرى الطنطاوى في تفسيره . واعلم ان المنعم عليهم
هم الانبياء وورثتهم والمخلصون من بنى آدم . وهم الذين نصبوا أنفسهم
لهداية الناس وإرشادهم . وكانهم آباء والناس أبناءهم . ويتشبهون بالله
في أفعالهم وأقوالهم . ويقودون الامم الى سبيل الرشاد . ويأمرون
بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويقال ان غاية الحكمة التشبه بالله فيعرفون
نظام العالم وحكمة الخالق ويتركون آثاراً في البرايا . ويتحملون ما ينالهم

من الآلام ، في سبيل اسعاد الامم فينالون أجرهم مرتين ؛ فهم في الآخرة
مكرمون . وفي الدنيا مذكورون بالثناء الجميل والاكرام ؛ وتشتاق اليهم
النفوس وتذكرهم الاجيال ، الخ .

وقال العلامة الامام ابن كثير في تفسيره ﴿ صراط الذين أنعمت
عليهم ﴾ مفسر للصراط المستقيم ، وهو بدل منه عند النجاة والذين أنعم
الله عليهم هم المذكورون في سورة النساء حيث قال ﴿ ومن يطع الله
والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ذلك الفضل من الله وكفى
بالله علماً ﴾ وقال ابو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس رحمه الله تعالى
﴿ صراط الذين أنعمت عليهم ﴾ قال هم النبيون ، وقال ابن عباس رضي
الله تعالى عنهما هم المؤمنون . وقال وكيع هم المسلمون وقال عبد الرحمن ابن
زيد بن أسلم رضي الله تعالى عنهم هم النبي ﷺ ومن معه ، وقول ابن
عباس رضي الله تعالى عنهما أعم وأشمل ، والله أعلم .

وقال العلامة ابن القيم في زاد المعاد المنعم عليهم هم الذين شرح الله
صدرهم للاسلام ، ومن أعظم أسباب شرح الصدر التوحيد على حسب
كماله وقوته وزيادته يكون انشراح صدر صاحبه قال الله تعالى ﴿ فن يرد
الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقاً
حرجاً كما يصد في السماء ﴾ فالهدى والتوحيد من اعظم اسباب شرح
الصدر والشرك والضلال من اكبر اسباب ضيق الصدر وانحرابه
فالهدى المنشراح الصدر يكون اعلم بالله ويرزق احسن الاخلاق والانابة

الى الله ومحبته بكل القلب والاقبال عليه والتنعم بعبادته رزقنا الله تعالى ذلك .

فان قيل ان كثيراً من المشركين واهل الضلال متنعمون بنعمة الدنيا فهل يعد هؤلاء ممن انعم الله عليهم ام لا فالجواب قال العلامة ابن تيمية في كتابه اقتضاء الصراط المستقيم ان ما ينعم به الكفار والفساق من الرياسات والاموال في الدنيا فانما تصير نعمة حقيقية اذا لم تضر صاحبها في الآخرة ولهذا اختلف الاصحاب من العلماء هل ما ينعم به الكفار نعمة ام ليس بنعمة قال الله تعالى ﴿ يحسبون ان ما ندمهم به من مال وبتين تسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون . فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء . الى مبلسون ﴾ وفي الحديث اذا رأيت الله ينعم على العبد مع اقامته على معصيته فانما هو استدراج يستدرجه فكذا ما يصدر من بعض الجهال ماصورته الكرامة وليس في الحقيقة كرامة وانما يشبه الكرامة من جهة كونها دعوة نافذة وسلطاناً قاهراً وانما للكرامة في الحقيقة ما نفعت في الآخرة او نفعت في الدنيا ولم تضر بالآخرة .

والمنعم عليهم في الحقيقة على الاطلاق هم الانبياء عليهم الصلوات والسلام . ومن جماتهم ابراهيم ويعقوب عليهما السلام فوصيتهما لاولادهما ﴿ اذ قال له ﴾ اى لابراهيم ﴿ ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب

الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك واله ابائك
ابراهيم واسماعيل واسحاق الهاً واحداً ونحن له مسلمون ﴿ ومن يطعم
الله والرسول فأولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقاً . ومن احسن ديناً ممن
اسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفاً واتخذ الله ابراهيم
خليلاً ﴿ وتلك حجتنا آتيناهم ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء
ان ربك حكيم عليم . ووهبنا له اسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا
هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وايوب ويوسف وموسى وهارون
وكذلك نجزي المحسنين . وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين .
واسماعيل واليسع ويونس ولوطا . وكلا فضلنا على العالمين . ومن آباؤهم
وذرياتهم واخوانهم واجتبييناهم وهديناهم الى صراط مستقيم ، ذلك هدى
الله يهدى به من يشاء من عباده ، ولو أشر كوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون
أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فان يكفر بها هؤلاء فقد
وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين ، أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده
قل لا أسألكم عليه أجراً ، ان هو الا ذكرى للعالمين ﴿ وفى سورة مريم
بعد أن ذكر الله تعالى زكريا ويحيى وعيسى وإبراهيم واسحاق ويعقوب
وموسى واسماعيل وإدريس عليهم السلام قال ﴿ أولئك الذين أنعم الله
عليهم من النبيين من ذرية آدم ، ومن حملنا مع نوح ، ومن ذرية ابراهيم
وإسرائيل ، ومن هدينا واجتبيينا اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً
وبكياً ، نخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلوات واتبعوا الشهوات ،

فسوق يلقون غيا . وقد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون .
والذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم
حافظون ، إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين
فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ، والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون
والذين هم على صلواتهم يحافظون . أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس
هم فيها خالدون ﴿ وفي سورة الشورى ﴾ شرع لكم من الدين ما وصى به
نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا
الدين ولا تتفرقوا فيه ، كبر على المشركين ما تدعوهم إليه . الله يجتبي إليه
من يشاء ويهدي إليه من ينيب . فلذلك فادع واستقم كما أمرت ، ولا
تتبع أهواءهم ﴿ وفي الباب آيات كثيرة بينت صفات المهتدين ورغبت
الناس إليها ؛ وشرحت صفات من يستحق الغضب وأهل الضلال
وحذرت عنها فيجب علينا أن نلتزم إعتقاداً وعملاً ما أمر به القرآن ،
ونقتدى بمن مدحهم من الانبياء والصديقين ، طالباً من الله الرحمن الرحيم
أن يهدينا إلى ذلك ويوفقنا لما هنالك فاللهم اهدنا الصراط المستقيم صراط
الذين أنعمت عليهم من الانبياء والمرسلين والصديقين والشهداء والصالحين
آمين يارب العالمين .



فصل

في صفات المهتدين وعلاماتهم

فمن صفاتهم الايمان بالله تعالى وبجميع ما جاء به النبي ﷺ من عند الله تعالى . وإقامة الصلاة في أوقاتها مع شرائطها وآدابها . وإيتاء الزكاة وبذل الاموال في سبيل الله وترويج الدين وتقوية الملة وإعانة الطلبة والايتام والمساكين * المذلك الكتاب لا ريب فيه ، هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ، والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالاخرة هم يوقنون . اولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون * فالمتدون وأهل التقوى والفلاح والسعادة في الدارين هم الذين آمنوا بالله إيماناً كاملاً ، وزينوا إيمانهم بأداء الصلوات وأداء الزكوات والنفقة في سبيل الله ، ويصدقون بيوم القيامة والجزاء ويخافون منه ؛ الخ . وأما الذين لم يتصفوا بهذه الصفات فاولئك هم الكافرون والمنافقون .

ومن صفاتهم أنهم يتصفون بالشكر على النعماء والصبر على المصيبة ، ولا يجزعون جزعاً ؛ وإن تراكت عليهم المصائب والآلام ، كما قال الله تعالى ﴿ الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا اليه راجعون . اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون ﴾

ومن صفات المهتدين الابرار والمتقين الصادقين الاخيار ؛ الايمان بالله إيماناً كاملاً ، وتصديق ما جاء به النبي ﷺ والايمان باليوم الآخر يوم الجزاء ، وكذا الملائكة ومنهم الكرام الكاتبين الذين يكونون مع

العبد دائماً ويكتبون كل ما صدر عنه من فعل أو قول ؛ وكذا بالكتب
والنبيين الذين أولهم آدم وآخرهم سيدنا محمد ﷺ ، ويؤتون أموالهم
المحبوبة حباً لله وطلباً لرضا ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل
والسائلين وفي الرقاب ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويوفون بعهودهم
ووعودهم إذا عاهدوا أو وعدوا ، ويصبرون على الضراء ، ويشكرون على
السراء ، وفي حال الملاقات عند قتال العدو في الجهاد والدفاع الشرعى ؛
لا العصبي ؛ فهذه الاوصاف هي من صفات الصادقين في إيمانهم ،
وليست منها توجيه الوجوه إلى المشرق أو المغرب والدخول في طريقة
الشيخ الطرقية ، واستعمال السبوح ذوات العدد من الجواهر والصدف ؛
فليست داخلية في صفات المهتدين المتقين ما يفعله صوفية الزمان ومشائخه
من الاذكار الغنائية والاوراد المبتدعة وجمع المريدين حولهم ، وهم لا
ينفقون في سبيل الله للمحتاجين والايتام والعاجزين ، بل يبغضون
طلبة علوم الدين ، فقد أخبر الله تعالى عن حال أمثال هؤلاء الضالين
حيث قال كما في سورة البقرة ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق
والمغرب . ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب
والنبيين ، وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن
السبيل والسائلين وفي الرقاب ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون
بعهودهم إذا عاهدوا . والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس .
اولئك الذين صدقوا . وأولئك هم المتقون ﴾

ومن صفات المهتدين الايمان بجميع الانبياء بلا تفريق بين أحد منهم والتسليم لهم ولما جاءوا به ، واتباع الحق والاحتراز من الاشراك بالله في شئ من صفات الربوبية والالوهية . كما قال الله تعالى في سورة البقرة ﴿ آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله ، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير ﴾ وفي سورة آل عمران ﴿ قل آمن بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم . لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون . ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين . قل صدق الله فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفاً . وما كان من المشركين ﴾ قال العبد الضعيف المعصومي حفظه الله تعالى ، ورزقه حسن الخاتمة فان كان من صفات المؤمنين المهتدين الايمان بجميع الانبياء والمرسلين واحترامهم واکرامهم بالصلوات والتسليمات عليهم فكذلك يجب اكرام ورثتهم من الصحابة والتابعين والعلماء المجتهدين كالائمة الاربعة واضرابهم وائمة اهل الحديث رضي الله تعالى عنهم أجمعين . فالأخذ بقول البعض وترك من سواه كما يفعله غالب مقلدة المذاهب الجامدين . فانه ليس من هدى المهتدين ولا من صفات المتقين . فمن هذا نشأت العداوات بين منتسبي المذاهب حتى صاروا لا يقتدون في الصلوات خلف من ليس على مذهبهم . كما شاهدنا أن الحنفى لا يقتدى خلف الامام الشافعى أو الحنبلى . وخصوصاً في صلاة الوتر في رمضان . وصنيعهم هذا كأنه انكار على رسول الله ﷺ لكون ذلك ثابتاً عن الرسول ﷺ .

ولكن غلبة التعصب أعمت القلوب والابصار . فانتبهوا يا أولى
الالباب والابصار

ومن صفات المهتدين انفاق أنفس الاموال في سبيل الله . في الخيرات
من بناء المدارس وتربية طلبة العلوم والايتام ونشر لواء الاسلام وحفظ
الشرع وصيانة حدود دار الاسلام . قال الله تعالى ﴿ لن تنالوا البر حتى
تنفقوا مما تحبون . وما تنفقوا من شيء فان الله به عايم ﴾ .

ومن صفات المهتدين الدعوة الى التوحيد والاعمال الخيرية والاصر
بالمعروف والنهي عن المنكر . وتعليم العلوم النافعة ونشرها وتسهيل سبلها
قال الله تعالى ﴿ واتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون
عن المنكر وأولئك هم المفلحون . كنتم خيراً أمة أخرجت للناس تأمرون
بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله . يؤمنون بالله واليوم الآخر
ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات . وأولئك
من الصالحين ﴾ فمن ترك هذه الامور لا يكون من الصالحين ولا من
الفالحين ولا من المهتدين . كما ذكر من نشاهده ممن في أيديهم السبع الطويلة
واصحاب العمام والجيب الواسعة الاكام ممن يدعون التصوف أو أنهم
اصحاب الطرق يتأكلون بدينهم في التكايا والزوايا وضرائح الاولياء . عصمنا
الله تعالى من شرورهم ووساوسهم ...

ومن صفات المهتدين العدل والانصاف والمعاملة مع الناس بلا
خيانة ولا اعتساف واداء الشهادات على وجهها بالقسط والخوف من الله
والتقوى بقدر المستطاع كما قال الله تعالى في سورة المائدة ﴿ يا ايها الذين

آمَنُوا كُونُوا قَوَامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَفَاَن قَوْمٍ عَلَىٰ أَنْ لَا تَعْدِلُوا . اْعْدِلُوا هُوَ اقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ . وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٠٠﴾
ومن صفات المهتدين بعد الايمان بالله والتقوى ابتغاء الوسيلة والتشبث بكل وسائل الدفاع لاعلاء كلمة الله وحفظ الاسلام والمسلمين وديارهم كما قال الله تعالى في سورة المائدة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿١٠١﴾ واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم وانتم لا تظلمون ﴿١٠٢﴾ فالظاهر من هذه الآيات التشبث لاستعداد ما امكن من الآلات على مقتضى الحال والزمان فمن ترك ذلك وجلس في الزوايا واشتغل بالايراد والفصائد وتوجه الى القبور والارواح فلا يكون من المهتدين بل يكون من الخاسرين والخاذلين عصمنا الله تعالى من شرورهم وشؤونهم .

ومن صفات المهتدين تقوى الله تعالى في كل الحالات . واصلاح ذات البين والسعى الى توحيد كلمة المسلمين وتأليفهم وجمعهم ورفع النزاع بقدر المستطاع وعند ذلك يحصل الدولة ويسعد اهل الملة كما قال الله تعالى في سورة الانفال ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاصْلَحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ . إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجِلَّت قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ . أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا . لَهُمْ

درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا . ان الله مع الصابرين ﴿١٠﴾

ومن صفات المهتدين الايمان بالله والتقوى عن الشرك والكفر والمحرمات واولئك هم اولياء الله المهتدون الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون كما قال الله تعالى في سورة يونس ﴿١١﴾ الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين امنوا وكانوا يتقون ﴿١٢﴾

ومن صفات المهتدين العدل والانصاف والاحسان الى عباد الله واعانة ذى القربى والفقراء والوفاء بالعهد والوعد والاحتراز عن الفحشاء والمنكر والبغى والكذب والخيانة كما قال الله تعالى في سورة النحل ﴿١٣﴾ ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون واطيعوا الله اذا اُلهتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها . ﴿١٤﴾ الآية .

ومن أجمع صفات المهتدين الذين يستحقون أن يكونوا عباداً لله فينالون رضاه ويسعدون في الدنيا والآخرة ما يئنه الله تعالى في سورة الفرقان ﴿١٥﴾ وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً . والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً . والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً . انها ساءت مستقراً ومقاماً . والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكانت بين ذلك قواماً . والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون . ومن يفعل ذلك يلق أثماً . يضاعف له

العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا . إلا من تاب وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات . وكان الله غفوراً رحيمًا . ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله متابًا . والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كرامًا . والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا . والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إمامًا . أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلامًا . خالدين فيها حسنت مستقرًا ومقامًا * .

ومن صفات المهتدين تدبر آيات الله والتأمل والتفكر في مخلوقات الله والتذكر لمعانى القرآن وما خلقه الله تعالى من المخلوقات ، وكذا صرف القوة إلى الخيرات ومصالح العبادات مع التعقل والاستبصار والنظر في أحوال العالم وأهله ، كما قال الله تعالى في سورة ص ﴿ كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الالباب . واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولى الأيدي والابصار ﴾

ومن صفات المهتدين وأهل الفلاح في الدنيا والآخرة بعد الإيمان بالله ورسوله إيمانًا صحيحًا ، الجهاد في سبيل الله لأعلاء كلمة الله باللسان واللسان والقلم وبذل النفس والنفيس لذلك ، كما قال الله تعالى في سورة الصف ﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم . تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم . ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾ فمن ترك الجهاد في سبيل

الله بالسيف واللسان والقلم مع القدرة عليه فهو ليس من المهتدين فيكون محروماً من فضل رب العالمين ، فياخسارة من ترك ذلك وتجنّب ، أو خدم الكفرة والمستبدين وتجنّس لهم ككثير من العلماء الدجالين ومشائخ الطرق الضالين ، فهذا تسلطت الكفرة على كثير من بلاد المسلمين فانا لله وانا اليه راجعون .

ومن صفات المهتدين الوفاء بالنذر المشروع ، والخوف من الله ومن عذاب يوم القيامة ، وإطعام الطعام للمساكين والايّتام والغرباء لوجه الله تعالى ، كما قال الله تعالى في سورة الدهر ﴿ إِن الْإِبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ، يُوفُونَ بِالْأَنْذَرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ، وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لُوحَهُ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴾ فجملة القول ان المهتدين حقيقة والمتصفين بالاسلام والايّمان الحقيقي هم الذين يخلصون إرادتهم وأعمالهم لله تعالى وحده دون من سواه . فلا يدعون ولا يرجون ولا يستغيثون ولا يتوكلون ولا يتقربون بنوع من أنواع العبادة الا الى ربهم ومليّكهم وخالقهم والقائم عليهم والمتصرف فيهم بمشيئته وإرادته ويعملون بما شرعه لهم في كتابه وسننه لهم نبيهم سيدنا محمد ﷺ من شريعته . معتصمون بحبل الله متعاونون على طاعة الله تعالى ، كذا في المجموعة النجدية .

فاهل الهداية لا يتحاسدون ولا يتباغضون ولا يتدبرون ولا يتكابرون ولا يتقاتلون الا لله تعالى وفي الله عز وجل . ويصلحون ما أفسده الناس

أولئك هم أهل الفلاح في الدارين . فندسألك اللهم أن تجعلنا منهم آمين
يارب العالمين .

وقوله تعالى ﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ فالمغضوب
عليهم هم الذين خرجوا عن الحق بعد علمهم به والذين بلغهم شرع الله ودينه
فرفضوه ولم يتقبلوه انصرافاً عن الدليل . ورضي بما ورتوه من القيل
ووقوفاً عند التقليد وعكوفاً على هوى غير رشيد . وغضب الله عقوبته
وإنتقامه . وهذه الآية تفيد ان الطوائف ثلاث . المنعم عليهم . والمغضوب
عليهم والضالون . ولا شك ان المغضوب عليهم ضالون أيضاً . لانهم
بنبذهم الحق وراء ظهورهم قد استدبروا الغاية واستقبلوا غير وجهتها
فلا يصلون الى المطلوب ، ولا يهتدون الى مرغوب ، ولكن فرقاً بين من
عرف الحق فاعرض عنه على علم ، وبين من لم يظهر له الحق فهو تائه بين
الطرق لا يهتدى الى الجادة فيها وهم من لم تبلغهم الرسالة ، او بلغتهم على
وجه لم يتبين لهم فيه الحق فهو لاء هم أحق باسم الضالين ، فان الضال
حقيقة هو التائه الواقع في عماية لا يهتدى معها الى المطلوب . والعماية في
الدين هي الشبهات التي تلبس الحق بالباطل ويشبه الصواب بالخطأ .

والضالون أقسام . منهم من بلغتهم الرسالة وصدقوا بها بدن نظر
في أدلتها ولا وقوف على أصولها . فاتبعوا أهواءهم في فهم ما جاءت الرسالة
به في أصول العقائد . وهؤلاء هم المبتدعة في كل دين . ومنهم المبتدعون
في دين الاسلام . وهم المنحرفون في إعتقادهم عما تدل عليه جملة القرآن
وما كان عليه السلف الصالح وأهل الصدر الاول . ففرقوا الامة الى

مشارب ومذاهب وطرق . فمن جملة آثارهم في الناس أن يأتي الرجل الى دوائر القضاء فيستحلف بالله العظيم . أو بالمصحف الكريم وهو كلام الله القديم انه ما فعل كذا . فيحلف وعلامة الكذب بادية على وجهه فيأتيه المستحلف من طريق آخر . ويحمله على الحلف بشيخ من المشايخ الذين يعتقد بهم الولاية فيتغفر لونه وتضطرب اركانه . ثم يرجع في اليته ويقول الحق ويقر بأنه فعل ما حلف عليه أولاً أنه لم يفعله تكريماً لاسم ذلك الشيخ وخوفاً منه ان يسلب عنه نعمة أو يحل به نقمة اذا حلف باسمه كاذباً . فهذا ضلال في أصول العقيدة يرجع الى الضلال في الاعتقاد بالله . وما يجب له من الوجدانية في الافعال . ولو أردنا ان نسرد ما وقع فيه المسلمون من الضلال في العقيدة الاصلية بسبب البدع التي عرضت على دين الاسلام لطال المقال واحتيج الى مجلدات في وجوه الضلال . ومن أشنعها أترا وأشدها ضرراً خوض رؤساء الدين والفرق منهم في مسائل القضاء والقدر والاختيار والجبر . وتحقيق الوعد والوعيد . وتهوين مخالفة الله تعالى على نفوس العبيد ومن جملة الضلال جعل المذاهب أصلاً . والقرآن هو الذي يحمل عليها ويرجع بالتأويل والتحريف اليها كما جرى عليه المخذولون وتاه فيه الضالون . والحق الواجب ان يكون القرآن أصلاً تحمل عليه المذاهب والآراء في الدين فما وافق فمقبول وما خالفه فردود .

ومن جملة الضلال الضلال في الاعمال وتحريف الاحكام عما وضعت له كالخطأ في فهم معنى الصلاة والصيام وجميع العبادات . والخطأ في فهم الاحكام التي جاءت في المعاملات . ولنضرب لذلك مثلاً الاحتيال في الزكاة

بتحويل المال الى ملك الغير قبل حلول الحول . ثم استرداده بعدمضى قليل من الحول الثانى حتى لا تجب الزكاة فيه . وظن المحتال أنه بحيلته قد خاص من اداء الفريضة ونجا من غضب من لا تخفى عليه خافية ولا يعلم أنه بذلك قد هدم ركنًا من أركان دينه وجاء بعمل من يعتقد ان الله تعالى قد فرض فرضا وشرع بجانب ذلك الفرض ما يذهب به ويمحو أثره . وهو محال عليه جل شأنه وكل قسم من هذه الضلالات يظهر أثرها فى الامم فتختل قوى الادراك فيها وتفسد الاخلاق وتطرب الاعمال . ويحل بها الشقاء عقوبة من الله عز وجل لا بد من نزولها بهم . سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا . وبعد حلول الضعف ونزول البلاء بأمة من الامم من المعلامات والدلائل على غضب الله تعالى عليها لما أحدثتها فى عقائدها واعمالها مما يخالف سنته ولا يتبع فيه سنته ولهذا علمنا الله تعالى كيف ندعوه بان يهديننا طريق الذين ظهرت نعمته تعالى عليهم بالوقوف عند حدوده . وتقويم العقول والاعمال بفهم ما هدا بنا اليه وان يجنبنا طرق أولئك الذين ظهرت فيهم آثار نقمته بالانحراف عن شرائعه . سواء كان ذلك عمدا وعنادا أو غواية وجهلا اذا ضلت الاممة سبيل الحق . ولعب الباطل باهوائها ففسدت اخلاقها واعتلت أعمالها وقعت فى الشقاء لا محالة ، وسلط الله عليها من يمتثلها ويستأثر بشئونها ، ولا يؤخر لها العذاب الى يوم الحساب كأهل بلغار وقوقاز وتوركستان الروسى والصينى وبخارا والاندلس والجزائر والمغرب وغيرها ، وان كانت ستلاق نصيبها منه ايضا ، واذا تمادى بها الغى وصل بها الى الهلاك وحى أثره

من الوجود ، ولهذا علمنا الله تعالى النظر والاعتبار في احوال من سبقنا ، واما في الافراد فلم تجر سنة الله بلزوم العقوبة لكل ضال في هذه الحياة الدنيا ، فقد يستدرج الضال من حيث لا يعلم ، ويدركه الموت قبل أن تزول النعمة عنه وانما يلتقى جزاءه ﴿ يوم لا تملك نفس لنفس شيئا . والامر يومئذ لله ﴾ كما أفاده الاستاذ العلامة المجدد الشيخ محمد عبده رحمه الله تعالى .

قال الامام الحافظ العلامة العباد بن كثير في تفسيره الشهير ﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ قرأ الجمهور بالجر على النعت ، قال الزمخشري وقرئ بالنصب على الحال ، وهي قراءة النبي ﷺ وعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ، ورويت عن ابن كثير ؛ والمعنى ﴿ إهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم ﴾ ممن تقدم وصفهم ونعتهم وهم أهل الهداية والاستقامة والطاعة لله ورسله وامتهثال أوامرهم وترك نواهيه وزواجره ، غير صراط المغضوب عليهم ، وهم الذين فسدت إرادتهم فعملوا الحق وعدلوا عنه ، ولا صراط الضالين وهم الذين فقدوا العلم فهم هائمون في الضلالة لا يهتدون الى الحق ، وأكذب الكلام بلايديل على أن ثم مسلكين فاسدين وهما طريقة اليهود والنصارى .

وروى ابو عبيد القاسم بن سلام في كتاب فضائل القرآن عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أنه كان يقرأ غير المغضوب عليهم وغير الضالين ، وهذا اسناد صحيح ، وكذلك حكى عن ابي بن كعب

رضى الله تعالى عنه أنه قرأ كذلك ، وهو محمول على أنه صدر منهما على وجه التفسير ، فيدل ما قلنا من أنه إنما جرى بلا لتأكيد النفي لئلا يتوهم أنه معطوف على الذين أنعمت عليهم ، والفرق بين الطريقتين ليجتنب كل واحد منهما ، فإن طريقة أهل الإيمان مشتملة على العلم بالحق والعمل به ؛ واليهود فقدوا العمل ، والنصارى فقدوا العلم ، ولهذا كان الغضب لليهود والضلال للنصارى ؛ لأن من علم وترك العمل استحق الغضب بخلاف من لم يعلم ، والنصارى لما كانوا قاصدين شيئاً لكنهم لا يهتدون إلى طريقه لأنهم لم يأتوا الأمر من بابيه ؛ وهو اتباع الحق ضلوا ؛ وكل من اليهود والنصارى ضال مغضوب عليهم ، لكن أخص أوصاف اليهود الغضب كما قال الله تعالى من لعنه الله وغضب عليه ، وأخص أوصاف النصارى الضلال ؛ كما قال الله تعالى أخبراً عنهم ﴿ قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل ﴾ وبهذا جاءت الأحاديث والآثار وذلك واضح بين .

قال الإمام محي السنة البغوى ﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ وقال سهل بن عبد الله رحمه الله تعالى غير المغضوب عليهم بالبدعة ولا الضالين عن السنة .

قال الخازن في تفسيره ﴿ غير المغضوب عليهم ﴾ يعنى صراط الذين غضبت عليهم (ولا الضالين) أى وغير الضالين عن الهدى ، وقيل غير المغضوب عليهم هم اليهود والضالين هم النصارى . وقيل غير المغضوب عليهم بالبدعة ولا الضالين عن السنة . والله أعلم .

بما الله اعلم به . وكان الضالون والمغضوب عليهم يبنون المساجد على قبور الانبياء والصالحين وقد نهى النبي ﷺ امته عن ذلك .

ومن صفة الضالين انهم يعبدون بالاصوات المطربة والصور الجميلة فلا يهتمون بامر دينهم باكثر من تلحين الاصوات قال الله تعالى ﴿وقالت اليهود ليست النصراني على شيء وقالت النصراني ليست اليهود على شيء﴾ وانت تجد كثيراً من المتفقهة اذا رأى المتصوفة والمتعبدة لا يراهم شيئاً ولا يعدم الا جهالاً ضلالاً ولا يعتقد في طريقهم من العلم والهدى شيئاً وترى كثيراً من المتصوفة والمتفكرة لا يرى الشريعة والعلم شيئاً بل يرى ان المتمسك بهما منقطع عن الله وانه ليس عند اهلها مما ينفع عند الله شيء وانما الصواب ان ما جاء الكتاب والسنة من هذا وهذا حق وما خالف الكتاب والسنة من هذا وهذا باطل .

وقد قال الامام العلامة فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى في تفسيره الكبير ان المشهور ان المغضوب عليهم هم اليهود والضالين هم النصراني وقيل هذا ضعيف لان منكري الصانع والمشركين اخبث ديناً من اليهود والنصارى فكان الاحتراز عن دينهم اولى بل الاولى ان يحمل المغضوب عليهم على كل من اخطأ في الاعمال الظاهرة وهم الفساق ويحمل الضالون على كل من اخطأ في الاعتقاد كاهل البدع والكفرة لان اللفظ عام والتقييد خلاف الاصل ويحتمل ان يقال المغضوب عليهم هم الكفار والضالون هم المنافقون وهذه الآية دلت على ان المكلفين ثلاث فرق . اهل الطاعة واليهم الاشارة بقوله تعالى : ﴿انعمت

رضى الله تعالى عنه أنه قرأ كذلك ، وهو محمول على أنه صدر منها على وجه التفسير ، فيدل ما قلنا من أنه إنما جرى بلا لتأكيد النفي لثلاثتهم أنه معطوف على الذين أنعمت عليهم ، وللفرق بين الطريقين ليجتنب كل واحد منهما ، فإن طريقة أهل الإيمان مشتملة على العلم بالحق والعمل به ؛ واليهود فقدوا العمل ، والنصارى فقدوا العلم ، ولهذا كان الغضب لليهود والضلال للنصارى ؛ لأن من علم وترك العمل استحق الغضب بخلاف من لم يعلم ، والنصارى لما كانوا قاصدين شيئاً لكنهم لا يهتدون إلى طريقه لأنهم لم يأتوا الأمر من بابيه ؛ وهو اتباع الحق ضلوا ؛ وكل من اليهود والنصارى ضال مغضوب عليهم ، لكن أخص أوصاف اليهود الغضب كما قال الله تعالى من لعنه الله وغضب عليه ، وأخص أوصاف النصارى الضلال ؛ كما قال الله تعالى أخبراً عنهم ﴿ قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل ﴾ وبهذا جاءت الأحاديث والآثار وذلك واضح بين .

قال الإمام محي السنة البغوى ﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ وقال سهل بن عبد الله رحمه الله تعالى غير المغضوب عليهم بالبدعة ولا الضالين عن السنة .

قال الخازن في تفسيره ﴿ غير المغضوب عليهم ﴾ يعنى صراط الذين غضبت عليهم (ولا الضالين) أى وغير الضالين عن الهدى ، وقيل غير المغضوب عليهم هم اليهود والضالين هم النصارى . وقيل غير المغضوب عليهم بالبدعة ولا الضالين عن السنة . والله أعلم .

بما الله اعلم به . وكان الضالون والمغضوب عليهم يبنون المساجد على قبور الانبياء والصالحين وقد نهى النبي ﷺ امته عن ذلك .
ومن صفة الضالين انهم يعبدون بالاصوات المطربة والصور الجميلة فلا يهتمون بامر دينهم باكثر من تلحين الاصوات قال الله تعالى ﴿وقالت اليهود ليست النصراني على شيء وقالت النصراني ليست اليهود على شيء﴾ وانت تجد كثيراً من المتفقه اذا رأى المتصوفة والمتعبدة لا يراهم شيئاً ولا يعدم الا جهلاً ضالاً ولا يعتقد في طريقهم من العلم والهدى شيئاً وترى كثيراً من المتصوفة والمتفكرة لا يرى الشريعة والعلم شيئاً بل يرى ان المتمسك بهما منقطع عن الله وانه ليس عند اهلها مما ينفع عند الله شيء وانما الصواب ان ما جاء الكتاب والسنة من هذا وهذا حق وما خالف الكتاب والسنة من هذا وهذا باطل .

وقد قال الامام العلامة فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى في تفسيره الكبير ان المشهور ان المغضوب عليهم هم اليهود والضالين هم النصراني وقيل هذا ضعيف لان منكري الصانع والمشركين اخبث ديناً من اليهود والنصارى فكان الاحتراز عن دينهم اولى بل الاولى ان يحمل المغضوب عليهم على كل من اخطأ في الاعمال الظاهرة وهم الفساق ويحمل الضالون على كل من اخطأ في الاعتقاد كاهل البدع والكفرة لان اللفظ عام والتقييد خلاف الاصل ويحتمل ان يقال المغضوب عليهم هم الكفار والضالون هم المنافقون وهذه الآية دلت على ان المكافين ثلاث فرق . اهل الطاعة واليهم الاشارة بقوله تعالى : ﴿انعمت

عليهم ﴿ واهل المعصية واليهم الاشارة بقوله تعالى ﴿ غير المغضوب عليهم ﴾ واهل الجهل في دين الله والكفر واليهم الاشارة بقوله تعالى ﴿ ولا الضالين ﴾ فان قيل لم قدم ذكر المعصاة على ذكر الكفرة قلنا لان كل واحد يحترز عن الكفر . وأما عن الفسق فقد لا يحترز فكان أهم فان قيل ما الحكمة في انه تعالى جعل المقبولين طائفة واحدة وهم الذين الذين انعم الله عليهم . والمردودين فريقين المغضوب عليهم والضالين الجواب ان الذين كملت نعم الله عليهم هم الذين جمعوا بين معرفة الحق لذاته والخير لاجل العمل به . فهو لاء هم المرادون بقوله أنعمت عليهم . فان اختل قيد العمل فهم الفسقة وهم المغضوب عليهم . كما قال الله تعالى ﴿ ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه ﴾ وان اختل قيد العلم فهم الضالون لقوله تعالى ﴿ وماذا بعد الحق الا الضلال ﴾ ومن الضالين المغضوب عليهم الذين لا يوافق اعمالهم اقوالهم . ويفسدون في الناس تحت ستار الاسلام والزهد والتقوى والاصلاح . كيرزا أحمد القادياني في بلاد الهند . وموسى بيكى جار الله في بلاد التتار قال الله تعالى ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ﴾ الى ان قال ﴿ اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ﴾ الايات فالدجال الهندي القادياني باع دينه لمبشرى الانكليز واما الدجال التتاري موسى بيكى جار الله فقد باع دينه وأهل ملته لمبشرى الروس وملاحدة البلاشفة الشيوعية اللادينية فالحذر كل الحذر . وياخسارة من اغتر بهما

إنما نحن مستهزؤن . أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين . وما يضل به إلا الفاسقين . الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخائرون ﴿ (الفاسقين) الخارجين عن الطاعة (عهد الله) ما عهده اليهم في الكتاب من الايمان بحمد ﷺ ﴾ ويفسدون في الأرض ﴿ بالمعاصي والتعويق عن الايمان ، فأهل الضلال هم الذين اشتروا الضلالة بالهدى ، واختاروا الكفر والشرك على الايمان والتوحيد ، واتبعوا التقاليد بالمبتدعين فآخذوا الضلالة وتركوا الهدى ، فخرجوا من الهدى إلى الضلالة ومن الجماعة إلى الفرقة ، ومن الامن إلى الخوف ، ومن السنة إلى البدعة ، وهكذا رواه ابن أبي حاتم ، كما نقله ابن كثير في تفسيره .

ومن صفات أهل الضلال إنكار ما في القرآن من الامثال وعدم التصديق بها أو الاستهزاء بها ؛ ومن صفاتهم الفسق والخروج عن حدود ما حدده الله ، كما بين الله تعالى ﴿ إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها . فأما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم ، وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً . وما يضل به إلا الفاسقين ﴾ الآية .

وقد قال الامام العلامة ابن تيمية رحمه الله تعالى في كتاب الرد على الاخواني ، والمبتدعون هم الضالون ؛ وقد قال سفيان الثوري رحمه

عليهم ﴿ واهل المعصية واليهيم الاشارة بقوله تعالى ﴿ غير المغضوب عليهم ﴾ وأهل الجهل في دين الله والكفر واليهيم الاشارة بقوله تعالى ﴿ ولا الضالين ﴾ فان قيل لم قدم ذكر العصاة على ذكر الكفرة قلنا لان كل واحد يحترز عن الكفر . وأما عن الفسق فقد لا يحترز فكان أم فان قيل ما الحكمة في انه تعالى جعل المقبولين طائفة واحدة وهم الذين الذين انعم الله عليهم . والمردودين فريقين المغضوب عليهم والضالين الجواب ان الذين كملت نعم الله عليهم هم الذين جمعوا بين معرفة الحق لذاته والخير لاجل العمل به . فهو لاء هم المرادون بقوله أنعمت عليهم . فان اختلف قيد العمل فهم الفسقة وهم المغضوب عليهم . كما قال الله تعالى ﴿ ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه ﴾ وان اختلف قيد العلم فهم الضالون لقوله تعالى ﴿ وماذا بعد الحق الا الضلال ﴾

ومن الضالين المغضوب عليهم الذين لا يوافق اعمالهم اقوالهم . ويفسدون في الناس تحت ستار الاسلام والزهد والتقوى والاصلاح . كميرزا أحمد القادياني في بلاد الهند . وموسى ييكي جار الله في بلاد التتار قال الله تعالى ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ﴾ الى ان قال ﴿ اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ﴾ الايات فالدجال الهندي القادياني باع دينه لمبشرى الانكليز واما الدجال التتاري موسى ييكي جار الله فقد باع دينه وأهل ملته لمبشرى الروس وملاحدة البلاشفة الشيوعية اللادينية فالحذر كل الحذر . وياخسارة من اغتر بها

إنما نحن مستهزؤن . اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين . وما يضل به إلا الفاسقين . الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الارض اولئك هم الخاسرون ﴿ (الفاسقين) الخارجين عن الطاعة . (عهد الله) ما عهده اليهم في الكتاب من الايمان بحمد ﷺ) ويفسدون في الارض ﴿ بالمعاصي والتعويق عن الايمان ، فأهل الضلال هم الذين اشتروا الضلالة بالهدى ، واختاروا الكفر والشرك على الايمان والتوحيد ، واتبعوا التقاليد بالمبتدعين فخذوا الضلالة وتركوا الهدى ؛ فخرجوا من الهدى إلى الضلالة ومن الجماعة إلى الفرقة ، ومن الامن إلى الخوف ، ومن السنة إلى البدعة ، وهكذا رواه ابن أبي حاتم ، كما نقله ابن كثير في تفسيره .

ومن صفات أهل الضلال إنكار ما في القرآن من الامثال وعدم التصديق بها أو الاستهزاء بها ؛ ومن صفاتهم الفسق والخروج عن حدود ما حدده الله ، كما بين الله تعالى ﴿ إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها . فأما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم ، وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً . وما يضل به إلا الفاسقين ﴾ الآية .

وقد قال الامام العلامة ابن تيمية رحمه الله تعالى في كتاب الرد على الإخنائي ، والمبتدعون هم الضالون ؛ وقد قال سفيان الثوري رحمه

الله تعالى ؛ البدعة أحب الى ابليس من المعصية ، لان المعصية قد يتاب عنها والبدعة لا يتاب منها ، فتكون أضر واهلك من المعصية
وفي رسالة الحج له ، ومن الضلالة مذهب الاتحادية والحلولية
الذين يزعمون ان المخلوق عين الخالق وانه يحل فيه كما تقول به ابن
عربي صاحب الفتوحات المكية والفصوص وأمثاله ، ومن الضلالة
قولهم ان الولي افضل من النبي ، لان الولي يأخذ عن الله بلا واسطة ،
وان النبي يأخذ بواسطة الملك .

وفي اقتضاء الصراط المستقيم له ايضا ، ومن صفة اهل الضلال
تخصيص زمان او مكان بعيد او فضيلة او زيارة فيما لم يرد به الشرع
المحمدي واعتقاد الفضل فيه مع كونه لا فضل له في الشريعة اصلا ،
ولا فيه موجب تفضيله ، بل هو كسائر الامكنة او دونها ، فقصد ذلك
المكان او قصد الاجتماع فيه لعصاة او دعاء او ذكر او غير ذلك
ضلال بين .

قال الجامع محمد سلطان المعصومي الخجندی ثم الملكي حفظه الله
عز وجل ، كاجتماع اهل كاشغر في آفاق خواجه ، واهل فرغانه في اوش
وجلاد آباد بزعم ان الاول مقر كرسي سليمان النبي عليه السلام والثاني
فيه قبر ايوب النبي عليه السلام والعين التي اغتسل فيها ، وكاجتماعهم في
شاه مردان في مرغينان ؛ وفي يسي اي تركستان في انصاف الشتاء ،
ويسمون خلوت ، وفي ضريح بهاؤ الدين في بخارى في كل وقت وخصوصا
في ليلة الاربعاء ، وفي بلخ في الربيع في مزار سخى ، وفي موسم معين

الظلمة . واعلم ان عموم أصحاب المذاهب يعظم في قلوبهم الشخص
فيتبعون قوله من غير تدبر بما قال . وهذا عين الضلال . لان النظر
ينبغي أن يكون الى القول لا إلى القائل : كما قال على رضى الله
تعالى عنه . ان الحق لا يعرف بالرجال أعرف الحق تعرف أهله وقال
أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى من ضيق علم العالم أن يقلد في إعتقاده
رجلا . واما الفرعيات فيصح للعمى التقليد فيها لمن سبر ونظر . وأما
الطريق الثانى فكثير من الفلاسفة الذين خرجوا عن الشريعة والحدود المانع
فان قلت ان كان طريق المقلدين فى الاصول وطريق المتكلمين
هكذا فما الطريق السليم من تلبيس ابليس . فالجواب انه ما كان عليه
رسول الله ﷺ وأصحابه وتابعوه باحسان من إثبات الخالق سبحانه
وإثبات صفاته على ماوردت به الآيات والاخبار من غير تغيير ولا بحث
عما ليس فى قوة البشر إدراكه .

وفى إقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية . فمن أوصاف الضالين
الانهم يكفون فى البدع والمحدثات فى الامور الدينية . ولا ريب ان من المحدثات
فى الدين ما أحدثه بعض الناس أما مضاهاة للنصارى فى ميلاد عيسى عليه
السلام وأما محبة للنبي ﷺ وتعظيمه . والله يثيبهم على هذه المحبة
والاجتهاد لا على البدع من إتخاذ مولد النبي ﷺ عيداً ، فان هذا لم يفعله
السلف مع قيام المقتضى له وعدم المانع منه ، ولو كان خيرا لكان السلف
أحق به منا ، فانهم كانوا أشد محبة لرسول الله ﷺ وتعظيمه له منا وانما

الله تعالى ؛ البدعة أحب الى ابليس من المعصية ، لان المعصية قد يتاب عنها والبدعة لا يتاب منها ، فتكون أضر وأهلك من للمعصية
وفي رسالة الحج له ، ومن الضلالة مذهب الاتحادية والخلولية
الذين يزعمون ان المخلوق عين الخالق وانه يحل فيه كما تقول به ابن
عربي صاحب الفتوحات المكية والفصوص وأمثاله ، ومن الضلالة
قولهم ان الولي افضل من النبي ، لان الولي يأخذ عن الله بلا واسطة ،
وان النبي يأخذ بواسطة الملك .

وفي اقتضاء الصراط المستقيم له ايضا ، ومن صفة اهل الضلال
تخصيص زمان او مكان بعيد او فضيلة او زيارة فيما لم يرد به الشرع
المحمدي واعتقاد الفضل فيه مع كونه لا فضل له في الشريعة اصلا ،
ولا فيه موجب تفضيله ، بل هو كسائر الامكنة او دونها ، فقصده ذلك
المكان او قصد الاجتماع فيه لعلاة او دعاء او ذكر او غير ذلك
ضلال بين .

قال الجامع محمد سلطان المعصومي الخجندی ثم الملكي حفظه الله
عز وجل ، كاجتماع اهل كاشغر في آفاق خواجه ، واهل فرغانه في اوش
وجلاد آباد بزعم ان الاول مقر كرسي سليمان النبي عليه السلام والثاني
فيه قبر ايوب النبي عليه السلام والعين التي اغتسل فيها ، وكاجتماعهم في
شاه مردان في مرغينان ؛ وفي يسي اي تركستان في انصاف الشتاء ،
ويسمونه خلوت ، وفي ضريح بهاؤالدين في بخاري في كل وقت وخصوصا
في ليلة الاربعاء ، وفي بلخ في الربيع في مزار سخي ، وفي موسم معين .

الظلمة . واعلم ان عموم أصحاب المذاهب يعظم في قلوبهم الشخص .
فيتبعون قوله من غير تدبر بما قال . وهذا عين الضلال . لان النظر
ينبغي أن يكون الى القول لا إلى القائل : كما قال على رضى الله
تعالى عنه . ان الحق لا يعرف بالرجال أعرف الحق تعرف أهله وقال .
أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى من ضيق علم العالم أن يقلد في إعتقاده
رجلا . واما الفرعيات فيصح للعامى التقليد فيها لمن سبر ونظر . وأما
الطريق الثاني فكذلك كثير من الفلاسفة الذين خرجوا عن الشريعة والحدود النخ
فان قلت ان كان طريق المقلدين في الاصول وطريق المتكلمين
هكذا فما الطريق السليم من تلبيس ابليس . فالجواب انه ما كان عليه
رسول الله ﷺ وأصحابه وتابعوه باحسان من إثبات الخالق سبحانه
وإثبات صفاته على ماوردت به الآيات والاخبار من غير تغيير ولا بحث
عما ليس في قوة البشر إدراكه .

وفي إقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية . فمن أوصاف الضالين
الانهم ياك في البدع والمحدثات في الامور الدينية . ولا ريب ان من المحدثات
في الدين ما أحدثه بعض الناس أمامضاهاة للنصارى في ميلاد عيسى عليه
السلام وأما محبة للنبي ﷺ وتعظيما له . والله يثيبهم على هذه المحبة .
والاجتهاد لا على البدع من إتخاذ مولد النبي ﷺ عيداً ، فان هذا لم يفعله
السلف مع قيام المقتضى له وعدم المانع منه ، ولو كان خيرا لكان السلف
أحق به منا ، فانهم كانوا أشد محبة لرسول الله ﷺ وتعظيما له منا وانما

كمال محبته وتعظيمه في متابعتة وطاعته واتباع أمره واحياء سنته ظاهراً وباطناً ، ونشر ما بعث به والجهاد على ذلك بالقلب واليد واللسان ، فان هذه طريقة السابقين الاولين من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان ، وأكثر هؤلاء الذين تجدونهم حراساً على أمثال هذه البدع مع ما لهم فيها من حسن القصد والاجتهاد الذي يرجى لهم به المثوبة تجدوهم فآتين في أمر الرسول عما أمروا بالنشاط فيه ، وانما بمنزلة من يحلى المصحف ولا يقرأ فيه . أو يقرأ فيه ولكن لا يتبعه . وبمنزلة من يزخرف المسجد ولا يصلي فيه . أو يصلي فيه قليلاً ، وبمنزلة من يتخذ المصاييح والسجادات المزخرفة رياء وكبراً . كما في الحديث « ما ساء عمل قوم قط الا زخرفوا مساجدهم » الخ .

قال المعصومي حفظه الله عز وجل ؛ فالخير كل الخير في إتباع ما فعله الرسول ﷺ وأصحابه والسلف الصالحون رضي الله تعالى عنهم ، والشر كل الشر والضلال كل الضلال فيما أحدثه المتأخرون في الامور الدينية . وقد قال في جوهرة التوحيد ونعم ما قال .

كل خير في اتباع من سلف كل شر في ابتداع من خلف
فتابع الصالح ممن سلفا وجانب البدعة ممن خلفا
والمراد من السلف المأمور باتباعهم هم الصحابة الكرام والتابعون
الاخير والائمة ذوو الوقار رضي الله تعالى عنهم لا كل من سلف وان
كان من الاشرار او الائمة الدجالين الفجار . كما يزعمه كثير ممن لا خبرة
لهم من الجهال وان كان في صورة الائمة او المشائخ . واصحاب المعام

هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ﴿الآية﴾ . رواه أحمد والنسائي والدارمي وغيرهم
وعن بلال بن الحارث المزني رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول
الله ﷺ « من احب سنة من سنتي قد أميتت بعدى فان له من الاجر
مثل اجور من عمل بها من غير ان ينقص من اجورهم شيئاً ، ومن
ابتدع بدعه ضلالة لا يرضاها الله ورسوله كان عليه من الاثم مثل آثام
من عمل بها لا ينقص ذلك من اوزارهم شيئاً . رواه الترمذي وابن
ماجه وغيرهما .

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله ﷺ
« ليأتين على أمتي كما أتى على بني اسرائيل حذو النعل بالنعل حتى ان كان
منهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك وان بني اسرائيل
تفرقت على ثنتين وسبعين فرقة وملة ، وتفرق أمتي على ثلاث وسبعين
ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة ، قالوا من هي يا رسول الله قال ما أنا عليه
واصحابي ، رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن غريب ، وكذا رواه
أبو هريرة رضى الله عنه وحديثه حديث حسن صحيح ؛ وفي رواية أحمد
وأبي داود عن معاوية رضى الله تعالى عنه ، ثنتان وسبعون في النار
وواحدة في الجنة وهي الجماعة ، وانه سيخرج في أمتي أقوام تتجارى
بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه لا يبقى منه عرق ولا
مفصل الا دخله » وكذا رواه .

وعن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ

كمال محبته وتعظيمه في متابعتة وطاعته واتباع أمره واحياء سنته ظاهراً وباطناً ، ونشر ما بعث به والجهاد على ذلك بالقلب واليد واللسان ، فان هذه طريقة السابقين الاولين من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان ، وأكثر هؤلاء الذين تجدونهم حراساً على أمثال هذه البدع مع ما لهم فيها من حسن القصد والاجتهاد الذي يرجى لهم به المثوبة تجدوهم قاترين في أمر الرسول عما أمروا بالنشاط فيه ، وانما بمنزلة من يحلى المصحف ولا يقرأ فيه . أو يقرأ فيه ولكن لا يتبعه . وبمنزلة من يزخرف المسجد ولا يصلي فيه . أو يصلي فيه قليلاً ، وبمنزلة من يتخذ المصاييح والسجادات المزخرفة رياء وكبراً . كما في الحديث « ما ساء عمل قوم قط الا زخرفوا مساجدهم » الخ .

قال المعصومي حفظه الله عز وجل ؛ فالخير كل الخير في إتباع ما فعله الرسول ﷺ وأصحابه والسلف الصالحون رضي الله تعالى عنهم ، والشر كل الشر والضلال كل الضلال فيما أحدثه المتأخرون في الامور الدينية . وقد قال في جوهرة التوحيد ونعم ما قال .

كل خير في اتباع من سلف كل شر في ابتداع من خلف
فتابع الصالح ممن سلفا وجانب البدعة ممن خلفا
والمراد من السلف المأمور باتباعهم هم الصحابة الكرام والتابعون
الاخير والائمة ذووا الوقار رضي الله تعالى عنهم لا كل من سلف وان
كان من الاشرار او الائمة الدجالين الفجار . كما يزعمه كثير ممن لا خبرة
له من الجهال وان كان في صورة الائمة او المشائخ . واصحاب العمام

هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ﴿الآية﴾ . رواه أحمد والذسائى والدارمى وغيرهم
وعن بلال بن الحارث المزنى رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول
الله ﷺ « من احيى سنة من سنتى قد أميتت بعدى فان له من الاجر
مثل اجور من عمل بها من غير ان ينقص من اجورهم شيئاً ، ومن
ابتدع بدعه ضلالة لا يرضاها الله ورسوله كان عليه من الاثم مثل آثام
من عمل بها لا ينقص ذلك من اوزارهم شيئاً . رواه الترمذى وابن
ماجه وغيرهما .

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله ﷺ
« لياتين على أمتى كما أتى على بنى اسرائيل حذو النعل بالنعل حتى ان كان
منهم من اتى أمه علانية لكان فى أمتى من يصنع ذلك وان بنى اسرائيل
تفرقت على ثنتين وسبعين فرقة وملة ، وتفرق أمتى على ثلاث وسبعين
ملة كلهم فى النار إلا ملة واحدة ، قالوا من هى يا رسول الله قال ما أنا عليه
واصحابى ، رواه الترمذى وقال هذا حديث حسن غريب ، وكذا رواه
أبو هريرة رضى الله عنه وحديثه حديث حسن صحيح ؛ وفى رواية أحمد
وأبى داود عن معاوية رضى الله تعالى عنه ، ثنتان وسبعون فى النار
وواحدة فى الجنة وهى الجماعة ، وانه سيخرج فى أمتى أقوام تتجارى
بهم تلك الاهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه لا يبقى منه عرق ولا
مفصل الا دخله » وكذا رواه .

وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ

من تمسك بسنتي عند فساد أمتي فله اجر مائة شهيد . رواه البيهقي
في كتاب الزهد له .

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ما ضل قوم بعد
هدى كانوا عليه الا اتوا الجدل ثم قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية
(ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون) رواه احمد والترمذي
وابن ماجه وقال القاري في المرقاة المراد من الجدل هنا التعصب لترويج
مذهبهم من غير ان يكون لهم دليل . وذلك محرم .

وعن انس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول لا
تشددوا على انفسكم فيشدد الله عليكم فان قوما شددوا على انفسهم
فشدد الله عليهم فتلک بقاياهم في الصوامع والديار (رهبانية ابتدعوها
ما كتبناها عليهم) رواه ابو داود وغيره .

وعن الامام مالك بن أنس رحمه الله تعالى مرسل قال رسول الله ﷺ
تركت فيكم امرين لن تضلوا ما تمسكن بهما كتاب الله وسنة رسوله
رواه مالك في موطئه وغيره .

وعن غضيف بن الحارث الثمالي رضي الله تعالى عنه قال قال
رسول الله ﷺ ما احدث قوم بدعة الا رفع مثلها من السنة فتمسك
بسنة خير من احدث بدعة رواه احمد وغيره .

وعن ابراهيم بن ميسرة رحمه الله تعالى قال قال رسول الله ﷺ
من قرصاحب بدعة فقد اعان على هدم الاسلام . رواه البيهقي في
شعب الايمان مرسلا . وكذا .

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال من تعلم كتاب الله ثم اتبع ما فيه هداه الله من الضلالة في الدنيا ووقاه يوم القيامة سوء الحساب وفي رواية قال من اقتدى بكتاب الله لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ثم تلى هذه الآية ﴿فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى﴾ رواه رزين وغيره .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً وعن جنبتي الصراط سوران فيهما ابواب مفتحة وعلى الابواب ستور مرخاة وعند رأس الصراط داع يقول استقيموا على الصراط ولا تعوجوا . وفوق ذلك داع يدعو كلما هم عبداً ان يفتح شيئاً من تلك الابواب قال ويحك لا تفتحه فانك ان تفتحه تلجه ثم فسرره فاخبر ان الصراط هو الاسلام وان الابواب المفتحة محارم الله وان الستور المرخاة حدود الله . وان الداعي على رأس الصراط هو القرآن وان الداعي من فوقه هو واعظ الله في قلب كل مؤمن رواه رزين واحمد والبيهقي في شعب الايمان . وكذا رواه الترمذي بنوع اختصار .

وفي آخر كتاب العام من المشكاة المصابيح عن علي رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ يوشك أن يأتي على الناس زمان لا يبقى من الاسلام الا اسمه . ولا يبقى من القرآن الا رسمه . يساجدهم عامرة وهي خراب من الهدى ؛ علمهم شر من تحت أديم السماء . من عندهم تخرج الفتنة وفيهم تعود رواه البيهقي في شعب الايمان .

وفي باب السمعة منه . عن ابى هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال

رسول الله ﷺ سيخرج في آخر الزمان رجال يختلون الدنيا بالدين « أي يخدعون ويطلبون » يلبسون للناس جلود الضأن من اللين ، السنهم أحلى من السكر ، وقلوبهم قلوب الذئاب . يقول الله تعالى أبي يغترون أم على يجترؤن ، فبي حلفت لا بعثن على أولئك منهم فتنة تدع الحليم فيهم حيران » رواه الترمذي قلت الآ يصدق هذه الاوصاف على صوفية العصر وقلندريته الذين يتعيشون في التكايا والزوايا والخانه قاهات ، وتلك الفتنة كفتة الاورباويين والبلاشفة .

وعن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ لتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم ، قيل يا رسول الله ، اليهود والنصارى ، قال فن . رواه الشيخان وقال القاري في شرحه المرقاة ، المراد طريقة أهل الأهواء والبدع التي ابتدعوها من تلقاء أنفسهم بعد انبيائهم من تغيير دينهم وتحريف كتابهم الخ . وفي كتاب الفتن منه ، عن حذيفة رضي الله تعالى عنه قال كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني ؛ قال قلت يا رسول الله أنا كنا في جاهلية وشر ف جاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر قال نعم . قلت وهل بعد ذلك الشر من خير قال نعم وفيه دخن قلت وما دخنه . قال قوم يستننون بغير سنني ويهدون بغير هدي تعرف منهم وتنكر ، قلت فهل بعد ذلك الخير من شر ، قال نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها ، قلت يا رسول الله صفهم لنا ، قال هم من جلدتنا ويتكلمون بالسنتنا قلت فما

تأمرني ان أدركني ذلك ، قال تلزم جماعة المسلمين وإمامهم ، قلت فان لم يكن لهم جماعة ولا إمام ، قال فاعتزل تلك الفرق كلها ولو ان تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وانت على ذلك ، متفق عليه ، وفي رواية لمسلم ، قال يكون بعدى أئمة لا يهتدون بهداهى ولا يستنون بسنتى ، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان أنس ، قال حذيفة قلت كيف اصنع يا رسول الله ان أدركت ذلك . قال تسمع وتطيع الامير وان ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع واطع .

وعن ثوبان رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ « انما أخاف على امتى الأئمة المضلين ، واذا وضع السيف فى أمتى لم يرفع عنهم إلى يوم القيامة » رواه أبو داود والترمذى .

وعن جابر بن سمرة رضى الله تعالى عنه قال سمعت النبی ﷺ يقول « ان بين يدي الساعة كذا بين فاحذروهم » رواه مسلم . قال القارى فى المرقاة : كالذين يدعون النبوة ، ويدعون أهواء فاسدة ويسندون ذلك الباطل اليه ﷺ كاهل البدع كلهم . قلت كما كثر مشائخ الطرق القبوريين والملاحدة المتجدين أصحاب العقول السخيفة والآراء الباطلة .

وعن سهل بن سعد رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ « انى فرطكم على الحوض من مرّ على شرب ، ومن شرب لم يظأ أبداً ، ليردنّ على اقوام أعرفهم ويعرفوننى ، ثم يحال بينى وبينهم فاقول أنهم منى ، فيقال انك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، فاقول سحقا سحقا لمن غير بعدى »

متفق عليه . وفي رواية احمد كما رواه ابن كثير في تفسيره وكذا رواه مسلم وأبو داود والنسائي عن أنس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ « الكوثر حوض ونهر اعطانيه ربي عزوجل في الجنة عليه خير كثير ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد السكواكب ، فيختلج العبد منهم ، فاقول يارب أنه من أمتي ، فيقول انك لا تدري ما أحدثوا بعدك » وفي سنن أبي داود عن أبي سعيد الخدري وأنس بن مالك رضى الله تعالى عنهما عن رسول الله ﷺ قال « سيكون في أمتي اختلاف وفرقة ، قوم يحسنون القيل ويسيتون الفعل ؛ يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين صروق السهم من الرمية لا يرجعون حتى يرتد على فوقه هم شر الخلق والخليقة طوبى لمن قتلهم وقتلوه ؛ يدعون الى كتاب الله وليسوا منه في شيء ؛ من قتلهم كان أولى بالله تعالى منهم قالوا يا رسول الله ما سيأمرهم قال التحليق » وفي رواية : التسميد والتحليق . قال أبو داود التسميد استئصال الشعر . وفي رواية على رضى الله تعالى عنه أنه قال أيها الناس إني سمعت رسول الله ﷺ يقول « يخرج قوم من أمتي يقرؤن القرآن ليست قرائتكم الى قرائتهم شيئاً ولا صلاتكم الى صلاتهم شيئاً ولا صيامكم الى صيامهم شيئاً ، يقرؤن القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم لا تجاوز صلاتهم تراقيهم ، يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية » الحديث .

ثم ان المحقق الامام ابا اسحاق ابراهيم اللخمي الشاطبي رحمه الله تعالى قد أتى في كتابه (الاعتصام) بجمل من علامات اهل البدع

والضلالة ؛ وقد حقق وأفاد ، قال رحمه الله تعالى ان الاسلام قد كمل وتم واستقام طريقه على مدة حياة النبي ﷺ ومن بعد موته ، واكثر قرن الصحابة رضى الله تعالى عنهم الى ان نبغت فيهم نوابع الخروج عن السنة ، وأصغوا الى البدع المضلة كبدعة القدر ؛ ثم لم تزل الفرق تكثر حسبما وعده الصادق ﷺ في قوله « افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، والنصارى مثل ذلك ؛ وتفرقت امتى على ثلاث وسبعين فرقة » وفي الحديث الآخر « لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » وهذا الحديث أعم من الاول فان الاول عند كثير من اهل العلم خاص باهل الاهواء ، وهذا الثانى عام فى المخالفات ، وكل صاحب مخالفة فمن شأنه انه يدعو غيره اليها ، ومن سنة الله فى الخلق ، ان اهل الحق فى جنب اهل الباطل قليل ، لقوله تعالى ﴿ وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ﴾ وقوله تعالى ﴿ وقليل من عبادى الشكور ﴾ ولان الهوى قد يتداخل فى الانسان ، وسبب الخروج عن السنة الجهل بها ، فاندست رسوم السنة حتى مدت البدع أعناقها ، فاشكل على الجمهور صرماها ، فبدأ الدين غريباً كما بدأ ، ولكن مع ذلك لا يزال ولن يزال طائفة من النصحاء فى الارض من عباد الله تعالى يعرضون أعمال العباد على كتاب الله فاذا وافقوه حمدوا الله ، واذا خالفوه عرفوا بكتاب الله ضلالة من ضل وهدى من اهتدى ، فاولئك خلفاء الله تعالى فى الارض .

قال البدعة طريقة فى الدين مخترعة تضاهى الشرعية يقصد بالسلوك

عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية ؛ كالاختصاص في الانقطاع للعبادة ،
والاقتصار من الأكل والشرب والملبس على صنف دون صنف ،
وكالتزام الكيفيات والهيئات المعينة في العبادات كالذكر بهيئة الاجتماع
على صوت واحد واتخاذ يوم ولادة النبي ﷺ عيداً ، وكالتزام صيام يوم
النصف من شعبان وقيام ليلته وصاحب البدعة إنما يخترعها ليضاهي بها
السنة حتى يكون ملبساً بها على الغير ، إذا الإنسان لا يقصد الاستتباع
بأمر لا يشابه المشروع ، لانه إذ ذاك لا يستجلب به في ذلك الابتداع
تفعلاً ، ولا يدفع به ضرراً ، ولا يجيبه غيره اليه ، ولذلك تجدد المبتدع
ينتصر لبدعته بأمر تخيل التشريع ولو بدعوى الاقتداء بفلان المعروف .
فانت ترى العرب الجاهلية في تغيير ملة ابراهيم عليه السلام كيف
تأولوا فيما أحدثوه احتجاجاً منهم ، كقولهم في أصل الاشرار ﴿ ما نعبدهم
إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾ وكترك الحرس الوقوف بعرفة لقولهم ، لا تخرج
من الحرم اعتداداً بحرمته ، وكطواف من طاف بالبيت عريانا قائلين
لا نطوف بالبيت بثياب عصينا الله فيها ، وما أشبه ذلك مما وجهه ليصيره
بالتوجيه كالمشروع ؛ ويقصدون بالسلوك عليها المبالغة في التعميد لله تعالى ،
وهو تمام معنى البدعة ، إذ هو المفسود بتشريعها ، والعامل بغير السنة
تديناً هو المبتدع بعينه ، والتارك للمطلوبات الشرعية ان تركها كسلاً أو
تضييعاً فهو عاص ، وان تركها تديناً فهو مبتدع .

لاخفاء ان البدع من حيث تصورها يعلم العاقل ذمها ، لان
اتباعها خروج عن الصراط المستقيم درى في عمائة ، وان الشريعة جاءت

كاملة لا تحتل الزيادة ولا النقصان ، كما ثبت نصاً ، فان كان كذلك فالمبتدع إنما محمول قوله بلسان حاله أو مقاله ، ان الشريعة لم تتم ؛ وانه بقى منها أشياء يجب أو يستحب استدراكها ، لانه لو كان معتقداً كمالها وتامها من كل وجه لم يبدع ولا استدرك عليها ، وقائل هذا ضال عن الصراط المستقيم .

قال ابن الماجشون سمعت مالكا رحمه الله تعالى يقول ؛ من ابتدع في الاسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً ﷺ خان الرسالة ، لان الله تعالى يقول ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾ فما لم يكن يومئذ ديناً فلا يكون اليوم ديناً ، فمن يبتدع شيئاً في الدين فهو ضال ، أما يكفيك ما كفى من هم خير منك ومن شيوخك ألا وهم الصحابة والتابعون الاخير رضى الله تعالى عنهم .

قوله تعالى ﴿ إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً ﴾ قد جاء تفسيرها في الحديث من طريق عائشة رضى الله تعالى عنها قالت قال رسول الله ﷺ يا عائشة ﴿ إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً ﴾ من هم قلت الله ورسوله أعلم ، قال هم أصحاب الاهواء واصحاب البدع واصحاب الضلالة من هذه الامة ، يا عائشة ان لكل ذنب توبة ما خلا أصحاب الاهواء والبدع ليس لهم توبة ، وانا يرى منهم وهم منى برآء .

قال الامام الاوزاعي رحمه الله تعالى ، بلغنى أن من ابتدع بدعة ضلالة آلفه الشيطان العبادة ؛ أو ألقى عليه الخشوع والبكاء كي يصطاد به ؛ فالمبتدع يزيد في الاجتهاد لينال في الدنيا التعظيم والمال والجم

وغير ذلك من أصناف الشهوات ، الا ترى إلى انقطاع الرهبان في الصوامع والديارات ، ومن مقاساتهم أصناف العبادات وهم مع ذلك خالدون في جهنم ، كما وصفهم النبي ﷺ « يحقر أحدكم صلاته في صلاته وصيامه في صيامه » الحديث .

والمبتدع يخشى عليه الفتنة ، وقد حكى عياض عن سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى ، انه قال سألت مالكا اني أريد أن أحرم من مسجد الرسول ﷺ فقال لا تفعل فان هذا مخالف لله ورسوله اخشى عليك الفتنة في الدنيا والعذاب الاليم في الآخرة ؛ أما سمعت قوله تعالى ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم ﴾ قال وأي فتنة في هذا فانما هي أميال أزيدها . قال وأي فتنة أعظم من أن ترى انك سبقت الى فضيلة قصر عنها رسول الله ﷺ . وهذه الفتنة التي ذكرها مالك رحمه الله تعالى في تفسير الآية هي شأن أهل البدع وقاعدتهم التي يؤسسون عليها بنيانهم . فانهم يرون ان ما ذكره الله تعالى في كتابه وما سنه نبيه ﷺ دون ما اهتدوا اليه بعقولهم .

وفي مثل ذلك قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه فيما روى عنه ابن وضاح لقد هديتم لما لم يهتد به نبيكم . وانكم تتمسكون بذنوب ضلالة . اذ صر بقوم كان رجل يجمعهم يقول رحم الله من قال كذا وكذا مرة سبحان الله . فيقول القوم ويقول رحم الله من قال كذا وكذا مرة الحمد لله ، فيقول القوم . يعني انه يلحق الناس التسبيح والتحميد بالكيفية التي ذكرها فعد ذلك بدعة . لان النبي ﷺ ما كان يلحق أصحابه الذكر بهذه

الكيفية . ذلك بان الصحابة والتابعين لهم كانوا لا يتجاوزون في الدين حد الاتباع ولوا الى مستحسن في الرأي . ويمدون من زاد في العبادة على ماورد ولو في الصورة والكيف مبتدعاً مفضلاً نفسه على الشارع واضعاً نفسه موضع من اهتدى الى ما لم يهتد اليه الرسول ﷺ في بيان كتاب الله وتبليغ دين الله . وبيان ما يوصل الى الله .

ولما تقرر ان البدعة ضلالة . وان المبتدع ضال ومضل . ومن صفات أهل الضلالة الاختلاف والتفرق شيعاً وتفرق الطرق . كما تشهد به الآيات والاخبار . ولا تجد مبتدعاً ممن ينسب الى الملة الا وهو يستشهد على بدعته بدليل شرعى . فينزله على ما وافق عقله وشهوته . وهو امر ثابت في الحكمة الازلية التي لا مرد لها . قال الله تعالى ﴿ يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً ﴾ وقال تعالى ﴿ فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ﴾ الآية .

ثم ان بعض المفسرين وان قالوا ان المغضوب عليهم اليهود والنصارى . ولكن لا يبعد أن يقال ان الضالين يدخل فيه كل من ضل عن الصراط المستقيم كان من هذه الامة اولا . اذ قوله تعالى ﴿ ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾ عام في كل ضال كان ضلاله كضلال الشرك والنفاق . أو كضلال الفرق المعدودة في الملة الاسلامية وهو أبلغ وأعلى في قصد حصر أهل الضلال . وهو اللائق بكلية فاتحة الكتاب والسبع المثاني . قال ومن جملة أهل البدع والضلال هؤلاء الفقراء الذين زعموا انهم سلكوا طريق الصوفية . وقاما تجد منهم من يحسن قراءة الفاتحة في

الصلاة الاعلى للحن . فضلا عن غيرها . ولا يعرف كيف يتعبد . وكيف يعلمون ذلك وهم قد حرموا مجالس الذكر التي تغشاها الرحمة . وتنزل فيها السكينة وتحف بها الملائكة ، فبانطاس هذا النور عنهم ضلوا ، فافتدوا بجهال أمثالهم وخرجوا عن الصراط المستقيم الى ان يجتمعوا ويقرأ احدهم شيئا من القرآن يكون حسن الصوت طيب النغمة جيد التآحين تشبه قرائته الغناء المذموم ثم يذكرون الله ويرفعون اصواتهم على صوت واحد يشبه الغناء . (قلت بل مثل اصوات حمر جمعاء نهقت نهقا كما كان هو المشاهد في بلاد تركستان) ويزعمون ان هذا من مجالس الذكر المندوب اليها ، وكذبوا فانه لو كان حقا لكان السلف الصالح أولى بادراكه وفهمه والعمل به والا فإين في الكتاب أو السنة الاجتماع للذكر على صوت واحد جهرا عاليا ، وقد قال الله تعالى ﴿ ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين ﴾ والمعتدين في التفسير هم الرافعون أصواتهم بالدعاء ، وعن أبي موسى الاشعري رضى الله تعالى عنه قال كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فجعل الناس يجهرون بالتكبير ، فقال النبي ﷺ « اربعوا على انفسكم ، انكم لا تدعون اصم ولا غائبا ، انكم تدعون سميعا قريبا ، وهو معكم ، وهذا الحديث من تمام تفسير الآية ؛ ولم يكونوا رضى الله تعالى عنهم يكبرون على صوت واحد ، ولكنهم نهام عن رفع الصوت ليكونوا محتملين للآية ؛ وقد جاء عن السلف ايضا النهي عن الاجتماع على الذكر والدعاء بالهيئة التي يجتمع عليها هؤلاء المبتدعون ، وجاء عنهم النهي عن المساجد المتخذة لذلك ؛ وهي الربط التي يسمونها بالصفة .

وفقراء الوقت قد تخيروا بايات وتميزوا باصوات، هي إلى الاعتداء أقرب منها إلى الاقتداء، وطريقتهم إلى اتخاذها مأكلة وصناعة، أقرب منها إلى اعتدادها قرينة وطاعة. وقد صح من حديث عرياض بن سارية رضى الله تعالى عنه قال وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب الحديث فقال الامام الآجورى العالم السنى ابو بكر رحمه الله تعالى، ميزوا هذا الكلام، فانه لم يقل صرخنا من موعظة؛ ولا طرقتنا على رؤوسنا؛ ولا ضربنا على صدورنا، ولا زفنا ولا رقصنا؛ كما يفعل كثير من الجهال يصرخون عند الموعظة ويزعقون ويتناوشون، قال وهذا كله من الشيطان يلعب بهم وهذا كله بدعة وضلالة، ويقال لمن فعل هذا، اعلم ان النبى ﷺ اصدق الناس موعظة وانصح الناس لامته وارق الناس قلباً، وخير الناس من جاء بعده، ولا يشك فى ذلك عاقل، ما صرخوا عند موعظته ولا زعقوا ولا رقصوا ولا زفنا، ولو كان هذا صحيحاً لكانوا احق الناس به ان يفعلوه بين يدي رسول الله ﷺ، ولكنه بدعة وضلالة ومنكر؛ فاعلم ذلك ولا تكن من الجاهلين الهالكين.

ومن البدع عمل جملة ممن ينتمى إلى طريقة الصوفية من تربصهم بيمض العبادات (المختصرة كختم خواجة وأوراد الفتحية ودلائل الخيرات واشدهم من يلزم تلاوة قصيدة البردة) أوقاتا مخصوصة غير ما وقته الشرع فيها، وربما وضعوا لانواع من العبادات لباساً مخصوصاً، واشباه

ذلك من الاوضاع الفلسفية يضعونها شرعية ، أى متقرباً بها إلى الحضرة
الالهية في زعمهم ؛ وربما وضعوها على مقاصد غير شرعية ، كاهل التصريف
بالاذكار والدعوات ليستجلبوا بها الدنيا من المال والجاه والحظوة ورفع
المنزلة ، بل ليقتلوا بها ان شاءوا أو يمرضوا أو يتصرفوا وفق اغراضهم .
فهذه كلها بدع محدثات بعضها أشد من بعض لبعدها هذه الأغراض عن
المقاصد الشرعية الاسلامية الموضوعة مبرأة عن مقاصد المتخربين ،
مطهرة لمن تمسك بها عن أضرار اتباع الهوى . وهذا كله ان فرضنا أصل
العبادة مشروعاً ، فان كان أصلها غير مشروع فهي بدعة حقيقية مركبة
كالاذكار والأدعية التي يزعمون انها مبنية على علم الحروف . كما اعتنى به
البونى وغيره ممن حذوا حذوه أو قاربوه ، وكل ذلك ضلال ، واشبه بالسحر
وان ادعوا أنه كرامات .

وواضح البدعة يزعم أنه يتقرب بها إلى الله تعالى ، فهي عنده مما يلحق
بالمشروعات ؛ كجمل الثانى عشر من ربيع الأول ملحقاً بإيام الاعياد
لأنه صلى الله عليه وسلم ولد فيه ؛ ومكن عد السماع والغناء مما يتقرب به إلى الله تعالى بناءً
على أنه يجلب الاحوال السنية ، أو رغب في الدعاء بهيئة الاجتماع في ادبار
الصلوات دائماً ، أو زاد في الشريعة أحاديث مكذوبة لينصر في زعمه
سنة محمد صلى الله عليه وسلم ، ويقول انما كذبت له لاعليه وكل هذا بدعة وافتراء
على الشريعة .

قال وانما سمي أهل البدع أهل الاهواء ، لأنهم اتبعوا أهواءهم
فلم يأخذوا الادلة الشرعية مأخذ الافتقار اليها والتعويل عليها ، حتى

يصدروا عنها بل قدموا اهوائهم واعتمدوا على آرائهم، ثم جعلوا الادلة الشرعية منظوراً فيها من وراء ذلك ؛ واكثر هؤلاء هم أهل التحسين والتقبيح ومن مال إلى الفلاسفة وغيرهم ويدخل في غمارهم من كان منهم يخشى السلاطين لنيل ما عندهم ، أو طلباً للرئاسة ؛ فلا بد أن يميل مع الناس بهوائهم ويتأول عليهم فيما أرادوا وأرادوا، فبذلك فسدت الامور وتغيرت الشريعة .

قال العبد الضعيف جامع هذه السطور محمد سلطان المعصومي الخجندی المهاجر المجاور الآن بمكة المكرمة اني كلما أشاهد ما في عتبة الكعبة المشرفة من الحجرة والشموع الموقدة ضئيلة النور يتنفر عنها قلبي واحسب هذا الفعل من الدخيل . لأنني قد شاهدت في كنائس النصارى وبيع اليهود ومعابد المجوس والبودا والبراهمة في بلاد الروس والصين والمغل والتبت والهند وأوروبا أنهم يوقدون المجامر والشموع في ابواب معابدهم وبين يدي صور معبوداتهم . ولهذا شبهه من ذاك ، والحال ان النبي ﷺ حذرنا عن المشابهة بهم ؛ كما يوضح المسئلة حديث الاذان حين ذكر الناقوس والنار ثم بعد زمان طاعت في كتاب الاعتصام للمحقق الشاطبي . قال ابن العربي أول من اتخذ البخور في المسجد بنو برمك يحيى بن خالد ومحمد بن خالد كانوا باطنيته يعتقدون آراء الفلاسفة فاحيوا المجوسية واتخذوا البخور في المساجد وانما كانت تطيب بالخلوف ، فزادوا التجمير الخ ، وقال العلامة الاستاذ السيد محمد رشيد رضا في حاشيته ، قال بعض المؤرخين ، ان البرامكة زينوا للرشييد وضع المجامر في الكعبة المشرفة ليأانس المسلمون بوضع النار

في أعظم معابدهم ؛ والنار معبود المجوس ، والظاهر ان البرامكة كانوا من رؤساء جمعيات المجوس السرية التي تحاول هدم الاسلام وسلطة العرب . وإعادة الملك للمجوس ؛ وانما افتك بهم هارون الرشيد لانه وقف على دخائلهم ، قال المعصومي فعلى هذا ثبت ان وضع الحجرة وإيقاد الشمع الضئيل النور على عتبة السكبة المشرفة مما دس اعداء الاسلام فيجب على ولي الامر العامل بالسنة منع ذلك ، مع ان المشاهدان تلك الشمعة لا تفيد نوراً ، فانتبهوا يا أولى الالباب الابصار

ان أهل البدع وأصحاب الضلالات لهم خواص وعلامات يعرفون بها ، منها الفرقة التي نبه عليها قوله تعالى ﴿ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات ، والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة ، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ﴾ قال بعض العلماء صاروا فرقا لا تباع اهوائهم ، وبمفارقة الدين تشتت أهوائهم فافترقوا ، وهو قوله تعالى ﴿ ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً ﴾ ثم برأه الله تعالى منهم بقوله ﴿ لست منهم في شيء ﴾ وهم أصحاب البدع وأصحاب الضلالات . وقد وجدنا أصحاب رسول الله ﷺ من بعده قد اختلفوا في احكام الدين ولم يتفرقوا ، ولا صاروا شيعاً لانهم لم يفارقوا الدين وانما اختلفوا فيما أذن لهم من الاجتهاد . والاستنباط من الكتاب والسنة فيما لم يجدوا فيه نصاً ، كالختلاف أبي بكر وعمر وعلي وزيد رضي الله تعالى عنهم في الجدة مع الأم ونحوه . فاختلفوا فيه وكانوا مع هذا أهل مودة وتناصح ، واخوة الاسلام فيما بينهم قائمة ، فلما حدثت الأهواء

المردية التي حذر منها رسول الله ﷺ وظهرت العداوات وتحزب أهلها فصاروا شيعاً . دل على انه انما حدث ذلك من المسائل المحدثه التي القاها الشيطان على افواه اوليائه .

فكل مسألة حدثت في الاسلام واختلف الناس فيها ولم يورث ذلك الاختلاف بينهم عداوة ولا بغضاء ولا فرقة علمنا انها من مسائل الاسلام، وكل مسألة حدثت وطرأت فأوجبت العداوة والبغضاء والتدابير والقطيعة علمنا انها ليست من أمر الدين في شيء . وانها التي عنى رسول الله ﷺ بتفسير الآية . وذلك ما روى عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت قال رسول الله ﷺ يا عائشة « ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً » من هم ، قلت الله ورسوله اعلم ؛ قال هم اصحاب الاهواء واصحاب البدع واصحاب الضلالة من هذه الامة الحديث ؛ قال فيجب على كل ذي عقل ودين ان يجتنبها ، والاسلام يدعو إلى الالفه والتحاب والتراحم والتعاطف ، فكل رأى ادى إلى خلاف ذلك نخرج عن الدين . ومن خواص أهل البدع والضلالات ما نبه عليه قوله تعالى ﴿ فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ﴾ الآية فبينت الآية ان أهل الزيغ يتبعون متشابهات القرآن ، ومعنى المتشابه ما اشكل معناه ؛ ولم يبين مغزاه ومن علاماتهم اتباع الهوى ؛ وهو الذى نبه عليه قوله تعالى ﴿ فاما الذين في قلوبهم زيغ ﴾ والزيغ هو الميل عن الحق اتباعاً للهوى ، وكذلك قوله تعالى ﴿ ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ﴾

افرايت من اتخذ الهة هواه واضله الله على علم) وقد قررنا ان اصل الضلال وحدث الفرق انما هو الجهل بمواقع السنة .

قال الامام مالك رحمه الله تعالى ان العبد لو ارتكب جميع الكبائر بعد ان لا يشرك بالله شيئاً وجبت له ارفع المنازل لان كل ذنب بين العبد وربه هو منه على رجاء . وصاحب البدعة ليس هو منها على رجاء ، انما يهوى به في نار جهنم لكونه اعتقد ببدعته خيراً وثواباً . انتهى ملخصاً .

قال العلامة البركوي محمد بن بير على الرومي الحنفي في كتابه الطريقة الحمديدية ، بعدما ذكر الاحاديث الواردة في ذم البدعة وضررها ، ان للبدعة معنى لغوي عام وهو المحدث مطلقاً عادة او عبادة ، ومعنى شرعي خاص هو الزيادة في الدين أو النقصان منه الحادثان بعد الصحابة بغير اذن من الشارع لا قولاً ولا فعلاً ولا صريحاً ولا اشارة ؛ فلا يتناول العادات أصلاً ، بل تقصر على الاعتقادات والعبادات ؛ فهذه هي مراده صلوات الله عليه بدليل قوله صلوات الله عليه « فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، ومن احدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد » وقوله صلوات الله عليه « أنتم اعلم بامور دنياكم » والبدعة في الاعتقاد هي المتبادرة من اطلاق البدعة والبدعة في الاعتقاد هي اكبر من كل كبيرة في العمل حتى القتل والزنا والبدعة في العبادة وان كانت دونها لكنها ايضا منكرو ضلال ، لاسيما اذا صادمت سنة مؤكدة . واما البدعة في العادة كالنخل فليس فعلها ضلالة ؛ بل تركها اولى . فظهر ان البدعة ثلاثة اصناف مرتبة في القبح . ثم

ان فعل البدعة اشد ضرراً من ترك السنة ، لان الفقهاء قالوا اذا تردد في شيء بين كونه سنة أو بدعة فتركه لازم .

فان قيل ان ما سبق قد دل على ان الكتاب والسنة كافيان في أمر الدين ، وان ما لم يثبت باحدهما بدعة وضلالة ، فكيف يستقيم قول الفقهاء الادلة الشرعية اربعة ، قلنا لا بد للاجماع من سند من احدهما حالا ومالا على الصحيح ، والقياس من اصل ثابت باحدهما ، وانه مظهر لا مثبت ، فراجع الاحكام ومثبتها إثباتان في الحقيقة ، فظهر من هذا أن ما يدعيه بعض المتصوفة في زماننا إذا أنكر عليهم بعض أمورهم المخالف للشرع الشريف ان حرمة ذلك في العلم الظاهر وأنا أصحاب العلم الباطن وانه حلال فيه ، وأنكم تأخذون من الكتاب وانا تأخذ من صاحبه محمد ﷺ ، وذلك كله من الترهات والحاد وضلال ، ويجب على كل من سمعه من المؤمنين الانكار على قائله ؛ والجزم ببطلان مقاله بلا شك ولا تردد والافهم من جملتهم ، فيحكم بالزندقة عليهم .

ومن الامور المبتدعة الباطلة التي اكب الناس عليها على ظن انها قرب وطاعات استتجار القاريء لتلاوة القرآن ووقف النقود عليها والامر باعطاء ثوابها الى ارواح من يريد الامر والوصية بذلك ، فكل هذا باطل وضلال ؛ وقال عطاء الله السكندري في حكمه أن من علامة اتباع الهوى الاهتمام والانهالك في نوافل العبادات مع التساهل في الفرائض والواجبات ، وكذا نقله النازلي في آخر كتابه خزينة الاسرار .

قال العبد الضعيف وقد صرح العلماء بان الالهام ليس من أسباب المعرفة

بالاحكام ، وفى العقيدة النسفية والالهام ليس من أسباب معرفة الحق بشىء عند أهل الحق ، وكذلك الرؤيا فى المنام خصوصا اذا خالفا كتاب العليم العلام ، أو سنة محمد عليه الصلاة والسلام ؛ وقد قال سيد الطائفة الصوفية جنيد البغدادي رحمه الله تعالى الطرق كلها مسدودة إلا على من اقتفى أثر الرسول ﷺ ، وقال من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لا يقتدى به فى هذا الامر لان علمنا ومذهبنا هذا مقيد بالكتاب والسنة .

وقال ابو يزيد البسطامي رحمه الله تعالى ، لو نظرت الى رجل أعطى من الكرامات حتى تربع فى الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الامر والنهى وحفظ الحدود . الخ .

قال العبد الضعيف محمد سلطان المعصومى عافاه الله تعالى ، وإنما طولت الكلام فى شأن أهل الضلال وصفاتهم لكثرة شعوبهم وتشتت سبلهم وتفرق مذاهبهم ليعرفوا فيحترزوا ؛ لان من عرف السم اجتنب ومن جهل ربما وقع فيه فهلك ؛ كما دلت عليه الآيات القرآنية والاحاديث النبوية ، وشهدت التجربة فנסألك اللهم أن توفقنا إلى صراطك المستقيم الذى وفقت له أنبيائك وعبادك الصالحين ؛ واحفظنا ياربنا عن الوقوع فيما وقع فيه الذين غضبت عليهم وعمما وقع فيه أهل الضلال . آمين .



الخاتمة في (آمين)

قال الحافظ العماد ابن كثير في تفسيره يستحب لمن يقرأ الفاتحة أن يقول بعدها آمين مثل يسين ، ويقال آمين بالقصر أيضا ، ومعناه اللهم استجب ، والدليل على استحباب التأمين ما رواه الامام احمد وابو داود والترمذي عن وائل بن حجر رضي الله تعالى عنه قال سمعت النبي ﷺ قرأ ﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ فقال آمين . مد بها صوته ، ولا يبي داود رفع بها صوته ، وقال الترمذي هذا حديث حسن ، وروى عن علي وابن مسعود وغيرهما رضي الله تعالى عنهم وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال كان رسول الله ﷺ إذا تلا ﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ قال آمين حتى يسمع من يليه من الصف الاول ، رواه ابو داود ، وابن ماجه ، وزاد فيه فيرتج بها المسجد قال الدارقطني هذا اسناد حسن .

ونقل ابو نصر القشيري عن الحسن وجعفر الصادق رحمهما الله تعالى انها شدة الميم من آمين مثل ﴿ آمين البيت الحرام ﴾ قال الشوكاني في نيل الاوطار خطأ جماعة هذه الرواية ، قال اصحابنا وغيرهم ويستحب ذلك لمن هو خارج الصلاة ، ويتأكد في حق المصلي ، وسواء كان منفردا أو إماما أو مأموما وجميع الاحوال ، لما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله ﷺ « قال اذا أمن الامام فامنوا ، فانه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه » وفي مسلم عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه مرفوعا اذا قال : يعني الامام ﴿ ولا

الضالين ﴿ فقولوا (آمين يحبكم الله) قال ابن عباس رضى الله تعالى عنها
قلت يا رسول الله ما معنى آمين ، قال رب افعل ، قال الجوهري معنى
آمين كذلك فليكن وقال الترمذى معناه لا تخيب رجاءنا ؛ وقال
الا كثرون معناه اللهم استجب لنا ، وحكى القرطبي عن مجاهد وجعفر
الصادق وهلال بن يساف رحمهم الله تعالى ، ان آمين اسم من أسماء الله
تعالى ، وروى ابن مردويه عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول
ﷺ قال (آمين خاتم رب العالمين على عباده المؤمنين) وعن أنس رضى
الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ إعطيت آمين في الصلاة وعند الدعاء
لم يعط أحد قبلى الا أن يكون موسى ، كان موسى يدعو وهارون يؤمن
فاختموا الدعاء بآمين فان الله يستجيب لكم ، فآمين هارون نزل منزلة
من دعا لقوله تعالى ﴿ قد أجيب دعوتكما ﴾ فلهذا قال من قال ان المأموم
لا يقرأ لان تأمينه على قراءة الفاتحة بمنزلة قرائتها ، ولهذا جاء في الحديث
« من كان له إمام فقرأه الامام له قراءة » رواه احمد في مسنده النخ .
قال الامام محي السنة البغوى في تفسيره ، والسنة للقارىء أن
يقول بعد فراغه من قراءة الفاتحة آمين مفصولا عن الفاتحة بسكته
وهو مخفف ومجوز ممدوداً ومقصوراً ؛ ومعناه اللهم اسمع واستجب وقيل
هو طابع الدعاء ، وقيل هو خاتم الله على عباده يدفع به الآفات عنهم
كخاتم الكتاب يمتعه من الفساد وظهور ما فيه النخ .
قال العلامة البيضاوى في تفسيره ، آمين اسم الفعل الذى هو
استجب ، وليس من القرآن وفاقا ، ولكن يسن ختم السورة به لقوله

ﷺ علمني جبريل آمين عند فراغى من قراءة الفاتحة ؛ وقال انه كالتيم
على الكتاب ، وفي معناه قول على رضى الله تعالى عنه آمين خاتم رب
العالمين ختم به دعاء عبده . الخ .

وقال شيخ الاسلام برهان الدين على المرغيناني في الهداية ، آمين
المد والقصر فيه وجهان ، والتشديد فيه خطأ فاحش .

قال العبد الضعيف الغريب المهاجر وفي حرم الله المجاور محمد
سلطان المعصومي ، فنحمدك اللهم وأنت رب العالمين الرحمن الرحيم .
مالك يوم الدين . فياك نعبد وإياك نستعين . واهدنا الصراط المستقيم
الذى أنعمته على عبادك الصالحين من الانبياء والصديقين وعبادك
المؤمنين ؛ وأدم لنا التوفيق للقيام بذلك ، واحفظنا ياربنا عن صراط
المغضوب عليهم وطرائق الضالين من المشركين والمنافقين والكافرين
والزنادقة والملحدين والائمة الدجالين المضلين وشياطين الانس والجن
أجمعين ؛ وأسألك اللهم ياربنا أن تجعل هذا التأليف خالصاً لوجهك
الكريم ، وان تنفع به عبادك المؤمنين ، وأن تهدي به الضالين ، فتجعله
ذكراً الى عندك وذخراً ليوم الدين ، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من
أتى الله بقلب سليم ؛ يارب ان العبد الغريب المسكين ، البعيد عن
الاولاد والاقارب والاهل ومن المتكويين ، املتجى الى بابك في
جوار بيتك المعظم ، فاحفظ اللهم اولادى الذين تركتهم في بلاد ما
وراء النهر من خجندة والصين ، ويسر لهم الطريق وأوصلهم إلى
حرمك وحرم رسولك يا أكرم الاكرمين ويا أرحم الراحمين ، ويا مجيب

السائلين ، ويا مجير من استجارك يارب العالمين ، يارب تمت اليك فهب لي نوراً من انوارك ، وعلماً نافعاً ورزقاً حلالاً طيباً واسعاً ، ولا تحوجني إلى غيرك ، وأغني بفضلك عمن سواك ، وارزقني الحسنى واختم عمري بلا إله إلا الله خالصاً ومخلصاً ، فاني لا أعبد إلا إياك ، ولا أستعين إلا بك ، ولا أتجئ إلا اليك ، وانا العبد العاجز المسكين لديك .

هذا آخر ما أردت تحريره مما التقطته من مقالات السلف الصالحين المتعلقة بتفسير فاتحة الكتاب حسب فهمي القاصر وعقلي الفاتر ، ولعل ما تركته أكثر مما ذكرت ، فالله حسبي وعليه اعتمادى في مبدئي ومعادى ، وآخر دعوانا سبحان رب العزة عما يصفون .
وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين . وكان ذلك ضحوة يوم الاحد الرابع عشر من شهر صفر عام (١٣٥٦) هـ . المطابق ٢٥ من شهر ابريل (١٩٣٧) م . في مكة المكرمة في مسكنى في رباط خجند الكائن في أول زقاق البخارية من محلة المسفلة قريباً من مسجد الحرام بقلم جامعه العبد الضعيف الغريب المهاجر المجاور بهذا البلد الامين محمد سلطان المعصومى الخجندى ثم المكي المدرس بالمسجد الحرام ومدرسة دار الحديث المكية . تم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذى وفقنا لخدمة العلم ونشره من منذ عنقوان الشباب الى آخر شبابه والصلاة والسلام على رسول الله الذى بلغ اليانا عن الله تعالى ما يحبه من دينه وشرعه ورضى الله تعالى عن صحابته وعلماء دينه الذين بلغوا اليانا ما ثبت عنه ﷺ من قوله وفعله وتقريره باسانيد متصلة وطرق صحيحة بايضاح سبيله وإزالة خفائه .

أما بعد فقد وفقنى الله تعالى لطبع تفسيرى لام القرآن الذى سميته (أوضح البرهان فى تفسير أم القرآن) فى مطبعة أم القرى الكائنة فى مكة المكرمة بنفقة (الملك المعظم مالك المملكة العربية السعودية) ﴿ عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ﴾ وفقه الله تعالى لما فيه رضاه . فجاء بمعون الله تعالى على أحسن شكل وأجل حرف وقد كنت طبعت قبل هذا مقدمة لهذا التفسير وكنت سميتها (مختصر ترجمة حال محمد سلطان الذى كتبه مقدمة لتفسير أم القرآن) وكانت جزءاً من رسالتى (حكم الله الواحد الصمد فى حكم الطالب من الميت المدد) وكان طبعهما فى مصر فى مطبعة عيسى البابى الحلبي وشركاه بتاريخ ٢ / ٥ / ١٣٥٥ واكتفيناهذا عن إعادة طبعها هنا فنأراد الوقوف على تلك المقدمة فعليه بها فانها نافعة ومفيدة وصادرة عن تجارب صحيحة وهى توجد عند المؤلف بكمية وافرة أسأل الله تعالى أن يجعل مؤلفاتى خالصة لوجه الكريم وسبباً للفوز الى جنات النعيم وأن ينفع بها العباد فى عامة البلاد آمين .

والمؤلف مؤلفات أخرى يريد طبعها ونشرها ان يسر الله تعالى
مؤنة الطبع بحول الله تعالى وقوته وهالك بيانها .

(١) « حبل الشرع المتين وعروة الدين المبين » مرتب على المواد
وعدها الف مادة كل واحدة منها مثبتة بالآيات والاحاديث والآثار .
(٢) « القول السديد في تفسير سورة الحديد » باللغة التركية
الازبكية قد بين فيه مافيه سعادة الدنيا والآخرة .

(٣) « رفع التشكيك عن مظالم البلاشفيك . او من البولشوفيك
وما البولشوفيزيم » قد بين فيه ما شاهد به بعينه ما فعلته البلاشفة من
الظلم والعدوان والتدمير والتخريب .

(٤) « تحفة الخواص في تفسير آية الكرسي والاخلاص »
وهي باللغة التركية الازبكية . وغيرها من المجموعات .



فهرست

اوضح البرهان

الموضوع	الترتيب	الموضوع	الترتيب
الفتحة تشتمل على الاشارة لجميع ما ورد في القرآن .	٢٢	الخطبة المشتملة على الآيات المشيرة الى التمسك بالقرآن	٣
فصل في ما ورد في فضل الفتحة	٢٧	شعور بعض المسلمين الى ذهاب مجد اسلافهم وسيدته	٥
فصل في انواع الكفر والشك الذي كان في عصر النبي ﷺ ونزل القرآن لبيانه .	٢٩	مقدمة في لزوم فهم معاني القرآن	٧
المشركون يقررون بتوحيد الربوبية فدعاهم النبي ﷺ الى توحيد الالهية .	٣١	من هجران القرآن ترك تدبره وتفهمه وترك العمل به	٩
ان جميع المكفار والمشركين يقررون بوجود الله تعالى .	٣٢	مثال من قرأ القرآن ولم يفهم معناه ولم يعمل بأوامره	١٢
هل الذكر بالاسم المفرد الله ذكر شرعي او بدعي بل بدعي ولا شك فيه .	٣٤	فصل هل تنفع العبادات الظاهرة بلا تصحيح الاعتقادات والقلب	١٥
فصل في بيان التعموذ من الشيطان الرجيم في ابتداء القراءة . وفي كل الازمان والحالات	٣٦	صورة الصلوة والاسلام لا تنفع من النجاة الاخرية شيئاً بل لا بد من الاعتقاد الصحيح	١٧
ان في التعموذ خمسة اركان الاستعاذة لا تتم الا بعلم وحال وعمل	٣٧	المقصد من الجوز والوزله لا فشده وانما هو للوقاية .	١٨
	٣٨	فصل الفتحة ام الكتاب وام القرآن	٢٠
		نزلت هذه السورة لتعليم العباد احوال مباديهم ومعادهم .	٢١

الموضوع	الترتيب	الموضوع	الترتيب
ومن صفات الشيطان الافك والبهتان ومن حربه الائمة الدجالون وبيان خطوات الشيطان	٦٠	تنبيه في تحقيق لفظ الجلالة الله ومعناه .	٤١
ومن خطوات الشيطان ترك الاسباب الطبيعية اعتمادا على اهل القبور وسلطتهم الغيبية	٦٢	فصل في تحقيق لفظ الشيطان ومعناه وحقيقته .	٤٣
ترجم الصوفية بالا ذكار يشبه ترجم الرهبان في الكنائس	٦٣	في حكم الاستمادة انها واجبة او مستحبة .	٤٤
ومن صفات الشيطان الاسراف والتبذير والتشبيه بالكفار والظالمين ان للشيطان جندين عظيمين والغفلة والشهوة . ووصا ابليس لبنيه	٦٤	كما ان الاستمادة واجبة في اول القراءة كذلك تلزم في كل الحالات	٤٦
الامناء السوء هم الشياطين . قصه ابليس والشيطان الابيض . وبرصيصا الراهب	٦٥	فصل في بيان عداوة الشيطان لبني آدم .	٤٨
كيف حال الخوارق وما يزعمه الناس كرامات	٦٦	الشيطان كما يكون من الجن كذلك يكون من الانس .	٤٩
ما يفعله سدنة القبور من الدجل والخرافة	٦٧	ما اضل المسلمين الا الائمة المضلون	٥١
بيان ما دسه المبشرون في المسلمين وبياناتهم	٦٨	فصل في خواص التعموذ ونتيجته .	٥٢
اعلم ان كل قبيح ينسب الى الشيطان اتخاذ التجار من صورة الجاحظ تمثالا للشيطان	٧١	فصل في الشيطان انما يغلب على من يطيعه ويواليه .	٥٤
	٧٢	فصل ان الشيطان لما كان عدوا لجميع بني آدم كان الانبياء اكثر استمادة منه .	٥٥
	٧٣	فصل التعموذ انما يكون بالله وباصحائه وصفاته لا غير	٥٧
	٧٤	في بيان صفات الشياطين من بني آدم الكبر وعدم قبول الحق	٥٨

الموضوع	الترتيب	الموضوع	الترتيب
العالم كله مغنقرا الى الله في وجوده وبقائه	١٠٠	سر تقديم النعموذ على التسمية	٧٥
تربية النطفة في الرحم . والحبة والشجر والنبات .	١٠١	فصل في احكام بسم الله الرحمن الرحيم وفضائله	٧٦
سورة الفاتحة جامعة لكل ما يحتاج الانسان في المبداء والمعاد .	١٠٢	سر التسمية في اول الامور ومعناها	٧٨
سرد الآيات التي حمد الله تعالى بها نفسه . وأفاذ أنه رب العالمين .	١٠٣	فصل في تفسير بسم الله الرحمن الرحيم مفصلا	٨٠
من يتأمل في هذه الآيات تتبين له الحقيقة .	١٠٦	فصل في فضائل بسم الله الرحمن الرحيم وخواصه	٨٤
ان التربية لجميع العالمين مختصة بالله تعالى فلا رب سواه .	١٠٧	تفسير الحمد لله رب العالمين	٨٨
التربية قسمان حقيقية وظاهرية . فالحقيقية مختصة بالله تعالى والظاهرية انواع . واما التربية التي تدعيها الصوفية فضلالة ووثنية .	١٠٨	كيفية تربية الله تعالى للعالمين	٩٠
تربية الله للعالمين ليست لحاجة به اليهم بل بمحض رحمته .	١٠٩	ما قال زهرة لرستم مقصدا اخرج العباد من عبادة العباد الى عبادة الله	٩١
ان الحوادث قسمين ما يظن انه رحمة مع انه عذاب . وما يظن انه عذاب مع انه في الحقيقة رحمة وفضل وامثلته	١١٠	الحمد يكون على مقدار علم الحامد	٩٢
تفسير قوله تعالى (مالك يوم الدين)	١١١	حكاية المؤلف ومدح الرجل الذي لم يطالع كتابه وارساله المقص وقص الاورباويين أرضنا	٩٣
فان قيل أليس كل الايام أيام جزاء والجواب عن ذلك .	١١٢	ان كثير آمن قرائما يعيش بقرائته كالخمار يحمل اسفارا .	٩٥
		الالف واللام في الحمد للاستغراق ومعنى الرب	٩٦
		ان شكر المنعم واجب على المنعم عليه عقلا وشرعا .	٩٨
		الكفار أما معطلة وأما مشركة .	

الموضوع	الموضوع	الموضوع	الموضوع
١١٣	ان التربية يعوزها امران الرحمة والشدة .	١٣١	لا اله الا الله هي الكلمة الفارقة بين الكفر والاسلام
١١٤	تخصيص الملك بيوم الدين لا ينبغي عما عداه .	١٣٢	لا ينفع توحيد الربوبية بدون توحيد الالهية وحكم من ينأحي من دون الله
١١٦	الآيات المؤيدة للملك يوم الدين	١٣٥	حديث شجرة ذات افواط في حنين
١١٧	تفسير قوله تعالى (إياك نعبد وإياك نستعين)	١٣٦	أن مشركي زماننا اشد شركا من مشركي الجاهلية
١١٩	تحقيق معنى العبادة	١٣٧	اول ما فرض الله على العبد الايمان بالله والكفر بالطاغوت
١٢١	ان التوحيد أهم ما جاء لاجله الدين . وما بعث لاجله الرسل .	١٣٩	وقوع الشرك في هذه الامة
١٢٣	الرياء ضرمان . رياء النفاق ورياء العادة .	١٤٠	تزيين القبور والنذر للخلقين .
• •	ما معنى حصر الاستعانة بالله مع (وتعاونوا على البر والتقوى)	١٤٢	اتفق أئمة الاسلام على عدم جواز بناء المسجد على القبر
١٢٤	حكم الذين يستعينون بالارواح واهل القبور .	١٤٣	معنى لا تتخذوا قبري عيدا . والله لا يجعل قبرى وثنا يعبد
١٢٦	ما معنى النون في (إياك نعبد وإياك نستعين)	١٤٤	العبادات مبناها على الاتباع لا على الابتداع
١٢٨	المعبد يقال على أربعة أضرب .	١٤٥	في كراهيته لدعاء بما قد عز من عرشك وبحق فلان
١٢٩	كل من اخذ بقول الغير بلا دليل فقد عبده . واتخذ الاحبار اربابا من دون الله	١٤٦	في عدم حواز التوسل بالميت مطلقا اي ميت كان
١٣٠	ان اشد شرك الجاهلية الاشراك بالمصالحين	١٤٧	الشريعة كالسفينه من خرج منها غرق . والمكوف على القبور شرك وحال اهل بخارى وعباد القبور

الموضوع	الترتيب	الموضوع	الترتيب
علامة المشرك ذكر إلهه في كل حالة	١٦٤	الاستغاثة نوعان. الاستغاثة بالحى	١٥٠
إذا قعد وإذا قام وإذا حمل شيئاً		وبالميت	
تشبيهه الله تعالى من يدعو غيره	١٦٥	معنى اتخاذ الاحبار والرهبان ارباباً	١٥٢
من يطلب من السراب الماء		من دون الله وصرف شئ من	
حكم من يتوسل غير قاصد للشرك	١٦٦	العبادات لغير الله شرك	
ولا معاند للاسلام		ومن الشرك ان يستغيث بغير الله	١٥٣
بناء القباب على القبور من علامات الكفر	١٦٧	او يدعو غيره	
وشعائره		قد وقع الشرك في هذه الامة كثيراً	١٥٥
تصور الشيطان بصورة الشيخ	١٦٨	بل زادوا على ما في الجاهلية .	
المستغاث به		ما حكم من يستنجد باهل القبور	١٥٦
خاطب الله للناس بان ربهم هو الذى	١٦٩	ما يقال ان هذا اقرب الى الله منى	١٥٧
خلق السموات الخ فـ و المتفرد		فيجيب الله دعاءه	
بالصرف والتدبير واستحقاق		لا يجوز النذر اقبور ولا المجاورين عند	١٥٨
العبادة		القبر ولا لخلق ما وأن سؤال الميت	
الشرك يفسد لروح كما يفسد السهم	١٧٠	والغائب ندياً او غيره من المحرمات	
للدقيد البدن اذا اصاب في القلب		الواجب على العبد ان يتوجه الى	١٥٩
أو الدماغ		الله تعالى الذى يحياه ومماته له	
ومن الناس من يسمون أنفسهم	١٧١	لا يجوز البناء على القبر ولا اسراج	١٦٠
موحدين وهم يفعلون ما يفعل جيم		المرج عليه	
المشركين ودعاء الاموات والغائبين		قد شاع الشرك في أهل البسيطة	١٦١
حال حافظ الاوراد الذى هو غافل	١٧٢	على أنواع شتى	
عن معناها		ومن اعظم اللبوى التوجه الى الموتى	١٦٢
ان الارواح المقدسة لها تأثير عند	١٧٣	الواسطة الى الله نوعان ما هو حق	١٦٣
الفلاسفة ومن هذا الباب دخل		وما هو باطل	
الشرك وعبادة الارواح			

الموضوع	الموضوع	الموضوع
١٧٤ المقصود من زيارة القبور الدعاء للميت والاعتبار لا طلب المدد	١٨٥ في حكمة الانتقال من الغيبة الى الخطاب في أياك نعبد .	١٧٥ الذين يحجون الى القبور هم من جنس الذين يحجون الى الاوثان .
١٧٦ ان من كمال الايمان بالله والرسول الاهتمام بما أمروا به والفرق بين اولياء الرحمن واولياء الشيطان .	١٨٦ اصل اصول البر انما هو توحيد العبادة وبيان عقيدة المنجمين .	١٧٧ كل موضع تعظمه الناس غير المساجد ومشاهير الحج فانه مأوى للشياطين
١٧٨ ومن المنكرات الاعياد المبتدعة والرغائب .	١٨٧ والمتلون بمرض الشرك اصناف . ١٨٨ حقيقة الشرك اعتقاد كون غيره تعالى متصفاً بصفة من الصفات الالهية ومنها اتخذ الاحبار ارباباً وحكم منكرى الاشارة بالسبابة .	١٧٩ انما يعين تركيب الادوية الطبيب الحاذق .
١٨٠ صور العبادات وهيئاتها تعبدية .	١٩٠ لا يجوز اعتقاد علم الغيب لمخلوق ما وحكاية البخاري الذي يقول ان الشيخ عبد القادر الجيلاني الغرث الاعظم .	١٨١ الاستحياء في الافعال انما نشئت بالكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح .
١٨٢ قصة زيد بن حارثة واستغاثته بالله ونجاته .	١٩١ أمثلة الحج لغير الله ولغير بيت الله تعالى .	١٨٣ وجه حصر العبادة لله تعالى وكذا الاستعانة .
الجسد آلة الروح في اكتساب الاشياء النافعة .	١٩٢ ان من زندقة المشركين قولهم ان الملائكة والارواح تدبر اهل الارض .	١٨٤
١٨٥	١٩٣ بيان الايات التي تدل على ان المعبود المستحق للعبادة هو الله تعالى وحده .	١٨٥

الموضوع	الترتيب	الموضوع	الترتيب
ان أصل دين الاسلام هو عبادة الله وحده .	٢١٠	انما يسأل الله تعالى بالاسماء الحسنى واما سؤاله بذكر اسماء المخلوقين	١٩٠
كان عند الكعبة ثلثمائة وستون صنماً على صور من كانوا يعبدونه .	٢١١	او بجاء النبي ﷺ فبدعة والحاد	١٩٥
التوحيد نوعان . القولى الخبرى العلمى . والقصدى الارادى العلمى	٢١٢	ان دين جميع الانبياء عليهم السلام انما هو التوحيد والدعوة اليه	٢٠١
اصل عباد الاصنام محبة المصالحين والغلو فيهم .	٢١٣	ان اس الاساس هو توحيد العبادة واخلاص العمل لله .	٢٠٢
غلو اهل العصور فى اصحاب القبور واتخاذها حجاً ومنسكاً . وحال اكثر اهل التركستان .	٢١٤	فصل فى وجوب توحيد العبادة	٢٠٣
حكاية اللورد الانكليزي فى شأن الشيخ معين الدين الجشقى وتنصيفه كراء القطار فى موسم حجه .	٢١٦	سبب استحقاق الله تعالى العبادة	٠٠
ان الله لا يقبل من العمل الا اخلصه . وأصوبه .	٢١٧	الشرك اخفى من دبيب النمل على صفة سوداء .	٢٠٤
ومن جملة العبادة فعل المأمور وترك المنهى .	٠٠٠	من الشرك ان يقول والله وحياتك يا فلان . او ماشاء الله وشئت .	٢٠٦
المعنى الكلى الجامع فى العبادة هو أن للعبادة كل عمل من أعمال القلب والجوارح يعده صاحبه قرابة لمن له سلطان غيبى فوق ادراك العقل	٢١٨	اصل منشأ الشرك للغلو فى المصالحين	٢٠٨
ان حقائق الاشياء لا تتغير بتغيير الاسماء .	٢١٩	جهال المشركين الاولين اعرف من اكثر من يدعى العلم من الخلف . وان شرك الاولين اخف من شرك اهل زماننا من وجوه	٢٠٩
		شبهات الذين يعبدون الارواح واهل القبور ان الكفار الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون لا اله الا الله محمد رسول الله وهم يشهدون بذلك .	

الموضوع	الترتيب	الموضوع	الترتيب
لا يقال ان هذا مستحب أو مشروع الا بدليل شرعى . وكلام كبار الصوفية .	٢٣٠	التوحيد نوعان توحيد الربوبية وتوحيد الالهية .	٢٢٠
توحيد بعض الصوفية وخطأ العارف فى عقيدته وقوله .	٢٣١	اتباع هذه الامة سنن من قبلها فى اتخاذ الازداد وعبادة غير الله واهل القبور .	٢٢٠
التوحيد هو العدل . وأظلم الظلم الشرك .	٢٣٢	العبادة انواع كثيرة منها السجود والذبح والدعاء والندى . وقول صاحب البردة يا أكرم الخلق .	٢٢١
المشركون انما قصدوا تعظيم الرب تعالى ففاسوا الله على خلقه .	٢٣٣	ليس المراد من لا اله الا الله مجرد القول بل لابد من اعتقاد معناه والعمل بمقتضاه .	٢٢٣
لم يشرع الله تعالى التقرب اليه بالشفعاء والوسائط . وللاشرك انواع شرك التعطيل وشرك الالهية . .	٢٣٤	أجهل الناس من يحتج على الشرك بعمل الناس وكثرتهم . وانما أفسد عقيدة الناس العلماء الدجالون .	٢٢٤
الشرك فى العبادة وأنواعه . واحكام اهل الرياء .	٢٣٥	علامة من تحقق فى قلبه لا اله الا الله	٢٢٥
ان من خصائص الالهية التفرد بذلك الضر والنفع والعطاء والمنع ما قاله الشيخ احمد السرهندى فى هذه المسألة .	٢٣٦	يطلق الاله على الهوى . المنبع . الحب فى الله والبغض فى الله .	٢٢٦
السعادة والنجاة مربوطة باتباع النبي ﷺ قلباً وقالباً	٢٣٨	ان محبة الله مسئلة لمحبة الرسول ومتابعته .	٢٢٨
ان تعظيم مراسم الشرك والكفر شرك . وحكم بى بى سبه شنبه . بيان غلطات الصوفية عموماً . والشيخ احمد السرهندى بخصوصاً .	٢٣٩	المبادات الشرعية هى الدليل الموصل الى الله تعالى ورضوانه .	٢٢٩
	٢٤٠	حكم الذكر بالاسم المفرد . الله الله أو هو هو .	٢٣٠

الموضوع	الترتيب	الموضوع	الترتيب
ضرر التقليد وحال المقلدين والمقلدين	٢٤٩	٢٤١ من الشرك أخذ الحكم عن غير	
منع التقليد ومنع الائمة عن الاخذ	٢٥٠	الادلة الشرعية . واتخاذ البعض	
بقولهم بلا دليل .		اربابا من دون الله .	
من جملة الشرك التولات والتناجيس	٢٥٢	٢٤٢ اتخاذ الشفعاء من الشرك . وبيان	
مخالطة المشركين محظور رهوب	٢٥٣	الانذار .	
الشر .		٢٤٣ لا بد في الحرب من العدد والعدة	
الله قريب من عباده فلا حاجة	٢٥٤	ولا يجوز الاعتماد على الاولياء	
الى الوسائط .		والارواح . واعتماد جملة اهل	
السلطان الغيبي لا يكون الا الله	٢٥٥	بخارى على نقشبند	
تعالى وحده .		٢٤٤ من جملة الانذار من يتبع له في	
المقصود من الدين تصفية الارواح	٢٥٦	الدين من غير بيان . وحكم تارك	
وتخليص العقول عن الشوائب		الاشارة بالسبابة في تشهد الصلاة .	
للفاسدة الشريكية .		٢٤٥ يجب النظر فيما حسنه الشرع وقبحه	
ما جرى على الرسول ﷺ في احد .	٢٥٨	فيلزم العمل بالحسن والاحترار عن	
وحكم من يستغيث ويستنجذ		القبائح .	
بالاموات .		٢٥٠ سبب جهل المسلمين هو التصوف	
بيان التعطيل والشرك لدى بين	٢٥٩	وامله الجاهلون .	
في القرآن .		٢٤٦ من اقبح القبائح قول جملة	
يجب الايمان بان العبادة حق الله	٢٦٠	الصوفية ان الشريعة غير الحقيقة	
تعالى على عباده .		وحال صوفية الزمان .	
معنى الجبت والطاغوت :	٢٦١	٢٤٨ ضرر ترك الاهتداء بالكتاب	
الشرك غاية فساد الارواح لادواء	٢٦٢	والسنة واستبدال اقوال الناس	
الا الاقلاق .		بهما . وضرر التذهب بذهب	
		بخلص .	

الموضوع	الترتيب	الموضوع	الترتيب
لا يجوز اطلاق الحرام الا على ما علم تحريره قطعا و بيان خطاء كثير من المؤلفين في هذا الباب .	٢٧٧	من الناس من يسمى نفسه مسلما وهو يفعل فعل جميع المشركين .	٢٦٣
حكم الايراد والاحزاب البدعية كدلائل الخيرات مثلا	٢٧٨	الدعاء هو العبادة ومعني الحصريه والعبادات الرسمية تعليمية تكليفية ودعاء عباد القبور	٢٦٦
لا يعلم ما يرضى الله الا بواسطة رسوله فالاستحسانات العقلية في العبادات ضلالة واشراك بالله :	٢٧٩	الرهبانية في النصرانية وكذا في الاسلام بدعة .	٢٦٧
حكم البدعة في الدين والبدعة في الامور الدنيوية .	٢٨٠	كيف حرفت اليهود التوراة . وكيف غير المسلمون التوحيد .	٢٦٨
حكم الزيادة في الدين . وما ينشأ من الايراد البدعية من المفسد .	٢٨١	حديث عدي بن حاتم رضى الله عنه في اتخاذ الارباب .	٢٧٠
سبب عناية العوام بالايراد البدعية وضررها على الاسلام	٢٨٣	كما كفر الله اليهود باطاعتهم الاحبار فليكفر للفاسق باطاعة الشيطان والجواب عنه .	٢٧٢
تهمة المبتدعين على المتمسكين بالسنة وضرر كتب النصوص واهله زيادة على ما في كتب الفلاسفة .	٢٨٤	قد بالغ الجهال في تعظيم شيوخهم وحال المقلد وحكاية الرازي عن والده والامام البغوي .	٢٧٤
البحث عن الخطرات والوصاوس من البدع	٢٨٥	طاعة المذهب لمن يقتدى بقوله هو كاتخاذ اربابا من دون الله	٢٧٥
بيان القائلين بوحدة الوجود . ونقضهم الدين		من استلم القبر او طاف به فقد اتخذ الهـ .	
الترغيب الى مطالعة كتاب مدارج السالكين والعلما والمشائخ هم الذين افسدوا الدنيا والدين		ان شارع الدين هو الله تعالى وانما محمد ﷺ مبلغ عنه لا غير	

الموضوع	الترتيب	الموضوع	الترتيب
نتائج الفاتحة ونجربة المصنف لها حينما حبس	٢٩٦	دعوت المسلمين الى فهم القرآن والسنة والاكتفاء بهما . وتميز الامة بالثروة والقوة .	٢٨٦
اشتغال الفاتحة على الرد على جميع المبطلين والمبتدعين .	٢٩٧	تكملة في بيان خلاصة مذكره ابن القيم في مدارج السالكين واشتمال الفاتحة على انواع التوحيد	٢٨٧
المنبتون للخالق تعالى امام واحد واما مشرك .	٢٩٨	صراط الحق واحد وسبل الضلال كثيرة ومن استقام على هذا الصراط في الدنيا ثبت قدمه على صراط الآخرة ومرسالماء ودخل الجنة	٢٨٨
الناس ثلاثة أقسام . منعم عليهم ومغضوب عليهم وضالون . وصفة أصحاب الرسول ﷺ . ومما في هذه الامة .	٢٩٩	سالك الصراط المستقيم قليل والناس كيون عنه كثير .	٢٨٩
سر الامر والخلق والكتب والشرائع انما هي اياك نعبد واياك نستعين وحقيقة الاستعانة .	٣٠٠	مثال لاسد الشيطان عن الصراط المستقيم . فمن التفت اليه هلك . وقوائد دعاء القنوت	٢٩٠
الناس في العباداة والاستعانة اربعة أقسام .	٣٠١	وسيليتان لا يرد معهما دعاء . والاسم الاعظم .	٢٩١
ليس كل ما أجاب الله الدعاء من كرامة الداعي على الله .	٣٠٢	الفاتحة مشتملة على شفاء القلوب وشفاء الابدان	٢٩٢
حقيقة التحلى باياك نعبد انما تحصل بتابعة الرسول ﷺ والاخلاص للمعبود .	٣٠٣	من طلب الغاية بلا وسيلة موصلة لم يصل اليها	٢٩٣
ان الله تعالى لا يقبل الا الصواب الاخلاص . وبيانه . والناس في هذا اربع درجات .	٣٠٤	دواء أمراض القلب . ودواء الرياء والكبر .	٢٩٤
		الرقية بالفاتحة . وشهادة قواعد الطب لها .	٢٩٥

الموضوع	الترتيب	الموضوع	الترتيب
للهداية معنيان . التوفيق والايصال والارادة والبيان	٣١٨	ان الكفر الاكبر خمسة اقسام . وسماته . كفر تكذيب وكفر آباء	٣٠٥
الصراط المستقيم هو الطريق الوسط وبيانه .	٣١٩	وكفر اعراض وكفر شرك وكفر نفاق	٣٠٦
حاصل في ما قيل في تفسير الصراط المستقيم .	٣٢٠	الشرك نوعان ا كبر واصغر . وحال من يعظم القبور والانداد .	٣٠٧
فان قيل كيف يسأل المؤمن الهداية في كل وقت وهو متصف بذلك اليس تحصيلها للحاصل . والجواب عنه	٣٢٢	من جهل المشرك اعتماده على غير الله واتخاذها وليا وشفيعا .	٣٠٩
بيان انواع الهدايات على ما فسرهم البيضاوي .	٣٢٣	يعامل المشرك عكس ما يرجو من الآمال . والشفاعة لا تنال الا الموحد الخاص لا المشرك	٣١٠
هداية الله تعالى للانسان على اربعة اوجه على مفسره الراغب الاصفهاني	٣٢٤	انما تنقض عري الاسلام اذا دخل في الاسلام من لا يعرف الجاهلية	٣١١
ان الله انما يهدي من طلب الهداية ولا يهدي القوم الظالمين	٣٢٦	اما الشرك الاصغر فكثير كالوليا . والحلف بغير الله وطلب الحاجة من الموتى والاستعانة بهم .	٣١٢
كن طالبا للاستقامة لا طالبا للكرامة وليس الى الله طريق الا من طريق الرسول ﷺ	٣٢٧	اما النفاق فالداء العضال ويخفى على كثير ممن تلبس به وما أصاب المسلمين بلية الامنهم او بواسطتهم	٣١٣
الصراط المستقيم هو الحق وهو الوسط والقصد	٣٢٨	تفسير قوله تعالى ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾	٣١٤
للصراط المستقيم صفتان إيجابية وسلبية . وحكم من يعتقد ان الارواح متصرفة . ومن يتسدد في الدين .	٣٢٩	انواع الهدايات الاربع . اعلاها هداية الدين .	٣١٥
		اشارة القرآن الى انواع الهدايات وهدايا النجدين	٣١٧

الموضوع	الترتيب	الموضوع	الترتيب
من صفات المهتدين الایمان بجميع الانبياء واحترامهم وكذا اكرام ورثتهم من الصحابة والتابعين والائمة المجتهدين وليس منهم من يتمصب لواحد . يمادي الباقين ومن صفات المهتدين الدهوة الى التوحيد والامر بالمعروف .	٣٤٣	أهل الدنيا فريقان من لا يعبد الا الله ومن يشرك به وما بينه الحكماء في التوسط والاقتصاد	٣٣٠
ومن صفاتهم التمشيت بالآلات الدفاع لاعلاء كلمة الله .	٣٤٥	أهل العالم مختلفون في النفي والاثبات في جميع المسائل . ولم يصل الى الحق الا القليل بهداية الله	٣٣١
ومن صفاتهم تدبير آيات الله والجهاد في سبيل الله اللسان والسنان والقلم	٣٤٧	ان من أسباب الزيف التشدد في الدين	٣٣٢
أهل هداية لا يتحاسدون ولا يتكابرون .	٣٤٨	من اين دخلت خزايا الصوفية في الاسلام .	٣٣٣
تفسير قوله تعالى ﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ والضالون أقسام ومنهم المبتدعون .	٣٤٩	من تمسك بكتاب الله فهو قد تمسك بالصراط المستقيم .	٣٣٤
ومن جملة الضلال جعل المذاهب أصلا والنص يحمل عليها .	٣٥٠	فائدة الامثال والوقائع وعلم التاريخ	٣٣٥
الحلة لاسقاط الزكاة من الضلال وظهور اثرها في الامة ووقوع الامة في الشقاء كاهل التركستان والصين	٣٥١	دين جميع الرسل واحد وانما الاختلاف في الفروع وصفة ورثتهم	٣٣٦
بيان القراءات في غير المغضوب عليهم	٣٥٢	أعظم أسباب شرح لمصدر التوحيد وعلامة ذلك .	٣٣٧
المغضوب عليهم هم أهل البدعة والضالين عن السنة .	٣٥٣	اذا كان أهل الضلال صاحب دولة دنيوية هل يعد من المنعم عليهم وبيان المنعم عليهم حقيقة . وهم الانبياء .	٣٣٨
		فصل في صفات المهتدين وعلاماتهم	٣٤١
		المبتدعون ليسوا من المهتدين وان كانوا أهل طرق وعبادات وارتفت حولهم المر يدون .	٣٤٢

الموضوع	الترتيب	الموضوع	الترتيب
ومن صفه أهل الضلال تقليد الألباء والمادات الجاهلية وألم ان في للتقليد أبطال منفعة العقل .	٣٦٣	اضلال الشيطان الناس في ترك القرآن والسنة وان علم القرآن والسنة خاص بالمجتهد المطلق وذلك قد انقطع	٣٥٤
ومن أوصاف الضالين الانهالك في البدع والمحدثات في الامور الدينية والمولد .	٣٦٤	من صفة أهل الغضب انهم لا يقبلون الحق الا من طائفهم التي هم منتسبون اليها . والرهبانية .	٣٥٥
الخبر كل الخير في اتباع السلف المصالحين وبيانهم .	٣٦٥	من صفة الضالين انهم يعبدون باصوات مطربة وتلحين الاصوات	٣٥٦
بيان أحاديث في تمييز أهل الحق من أهل الضلال	٣٦٦	من الضالين المنافقون الذين يدعون الاسلام كالقادياني وموسى بيكي الروسي .	٣٥٧
في العلماء الدجالين والمبتدعين .	٣٦٧	ومن علاماتهم التفرق في الدين والاشراك بصفات الله . وحكم عباد القمور	٣٥٨
فضيلة إحياء السنة والعمل بها وافتراق أهل الاسلام الى ثلاث وسبعين فرقة . وبيان أهل السنة ماضيل قوم بعد هدى كانوا عليه الاتو والجدل والمعصب .	٣٦٨	ومن صفاتهم القول في الدين والاحكام بالتخمين . كالذين يقولون بحرمة الاشارة في تشهد الصلاة .	٣٥٩
من وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الاسلام .	٣٦٩	قال ابن تيمية المبتدعون هم الضالون والبدعة احب الى ابليس من المعصية .	٣٦٠
يأتي زمان لا يبق من الاسلام الا اسمه صوفية آخر الزمان . ومجيء الشر بعد الخير والدعاة الى جهنم .	٣٧٠	بيان مذهب الاتحاديين الضالين وتخصيص مكان أو زمان بعبد أو فضيلة فيما لم يرد فيه الشرع . وأمثلة ذلك .	٣٦١
ان بين يدي الساعة كذابين . والقبوريين . وان المبتدع يطرد عن السكوتر .	٣٧١		
	٣٧٢		

الموضوع	الموضوع	الموضوع
٣٧٣	المبتدعون يحسنون للقبيل ويسيتون الفعل وسياهم التحليق .	٣٨١ واضع البدعة يرمم انه يتقرب بها الى الله تعالى
٣٧٤	ان الدين قد كمل . وحدوث البدع والاهواء وعلامة المبتدعين ر أهل الضلالة .	٣٨١ أهل البدع هم أهل الاهواء ٣٨٢ وضع الجمرة والشمعة الضئيلة النور على باب الحكمة
٣٧٥	اتخاذ المولد عيداً وقيام نصف شعبان . واحتجاج المبتدع على بدعته وان بدعة خروج عن الدين .	٣٨٣ أهل البدع والضلال لهم خواص وعلامات ومنها الفرقة شيعاً
٣٧٦	ان المبتدع يزعم ان محمداً ﷺ خاز الرسالة وان المبتدع آلفه الشيطان العبادة والبكاء	٣٨٤ ومن خواص أهل البدع والضلالات اتباع متشابهات النصوص ، والميل عن الحق
٣٧٧	المبتدع يخشى عليه الفتنة ، وقصته الاحرام من مسجد الرسول ﷺ وبدعية الذكركر جهراً بصوت واحد	٣٨٥ مرتكب الكبيرة ارجي حالاً من المبتدع ؛
٣٧٨	البدعة ضلالة ، المبتدع ضال ومضل ومن صفاتهم الاختلاف والتفرق ومنه من تصوفوا العصر	٠٠٠ بيان البدعة الدينية والبدعة للعادية ٣٨٦ ومن البدع الباطلة الاستنجار لتلاوة القرآن
٣٧٩	حكم الذكركر بالنغمة ورفع الاصوات كحمر نهقت جمعاء ، وقول الرسول ﷺ اربعوا على أنفسكم	٠٠٠ من علامة المبتدع انها كما في النواقل وان الالهام ليس بحجة شرعية ٣٨٧ لا اعتبار للخوارق اذا لم يكن من تصدر عنه صالحاً ؛
٣٨٠	طرق صوفية الوقت مأكلاً وصناعة لا قربة وطاعة ؛ وحكم ختم خواجة و دلائل الخيرات وقصيدة البردة	٣٨٨ الخاتمة في آمين ومعناها وحكمه ٣٩٠ مناجاة المؤلف في خاتمة أمره ٣٩٢ خاتمة الكتاب وان لهذا التفسير مقدمة
		٣٩٤ فهرست أوضح البرهان كاملاً

بيان الخطأ والصواب

الواقع في طبعة (اوضح البرهان)

صواب	خطأ	١	٢	صواب	خطأ	١	٢
الائمة	ائمة	١٤	٥١	أدران	ادراك	٧	٤
يؤخذ بقولهم	يؤخذ لهم	٩	٦٢	غرامافون	غرمامون	١٩	٥
المصنوعين	الصائين	١	٦٤	تعالى عنه	تعالى	١٧	٨
كحال	كمال	١	٦٥	تعالى	تعال	١٦	٩
الغضب	البغضب	١١	٦٦	أنا	اب	١٤	١٢
فخنة	فخنة	١٩	٦٩	ارزقنا	ارزقنا	٢	١٥
قد	قد	١	٧١	الحلية	الحيلة	١٧	٠٠
مراداتهم	مرادتهم	١	٧٢	الخوارجة	الخوارجة	٣	١٦
رسول	رسوله	١٤	٧٧	اثيان	اثبات	٧	١٧
الرهاوي	الزهاوي	١٧	٠٠	انا نكون	ان نكون	١٠	٢٣
نفتتح	يفتتح	٩	٧٨	والقدر	والقدرة	٨	٢٥
لم تتركوا	أتتركوا	١٦	٨٧	غيرها	غيرها	١٠	٢٧
حق حمد	من حمد	٢	٩٣	ألا يظنون	لا يظنون	١	٣١
المرجان	الرجان	١٠	٠٠	الخلق	الحق	٧	٠٠
ابراهيم	ابراهيم	٢	٩٥	البليات	البلياب	١٧	٠٠
قلت أنا	قلت	١١	٩٦	وبالجملة انهم	بالجملة وانهم	٢٠	٠٠
تجذب	نجذب	٢	١٠٢	الغرور	الغرور	١٢	٣٥
ييمينه	ييمينه	١٠	١٠٦	كتابه جلاء الافهام	كتابه	٠٠	٣٣
الاسقام	الاقسام	٤	١٠٨	الاتصاف	الاتصاف	٢٠	٣٦
دوراً	دور	١١	١١٣	يمنع	يمنع	٢٠	٣٨

صواب	خطأ	تتبع	صواب	خطأ	تتبع
تيمية	تيمية	١٩١٧٧	ادراك	ادرك	٧١١٧
تعالى	عالى	١٠١٧٨	والاستدلال	الاستدلال	٢٠١١٨
الاحوال	الاحول	٩١٧٩	الا لله	الا الله	٤١٢٨
دراؤه	دواء	٤١٨٠	كونوا	كونو	٩٠٠٠
وعبادته	وعبادة	٥٠٠٠	ان اسر	ان امر	١٠١٢٨
تيمية	تيمية	٦١٨١	نعبدهم	عبدهم	١١١٢٩
مفاسدها	مفاسده	١٣٠٠٠	وفي	من	٥١٣٣
واكثر	واكثر	٤١٨٤	أتقبثون	أتقبثون	٦١٣٤
وتستعد	ويستعد	٦١٨٢	اتواط كما لهم ذات اتواط واختونى ان كنتم مؤمنين	اتواط	١١١٣٥
مضمومة	مضمودة	٧١٨٧	انبيائهم	انبيائهم	١٨١٤٣
كسجدة	سجدة	٩١٨٨	بمعقده	بمعقه	٣١٤٧
لخلق	المخلق	٥١٩٠	بمنزلة	بمنزله	١٤١٤٨
الحج	الحج	٤١٩١	تعالى	ولى	١٨١٤٩
طائفة	طائف	١٤٠٠٠	لثلاثة	الثلاثة	١٠١٥٢
دادعا	وادعا	١٥٠٠٠	وقع	وتع	٦١٥٥
المسلمين	لمسلمين	١٧٠٠٠	وكله نذر	وكل له نذر	٩١٥٨
وفي حجة الله البالغة	وفي الحجة البالغة	١٨٠٠٠	بينات	بينات	٢١٦٠
اعبدوا	اعبدو	١١١٩٢	والكفر بما	والكفر وبما	١١٦٢
برحمتك	يرحمتك	١٦١٩٣	يا يرم	يا يرم	١٣١٦٤
يشعرون	اشعرون	١٠١٩٦	والرخاء	والرجاء	٥١٦٥
انه	نه	٢٩١٩٨	وجميع	وجميع	٧٠٠٠
منكم	منك	٢٠٢٠٠	عليه	عينه	١١٧٣
يعيت	يعيت	١٦٢٠٦	للائبياء والموتى	وللائبياء الموتى	٢٠١٧٦

To: www.al-mostafa.com